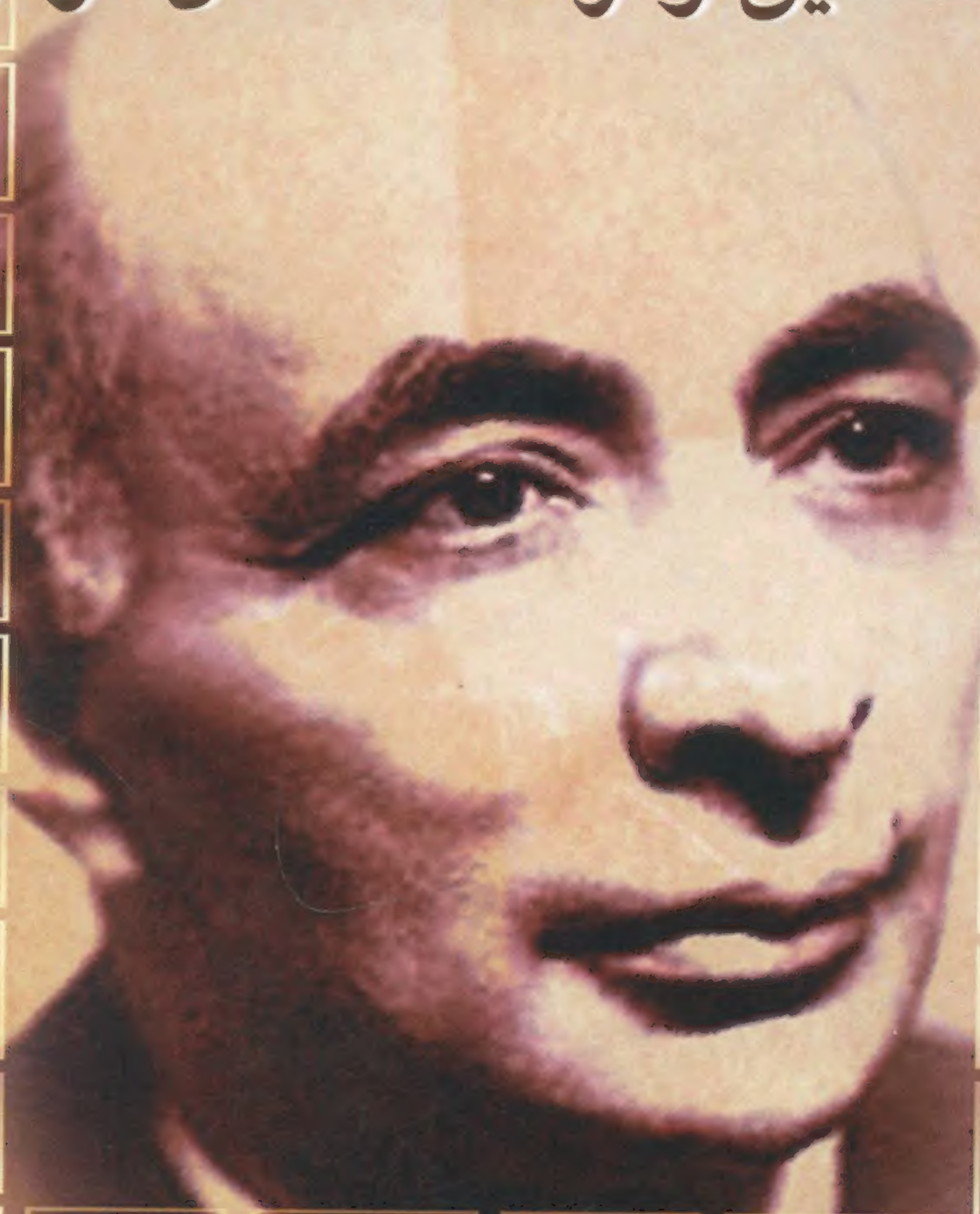


الأعمال الشعرية الكاملة

إبراهيم ناجي

تحقيق ودراسة : حسن توفيق



إهداء ٢٠١٣

الاستاذ الدكتور / خالد عذب

جمهورية مصر العربية

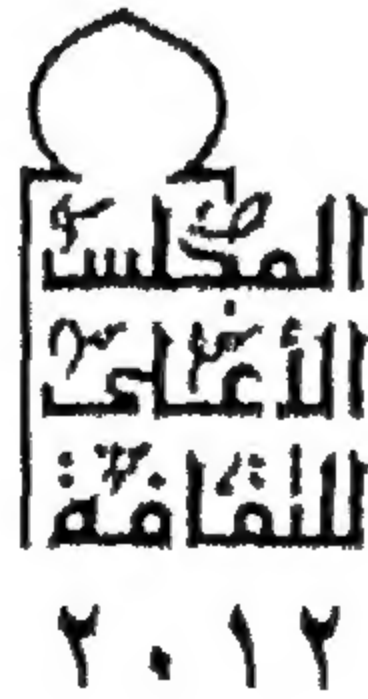
المجلس الأعلى للثقافة

إبراهيم ناجي

الأعمال الشعرية الكاملة

(المجلد الأول)

تحقيق ودراسة: حسن توفيق



المجلس الأعلى للثقافة

الأمين العام
أ.د. سعيد توفيق

رئيس الإدارة المركزية
د. طارق النعمان

المشرف على التحرير والنشر
أشرف عامر

الإشراف الطباعي والمالي
ماجدة البربرى

السكرتارية التنفيذية
عزة أبو اليزيد

الإخراج الفنى
عبد الحكيم صالح

التدقيق اللغوى
عبد الوهاب صلاح

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ناجى، إبراهيم، ١٨٩٨-١٩٥٣
إبراهيم ناجى: الأعمال الشعرية الكاملة (المجلد الأول) /
تحقيق ودراسة: حسن توفيق.
القاهرة : طبعة خاصة بالمجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠١٢
٥٣٦ ص، ٢٤ سم
١- الشعر العربى - تاريخ - العصر الحديث
٢- ناجى، إبراهيم، ١٨٩٨-١٩٥٣ - المؤلفات الكاملة.
(أ) توفيق، حسن (محقق ودارس)
(ب) العنوان
٨١١,٩

رقم الإيداع : ٢٩٤٤ / ٢٠١١
الترقيم الدولى: 978-977-707-448-6
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الأفكار التي تتضمنها إصدارات المجلس
الأعلى للثقافة هي اجتهادات أصحابها،
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس.

حقوق النشر محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٢٧٣٥٨٠٨٤

EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel.: 27352396 Fax: 27358084

www.Scc.gov.eg

هذه الكعبة كنا طائفها
كم سجدنا وعبدنا الحُسْنَ فيها

والصليين صباحا ومساء
كيف بالله رجعنا غرباء
من "وراء الغمام"

مهما أَقْلُ بقيت لدى قصيدة

في القلب لم تنطق بها الشفتان
من "ليالى القاهرة"

إني لطيرٌ حائرٌ بـاك
ذابت حناناً يومَ لقياك

قد كانت الأحزان فلسفتي
وجرت أغاريداً على شفتي
من "الطائر الجريح"

يا أمةً نبتت فيها البطولاتُ
ما يبرح المجدُ يدعوننا فنتبعه
أين الغزاة الألى مروا بنا زمراً
طافوا البقاع فلما حل رحلهم

لا مصر هانت ولا الأبطال قد ماتوا
كما تطير إلى النار الفراشاتُ
وأين بالله تيجانٌ ودولاتُ
بمصر لم يصبحوا فيها كما باتوا
من "قصائد مجهولة"

قبل أن أبدأ.. وقبل أن تقرأ..

● دائماً أبدأ بالحب الذى يدفعنى دفعاً إلى العمل.. الحب هنا يرتبط بشاعر من أرق وأجمل شعرائنا العرب.. كنت ما أزال طالباً بالمرحلة الثانوية عندما سخرنى شاعر الحب الرقيق والكبير الدكتور إبراهيم ناجى.. أحببت قصائده العاطفية من كل قلبى، وما تزال ذاكرتى إلى اليوم، وعلى الرغم من عواصف الزمان وشواغل الحياة، تحتفظ بكثير من هذه القصائد الساحرة.

● يبدو أننا نعشق "الثنائيات" فى حياتنا الأدبية والفنية، حيث نتذكر حافظ إبراهيم بمجرد أن نتحدث عن أمير الشعراء أحمد شوقي، ونتذكر ميخائيل نعيمة بمجرد أن نذكر جبران خليل جبران، وإذا كنا حين نتحدث عن كوكب الشرق أم كلثوم، فإننا - فى الغالب - لا نتذكر مطربة قبلها ولا بعدها، إلا أننا - أحياناً - نستدعى اسمهان حين نتحدث عن أم كلثوم، ومن شعراء جماعة ابولو فإننا حين نتذكر إبراهيم ناجى، نتذكر معه على محمود طه، وأعترف هنا بأنى كنت وما زلت منحازاً لناجى، على حساب صديقه ومنافسه فى زمانهما على محمود طه، كما أن ناجى لم يغادر قلبى، حتى بعد أن أحببت بعده شاعرين كبيرين من رواد حركة الشعر الحر فى أمتنا العربية، هما بدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور.

● دفعني الحب لشاعر الحب، لأن أكتب عنه - على امتداد ما يقرب من أربعين سنة - عشرات المقالات التي نشرت في العديد من مجلاتنا وجرائدنا العربية ، وأذكر منها على سبيل المثال مجلة الهلال - عدد يونيو ١٩٧٧ وكان عنوان غلاف ذلك العدد «خمس قصائد مجهولة لشاعر الأطلال إبراهيم ناجي»، هذا فضلا عن العديد مما كتبه في مجلات الكاتب والمجلة والفكر المعاصر وفي جريدة الأخبار المصرية وجريدتي الراية والشرق القطريتين .

● في سنة ١٩٧٨ أصدرت أول كتاب لي عن ناجي، بعنوان (قصائد مجهولة لإبراهيم ناجي) وقد ضم خمسين قصيدة، تصدرتها دراسة متأنية، وقد صدر هذا الكتاب - وقتها - عن مكتبة مدبولي بالقاهرة، وكتب عنه كثيرون من بينهم صالح جودت ورجاء النقاش وكمال النجمي . وفي سنة ١٩٩٥ كلفني الدكتور جابر عصفور - وكان وقتها الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في مصر - بإعداد (الأعمال الشعرية الكاملة) لناجي والتي صدرت بالفعل في السنة التالية، سنة ١٩٩٦، وتضاعف فيها عدد القصائد المجهولة من خمسين قصيدة إلى مائة قصيدة وقصيدة.

● تحمس كثيرون من النقاد والباحثين والشعراء المرموقين للأعمال الشعرية الكاملة لناجي بعد صدورها، وعلى سبيل المثال، فإن الكاتب

الكبير رجاء النقاش كتب عنها مقالاً رائعاً مطولاً في (الأهرام) بعنوان (قصيدة في القلب)، كما كتب الباحث الكبير الدكتور يوسف حسين بكار دراسة مطولة، أشاد خلالها بالجهد الذي بذلته في تحقيق تلك الأعمال، وفيما بعد أصبحت هذه الدراسة فصلاً من فصول كتاب (العين البصيرة - قراءات نقدية) للدكتور يوسف حسين بكار، وهو الكتاب رقم (٨٦) في سلسلة (كتاب الرياض) التي تصدر في المملكة العربية السعودية. أما الباحث المدقق الجاد مصطفى يعقوب، فقد نشر دراسة مستفيضة في مجلة (علامات) السعودية - عدد مارس سنة ٢٠٠٠ بعنوان (الأعمال الشعرية الكاملة لإبراهيم ناجي - ملاحظات ونصوص مجهولة) وقد سعدت وأفدت من هذه الدراسة، على الرغم من ملاحظاتي على ملاحظات مصطفى يعقوب!.. أما القاهرة والدوحة، فقد شهدتا ندوتين، خصصتا لمناقشة - الأعمال الشعرية الكاملة لناجي، أولاهما نظمها المجلس الأعلى للثقافة في مصر، والثانية نظمها نادى الجسرة الثقافي في قطر.

- أتصور أن الدكتور جابر عصفور قد سعد حقاً بما حظيت به الأعمال الشعرية لناجي من اهتمام وتقدير، فضلاً عن نفاد جميع نسخ طبعاتها الأولى بسرعة، وبصورة فاقت التوقعات، ولهذا فإنه عاد وكلفني بمهمة جديدة، تتمثل في جمع وتحقيق (الأعمال الشعرية الكاملة) لناجي، وهذا

ما قمت به بالفعل، لكن هذه الأعمال النثرية تأخرت عن الصدور طيلة أربع سنوات، لأسباب متعددة، دون أن ترى النور . وكان لابد أن أغامر وأبادر إلى طبعها على نفقتي الشخصية في الدوحة، حيث صدرت سنة ٢٠٠١ في مجلدين، تجاوز عدد صفحاتهما ألف صفحة، وإذا كنت قد تكبدت -ماديا- ما تكبدت، فإنني قد سعدت - معنويا - بإصدار هذين المجلدين، ويبدو لي أن باحثين جامعيين عديدين كانوا كأنما يترقبون صدور هذه الأعمال النثرية لناجي، لكي يشرعوا في إعداد دراسات أكاديمية لنيل درجة الماجستير، فهذا ما جرى في الجامعة الأمريكية ببيروت وما جرى في إحدى جامعات المملكة العربية السعودية، وجامعة فاس في المغرب.

- في يناير ٢٠٠٣ أصدرت الأعمال الشعرية المختارة لناجي ، والتي صدرت عن المجلس الوطني للثقافة والفنون بدولة قطر ، واشتملت هذه الأعمال الشعرية المختارة ضمن ما اشتملت عليه على ثلاث قصائد مجهولة جديدة هي : بايعة حسنك - صخور وأشواك - إلى أم كلثوم ، كما قمت بكتابة مقدمة بعنوان قبل أن أبدأ وقبل أن تقرأ، وقد رأيت أن أثبت هنا معظم فقرات تلك المقدمة المؤرخة بتاريخ ١١ نوفمبر ٢٠٠٢ لأنها بمثابة رد موضوعي دقيق على الذين يحاولون أن

يسرقوا جهدي المتواصل في جمع تراث ناجي على امتداد سنوات متواصلة.

● من بين روائع ناجي المبتوثة ضمن هذه الأعمال الشعرية الكاملة قصيدة (الوداع) وهى إحدى قصائد ديوان (وراء الغمام) وقصيدة (الأطلال) وهى إحدى قصائد ديوان (ليالى القاهرة) وليس المهم أن هاتين القصيدتين تنتميان - موسيقياً إلى بحر الرمل (فاعلاتن - فاعلاتن - فاعلاتن) فقد كتب ناجي كثيراً من روائعه العاطفية وفقاً لموسيقى هذا البحر الذى كان يحبه أكثر من سواه من بحور الشعر التى حددها الخليل بن أحمد، فالواقع أن هاتين القصيدتين قد كشفتنا لى أمراء، لا يتعلق بناجى وحده، إنما يتعلق كذلك بكوكب الشرق أم كلثوم!.

● كان ناجي يتمنى من كل قلبه أن تغنى له أم كلثوم إحدى قصائده، حتى تتحقق له شهرة جماهيرية عريضة، لا مجرد شهرة فى الساحة الأدبية العربية وحدها، ولكن أم كلثوم لم تحقق لناجى ما تمناه من كل قلبه خلال حياته، فانطلق إلى محمد عبد الوهاب الذى اختار عدة مقطوعات من قصيدة مطولة من روائع ناجي، والتي يجدها القارئ فى هذا الكتاب ، وهى قصيدة بعنوان (الخريف) أما ما غناه محمد عبد الوهاب منها فإنه معروف بعنوان (القيثارة) وكان من المقرر أن تذايع هذه القصيدة بألحان وصوت عبد الوهاب خلال سنة ١٩٥٣ لكن

ناجى رحل عن عالمنا يوم ٢٤ مارس من تلك السنة دون أن يسمعها،
ولم تذع هذه القصيدة إلا سنة ١٩٥٤، وأذكر منها هنا:
أى سرفيك إني لست أدري
كل ما فيك من الأسرار يغري
خطر ينساب من مفتر ثغر
فتنة تعصف من لفتة نحر
قدر ينسج من خصلة شعر
زورق يسبح في موجة عطر
في عباب غامض التيار يجرى
واصلاً ما بين عينيك وعمري

تحققت أمنية ناجى - دون أن يدري - بعد انقضاء ثلاث عشرة سنة على
رحيله عن عالمنا حين غنت أم كلثوم له مقاطع من (الأطلال) وأضافت
إليها مقطعين من قصيدة (الوداع) وابتداء من سنة ١٩٦٦، أصبح اسم
ناجى على كل لسان بفضل صوت أم كلثوم، دون أن أنسى بالطبع
العبقري رياض السنباطي.

يشتمل النص الأصلي الكامل للأطلال، كما كتبه ناجى، على (١٣٤)
بيتاً، بينما يشتمل النص الأصلي الكامل لقصيدة الوداع على (٢٨) بيتاً،

أما (الأطلال) التي غنتها أم كلثوم فهي تشتمل على (٣٢) بيتاً، منها سبعة أبيات من النص الأصلي لقصيدة الوداع، وأثبت هنا هذه الأبيات السبعة مع بيت آخر هو الثالث منها والذي لم تغنه أم كلثوم.

هل رأى الحب سكارى مثلنا

كم بنينا من خيال حولنا

ومشينا في طريق مقمر

تثب الفرحة فيه قبلنا

وتطلعنا إلى أنجمه

فتهاوين وأصبحن لنا

وضحكنا ضحك طفلين معاً

وعددونا فسبقنا ظلنا

* * *

وانتبهنا بعد ما زال الرحيق

وأفقنا ليت أنا لا نفيق

يقظة طاحت بأحلام الكرى

وتولى الليل، والليل صديق

وإذا النور نذير طالع
وإذا الفجر مطل كالحرير
وإذا الدنيا كما نعرفها
وإذا الأحباب كل في طريق

قلت - من قبل - إن ناجي كان يتمنى من كل قلبه أن تغنى له أم كلثوم
إحدى قصائده، لكن الأمنية لم تتحقق إلا بعد رحيله عن عالمنا، وهنا
أطرح سؤالاً طرحته على نفسى عدة مرات منذ سنوات : هل هناك من
غنى قصائد لناجي خلال حياته ؟

كنت قد حصلت على مجلد نادر يضم أعداد السنة الأولى من مجلة
أسبوعية، هى مجلة (الراديو المصرى) التى صدر عددها الأول يوم ٢١
مارس سنة ١٩٣٥ أى بعد تأسيس الإذاعة المصرية بنحو سنة واحدة،
والحق أنى قد تصفحت أعداد تلك المجلة بصورة سريعة فى البداية، ثم خطر
لى أثناء إعدادى للأعمال الشعرية المختارة لناجي أن أعود لقراءة
(الراديو المصرى) بصورة متأنية، ونتيجة لهذا التأنى فإني توصلت إلى الإجابة
على السؤال الذى كان يشغلنى، وكنت أطرحه على نفسى: هل هناك من
غنى قصائد لناجي خلال حياته؟

أستطيع الآن الإجابة، وهى بالإيجاب.. نعم.. هناك من غنى لناجي
خلال حياته.. ومتى؟.. فى سنة ١٩٣٥.. فى حفلة يوم ٣ مايو سنة

١٩٣٥ غنى الأستاذ محمد صادق (قصيدة من تأليف الدكتور إبراهيم ناجى، ومن تلحين محمد صادق).. ولكن ما هى هذه القصيدة؟.. هنا المفاجأة المدهشة.. فقد غنى محمد صادق سنة ١٩٣٥ أبياتاً مما غنتها أم كلثوم سنة ١٩٦٦.. وهذه الأبيات من قصيدة (الوداع) لناجى، وإذا كانت أم كلثوم قد غنت منها - كما ذكرت - سبعة أبيات، فإن محمد صادق قد غنى ثمانية أبيات، أى أنه غنى البيت الذى لم تغنه أم كلثوم، والذى أشرت إليه من قبل، وأثبتُ هنا الأبيات الثمانية التى غناها محمد صادق سنة ١٩٣٥:

هل رأى الحب سكارى مثلنا
كم بنينا من خيال حولنا
ومشينا فى طريق مقمر
تشب الفرحه فيه قبلنا
وضحكنا ضحك طفلين معاً
وعددونا فسبقنا ظننا
وتطلعنا إلى أنجمه
فهاوينا وأصبحنا لنا

لم يا هاجر أصبحت رحيماً
والحنان الجم والرقّة فيما
لم تسبقيني من شهد الرضا
وتلاقيني عطوفاً وكريماً
كل شيء صار مرا في فمي
بعدما أصبحت بالدنيا عليماً
آه من يأخذ عمرى كله
ويعيد الطفل والجهل القديم

وإذا كان لابد أن نلاحظ شيئاً في ترتيب الأبيات، فإنني أذكر هنا أن البيت
الذي لم تغنه أم كلثوم هو الثالث في النص الأصلي للمقطوعة، ولكن
محمد صادق جعله البيت الرابع، وفضلاً عن هذا، وخارج سياق الحديث،
فإن مجلة (الراديو المصري) أخطأت خطأ طباعياً في هذا البيت، فجاء على
هذا النحو:

وتطلعنا إلى أنجمه
فتسهاويناً وأصبحنا لنا

والصحيح، كما ورد في نص القصيدة ضمن ديوان (وراء الغمام) الذى صدر سنة ١٩٣٤ هـ:

وتطلعنا إلى أنجمه

فتهاوين وأصبحن لنا

وهنا أود أن أقول إن أم كلثوم ربما تكون قد استمعت إلى أبيات ناجى هذه سنة ١٩٣٥ من خلال حفلة محمد صادق، وإذا لم تكن قد استمعت، فإنها - بالتأكيد - قد قرأت هذه الأبيات، لأنها منشورة فى (الراديو المصرى) إلى جوار نصوص الأغاني التى كانت تغنيها فى نفس تلك السنة، وقد عاد محمد صادق إلى غناء أبيات ناجى مرة ثانية فى ٣ أغسطس ١٩٣٥، ثم غنى لناجى قصيدة (الغد) فى حفلة ١٧ أغسطس من نفس تلك السنة، وهى القصيدة التى غنتها فيما بعد المطربة الكبيرة سعاد محمد، ولحنها رياض السنباطى، وغنى محمد صادق قصيدة ثالثة لناجى فى حفلة ٣١ أغسطس ١٩٣٥، وهى بعنوان (توأم الروح) التى ضممته - فيما بعد - ضمن القصائد المجهولة فى (الأعمال الشعرية الكاملة) لناجى، ومطلعها:

مهلاً فإن المنادى شطرك الظامى

يا توأم الروح أدرك روحى الدامى

● بحكم عملى فى الصحافة، فإنى أعذر الذين يقعون فى أخطاء، تبدو مضحكة أحياناً، نتيجة عدم التزامهم بالدقة التى تتطلب التأنى، وهو ما لا يتحقق للصحافة اليومية بصورة أساسية، لكنى أتصور أن التأنى مطلوب حين يكون ما هو مكتوب فيها مكتوباً فى مجلة أسبوعية، ويصبح التأنى مطلوباً أكثر حين يكون المقال مقالاً لرئيس تحرير المجلة الأسبوعية. على غلاف عدد ١٣ فبراير سنة ٢٠٠٠ من مجلة (نصف الدنيا) الأسبوعية والتى كانت الكاتبة الصحفية سناء البيسى ترأس تحريرها - وفتها - نطالع عنواناً مثيراً هو (سناء البيسى تنفرد بنشر أشعار مجهولة لإبراهيم ناجى بخط يده)، أما المقال ذاته فإن خاتمته تقول: (.. يا ناجى الأشعار.. بإزاحة الستار عن قصائدك الجديدة نعدو نسابق جميع الصحف والمجلات والمحافل والأقطار..)!!

يستند مقال سناء البيسى على مجموعة من القصائد بخط ناجى، وهى من القصائد التى تحتفظ بها السيدة أميرة إبراهيم ناجى، وقد سعدت سناء البيسى بهذه القصائد، وقامت بتصويرها، لتشر ضمن مقالها الأسبوعى، ولو كانت هذه القصائد (جديدة) حقاً لكنت قد سعدت بها، باعتبارى واحداً ممن يعشقون قصائد الشاعر الرقيق والكبير، لكنى أدركت بمجرد أن تصفحت القصائد المنشورة فى (نصف الدنيا) أنها - فى معظمها - ليست

(جديدة) وبالتالي فإن سناء البيسى ما كان يحق لها أن تقول (يا ناجى
الأشعار.. بإزاحة الستار عن قصائدك الجديدة نعدو نسابق جميع الصحف
والمجلات والمحافل والأقطار..)!!

كنت أتمنى أن تقرأ سناء البيسى دواوين ناجى، وبالذات ديوان (ليالى
القاهرة). قبل أن تكتب عن ناجى ما كتبت، متصورة أنها قد أتت بشيء
جديد، دون أن يكون هناك أى جديد بالفعل، وذلك لأن معظم القصائد
المصورة بخط ناجى، تمثل مقطوعات من قصيدة (الخریف) وهى إحدى
قصائد ديوان (ليالى القاهرة) الصادر سنة ١٩٥٠، وقد ضمت هذه
القصيدة إلى (الأعمال الشعرية الكاملة) لناجى، كما أنها موجودة كذلك
ضمن (الأعمال الشعرية المختارة) لناجى.

* أعرف أن الكاتبة سناء البيسى تعشق محمد عبد الوهاب، فكيف لم
تستطع أن تتبين أن القصيدة الوحيدة التى غناها عبد الوهاب لناجى، والتى
أشرت إليها هنا من قبل، هى من ضمن القصائد التى تقول هى عنها إنما
(جديدة)؟!.. هل (أى سر فيك إني لست أدري..) جديدة؟! وإلى جانب
هذا فإن عملية نقل بعض القصائد المكتوبة بخط ناجى، لكى يتسنى نشرها
بحروف الطباعة قد شابتها أخطاء، أذكر هنا منها على سبيل المثال:

عندما (أرفع) ركب العمر
(شاهدت) الدنيا وجوهاً ورؤى

فالصحيح، كما ورد بخط ناجي الواضح، وكما ورد في ديوان (ليالى القاهرة) و (الأعمال الشعرية الكاملة) و (الأعمال الشعرية المختارة) هو:

عندما أزمع ركب العمر

شاهت الدنيا وجوهاً ورؤى

أتمنى أن تعود سناء البيسى إلى مقالها وإلى دواوين ناجي، لكي تتبين أشياء عديدة، لا مجال هنا لأن أطيل في الحديث عنها وشرحها.

● من خلال متابعتي المتأنية لشعر ناجي، وقراءاتي الفاحصة للدراسات التي صدرت عنه، أدركت أن كثيرين من الدارسين والباحثين الأكاديميين قد وقعوا في أخطاء فادحة، بل فاضحة، وقد أشرت إلى بعض هذه الأخطاء، لا كلها، في الدراسة التي أسميتها (ناجي.. الحياة - الحب - الموت) وإذا كنا نعذر الورثة لأنهم ليسوا متخصصين، فهل بمقدورنا أن نعذر الدارسين والباحثين الأكاديميين؟!

● أود أخيراً أن أشير إلى قضية حساسة، لأنها تتعلق بورثة الشعراء الذين أحببتهم بصورة عامة، فقد أدركت أن كثيرين منهم لا يحسنون التصرف فيما تحت أيديهم من كنوز أزواجهم أو آبائهم الشعراء الذين رحلوا عن عالمنا، ولأن هؤلاء الورثة ليسوا متخصصين في الأدب ولا في تحقيق النصوص، فإنهم يقعون بين الحين والآخر في أخطاء فادحة، وقد يوقعون معهم في مصيدة تلك الأخطاء من

يتعاملون معهم من المحققين، وهذا ماجرى بالفعل فيما يتعلق بالشاعر الرقيق الكبير الدكتور إبراهيم ناجي، لكنني أكتفى بما قلت، دون أن أورد أمثلة عديدة أعرفها حق المعرفة، وذلك حرصاً مني على عدم إحراج أحد.

- إذا كنت وما زلت أبذل جهوداً مضنية وبدافع الحب تجاه شاعر الحب الرقيق والكبير الدكتور إبراهيم ناجي ، فإن هناك من يحبون استثمار هذه الجهود بوسائل متنوعة مختلفة ، وعلى سبيل المثال فإن أحد الناشرين العراقيين قام بإعادة طبع كتابي الأول عن ناجي سنة ١٩٨٥ في بيروت دون أي استئذان ، وقد عرفت الأمر بالمصادفة حين دخلت إحدى المكتبات في بغداد واكتشفت هذا الذي حدث ، وقد حاول صاحب المكتبة وقتها أن يداعبني ، قائلاً إن إعادة طبع كتابك حتى لو لم تكن تعلم معناها أن كتابك قيم ومهم ، وفي سنة ٢٠٠٠ كنت في زيارة لدمشق ووجدت في إحدى مكتباتها كتاباً عن الشعراء العرب الظرفاء ، وبعد أن تصفحت الكتاب وجدت أن مؤلفه - أو سارقه - قد سرق مقالا كاملاً لي كنت قد نشرته في مجلة الهلال الشهرية المصرية ، ويبدو أن هذا السارق واسمه هاني الخير كان متعجلاً فلم يحاول أن يغير ولو جملة واحدة مما كتبه !

- صدر عن مركز الراية للنشر والإعلام بالقاهرة سنة ١٩٩٩ كتاب إبراهيم ناجي شاعر الحب والعشق، وقد نقل مؤلفه كثيراً مما كنت قد كتبه عن ناجي وبالذات في مقدمة الأعمال الشعرية لناجي ، التي صدرت - كما ذكرت - سنة ١٩٩٦، كما أصدرت دار الكتاب العربي ومقرها في كل من دمشق والقاهرة كتاباً لنفس هذا المؤلف بعنوان إبراهيم ناجي شاعر الأطلال وقصائده العاطفية - سنة ٢٠٠٤ وارتكب هذا المؤلف في كتابه الثاني نفس ما ارتكبه في كتابه الأول. وحين قابلني المؤلف الذي لن أذكر اسمه ظل يعتذر لي قائلاً إن الهوامش التي كان قد كتبها في الكتاين اللذين أصدرهما، وفيها إشارات إلى ما أخذه مني قد سقطت أثناء طبع كل كتاب منهما ، وقد تظاهرت بتصديقه لكي ينفذ اللقاء الذي جمعي معه بالمصادفة.
- أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة أدباء القرن العشرين طبعات جديدة من دواوين ناجي : وراء الغمام سنة ٢٠٠٨ - وليالي القاهرة سنة ٢٠٠٨ - والطائر الجريح سنة ٢٠١٠ ، وقد علمت فيما بعد أن الذي تصدى لتقديم هذه الدواوين كان قد أكد أنني لست موجوداً في مصر وليس لي عنوان يمكن من خلاله التواصل معي ، لكي تُعهد إليه هو مهمة تقديم دواوين ناجي في تلك الطبعات الجديدة ، وهكذا نقل هذا المتصدي من جهودي ما نقل ،

وقد أشار - شكر الله سعيه - إلى ذلك أحياناً ، ولكنه تغافل -
سامحه الله - عن الإشارة في معظم الأحيان ، كما حاول أن يثبت أنه
قد تفوق في الكشف عن أمور جديدة لم أتنبه أنا لها ، ولكنه -
للأسف - لم ينجح ، وهذه السطور تؤكد عدم نجاحه ، ولهذا فإني
أدعو له بالنجاح في تقديم أعمال أخرى لشعراء آخرين !

● هذا قليل من كثير ، أحببت أن أشير إليه قبل أن أبدأ تقديم هذه
الأعمال الشعرية الكاملة لناجي في هذه الطبعة الجديدة التي تحمس
لصدورها الدكتور عماد أبو غازي الأمين العام للمجلس الأعلى
للثقافة، ويبقى الحب الذي يدفعني دفعا إلى العمل المضني، وفاء لمن
أحببتهم من شعرائنا العرب، وفي صدارتهم شاعر الحب الرقيق والكبير
إبراهيم ناجي.

(حسن توفيق)

قصيدة في القلب

بقلم : رجاء النقاش

إبراهيم ناجي اسم جميل في تاريخنا الفني المعاصر، وهو اسم لم تعرفه الجماهير الواسعة إلا عندما غنت له «أم كلثوم» قصيدته الشهيرة «الأطلال» من تلحين السنباطي، ولكن ناجي كان قبل ذلك أغنية رائعة، يعرفها الذين يحبون الشعر ويقرأونه بقلوبهم قبل أن يقرأوه بعيونهم أو بألسنتهم، وقصائده تصدر من عسارة قلبه، وقلبه صادق وأمين، وهو بسيط مثل العصافير والزهور وقطرات الندى. ليس فيه تعقيد من أي نوع، وليس فيه غموض أو ضباب، مشاعره صريحة، وأحزانه وأفراحه فصيحة، وقد أقام في قصائده معبداً للجمال والحب، لاتستطيع أن تدخل إليه إلا حافي القدمين، صافي الوجدان، هامس الصوت، ملقياً وراءك بكل الغبار الناتج عن الصراعات المختلفة في الحياة اليومية. هو الشاعر الصادق، الذي يدرك أنه يجري وراء أسرار الحب والحياة، فيشعر أن كل ما قاله، وكل ما وصل إليه لم يكن كافياً، ولم يكن هو الكلمة الأخيرة، فكتب هذا البيت الجميل: [مهما أقل بقيت لديّ قصيدة في القلب لم تنطق بها الشفتان] فهو يحس دائماً أنه لم يقل كل شيء، ولم يعرف كل الأسرار، وأن الوصول إلى الحقيقة الكاملة في هذه الدنيا أصعب من الإمساك بالماء في قبضة اليد. هناك شيء لم يقله ، لأنه

لا يعرفه، ولكنه يحس به في أعماق قلبه دون أن يستطيع تحديده بصورة كاملة ونهائية. ولكن هذا الشاعر المتصوف الذي يحس بالاغتراب الدائم في الحياة يثق في أشياء أخرى ثقة كاملة. فهو عندما يحب يقول لحبيبته: كل الورى يدعون حبك أنا الوحيد الذي أحبك. ويقول: نمشي وقد طال الطريق بنا فنود لو نمشي إلى الأبد، ونود لو خلت الحياة لنا كطريقنا، وغدت بلا أحد. أمنيات بسيطة، ورغبات سهلة، ليس فيها كما قد يتصور البعض أي عدوان على الآخرين، فعندما يتمنى الشاعر العاشق أن تخلو الحياة له مع حبيبته، فهو لا يعني بذلك إنكار وجود الآخرين، أو الرغبة في القضاء عليهم، وإنما يعني أن يتعد عنه فضول الناس، وأن تكون مشاعره كلها في حالة تركيز على هواه، بحيث لا يشعر بضجة الحياة من حوله، لأن ضجة الحياة تؤذي مشاعر المحبين وتقضي على سلام العاشقين، وتطرد كل العصافير من عشها الهادئ الذي ليس فيه شيء من نعيم الدنيا غير الدفء والحنان. وهو نفسه الشاعر الذي لا يجد علاجاً للأحزان، إلا في الحب كما يفهمه، أي في المشاركة الإنسانية الصادقة التي تمنح الرضا والثقة للإنسان وتفجر في قلبه أجمل الأغاني والألحان «إني لطير حائر باك قد كانت الأحزان فلسفتي. ذابت حناناً يوم لقياك وجرت أغاريداً على شفتي» ومثل هذا الشاعر الجميل الصادق والعذب.. مثل هذا الصوفي الذي يتعبد في الحب. والجمال لم يكن من السهل أن يفهمه عصره. وكيف يفهم الناس إنساناً يهمس ولا يصرخ، وكيف يفهمون من

يعزف على أوتار هادئة، ولا يدق على طبول صاخبة؟. كيف يفهم الناس إنساناً لا يحب أن يلفت الأنظار إليه، ولا يطلب من الناس شيئاً إلا أن يتركوه في حاله، وألا يدوسوا بأقدامهم فوق أزهار حديقته الصغيرة؟ كان إبراهيم ناجي، غير مفهوم بالدرجة الصحيحة والكافية طيلة حياته التي امتدت بين ٣١ ديسمبر ١٨٩٨، يوم ميلاده و ٢٤ مارس ١٩٥٣، يوم رحيله المفاجئ عن الدنيا، أثناء عمله بعيادته في شبرا، وكان يومها في الخامسة والخمسين من عمره. كيف وقع هذا الشاعر الإنساني المبدع في خصومة مع عصره؟ قال عنه أحد النقاد البارزين وهو الأستاذ عباس خضر، إنه يتغزل في كل امرأة يلتقي بها، وسماه من باب السخرية باسم "الدكتور عمر بن أبي ربيعة" وليس "الدكتور إبراهيم ناجي" تشبيهاً له بالشاعر العربي القديم الذي اشتهر عنه أنه مولع بالنساء، وأنه كان لا يكتب قصيدة إلا ليروي قصة مغامرة من مغامراته العاطفية. وتشبيه الدكتور ناجي بعمر بن أبي ربيعة تشبيه طريف وخفيف الظل، ولكنه بعيد عن الحقيقة الأدبية والحقيقة الانسانية معاً. ذلك لأن ناجي كان شاعراً من شعراء العواطف النقية الصافية، أي أنه كان في شعره يعبر عن معان روحية عميقة راقية، بينما كان عمر بن أبي ربيعة شاعراً مغامراً مفتوناً بجسد المرأة، أكثر مما هو مهتم بمشاعرها وتجاربها الروحية المختلفة، ولذلك فهو يتنقل بيسر وسهولة من امرأة إلى أخرى، ولا يلتفت إلى أي معنى من معاني الصدق في العاطفة، أو الوفاء في المشاعر، إنه شاعر حسي يطربه جسد

المرأة، أما ناجي فهو شاعر متصوف لا يطر به إلا كل ما له علاقة بالنفس والعواطف الإنسانية العميقة. ونجد نموذجاً آخر لهذا الظلم في تقدير عواطف ناجي فيما كتبه عنه الفنان المسرحي الكبير نعمان عاشور حيث يقول: «..كان ناجي كلما رأى امرأة وقع في حبها، فالحب عنده كما يقول كامل الشناوي مثل «قزقة اللب»، وكامل الشناوي نفسه كان كذلك، ويبدو أن جميع كتاب القصائد الرومانسية من الشعراء مثلهما تماماً، والشرط الوحيد هو أن تكون المرأة جميلة وأن يكون جمالها موحياً بالشعر»، والحق أن ما يقوله نعمان عاشور عن ناجي ليس صحيحاً، فقد كان ناجي من كبار الشعراء الذين ينظرون إلى الحب نظرة احترام وتقديس، ولم يكن من الذين يعشون بهذه العاطفة الراقية، ولا من الذين يعتبرون المرأة موضوع لهو وترفيه، ولم يكن من الذين ينتقلون بعواطفهم من امرأة إلى أخرى كلما لاح أمامهم وجه جميل. ومن حسن حظ ناجي أنه وجد تلميذاً من تلاميذه الأوفياء، الذين عاشوا مع شعره فأحبوه وفهموه فهما صحيحاً بالغ العمق، وهذا التلميذ النابغ لم يعرف ناجي معرفة شخصية ولم يلتق به في حياته، فقد مات ناجي سنة ١٩٥٣، وكان تلميذه، العاشق لشعره لا يزال صبياً صغيراً، وكان لا يزال طالباً في المدرسة الإعدادية أو الثانوية. ولكن هذا التلميذ كان موهوباً، وكان شاعراً ومفتوناً بالشعر والشعراء. وقد تعرف على قصائد ناجي في بداية حياته فتعلق بها، وأحبها، وأخلص لناجي إخلاصاً أدبياً نادر المثال. هذا التلميذ

هو الشاعر النابغ الموهوب حسن توفيق. وقد ظل حسن توفيق يبحث عن شعر ناجي، في الصحف والمجلات، وعند أصدقائه الذين عرفوه واحتفظوا ببعض أشعاره، أو كانوا يعرفون مصادرها المختلفة، وعلى رأسهم أديب كبير يعيش في الظل حتى الآن، ولا يسعى إلى الأضواء هو الأستاذ وديع فلسطين.

استطاع حسن توفيق أن يجمع معظم أشعار ناجي المبعثرة، ولا نقول كل أشعاره خوفاً من أن يكتشف حسن توفيق - نفسه - في الغد أشعاراً جديدة، لأنه لا يكف عن البحث والتنقيب في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في عصر ناجي، وحسن توفيق في جهده المتواصل لجمع كل آثار ناجي يمثل نموذجاً نادر المثل من الوفاء الأدبي العجيب، فأى شاعر في هذا العصر يرضى أن يقوم بهذا الجهد الكبير لخدمة شاعر آخر، لارتبطه به صلة شخصية، وليس بينهما معرفة ولا صداقة، وليس هناك من دافع وراء هذا الجهد الأدبي إلا الصلة الفنية بين شاعر موهوب من شعراء الجيل الماضي هو ناجي، وشاعر موهوب آخر من شعراء الجيل الحالي هو :حسن توفيق.

ولقد كان ناجي بأشد الحاجة إلى مثل هذا الصديق الأدبي المخلص الأمين الذي يمثله حسن توفيق، ذلك لأن ناجي لم يجمع في حياته سوى ديوانين له هما وراء الغمام (١٩٣٤) وليالي القاهرة (١٩٥٠)، وقد استطاع حسن توفيق أن يجمع لناجي مائة قصيدة وقصيدة، كانت مبعثرة في الصحف والمجلات، وبعضها صحف ومجلات ثانوية وغير مشهورة والعثور عليها أمر

بالغ الصعوبة، وقد قام حسن توفيق بعد ذلك بجمع قصائد ناجي كلها في مجلد كبير أصدره المجلس الأعلى للثقافة تحت إشراف أمينه العام الدكتور جابر عصفور وبتشجيع كامل منه. وكتب حسن توفيق مقدمة رائعة لهذه الأعمال الكاملة، وهي مقدمة تزيد على مائة صفحة، وتمثل في مجموعها كتاباً كاملاً عن إبراهيم ناجي، ولا شك أن هذه المقدمة هي أحسن ما ظهر في المكتبة العربية حتى الآن عن حياة ناجي وشعره، فهي مقدمة شاملة، شديدة الدقة في بحثها عن كل التفاصيل الصحيحة التي تتصل بحياة ناجي وفنه.

ولو أن حسن توفيق قد ركز جهده على جمع أشعار ناجي فقط، لكان هذا الجهد محدود القيمة، ولكن حسن توفيق بذل جهداً عالياً في فهم كل ما يتصل بناجي وفنه، واستعان في ذلك بذوقه الرفيع وثقافته الأدبية العالية، واجتهاده غير المحدود في البحث عن المصادر الصحيحة للمعلومات، حتى لقد استعان ببعض المخطوطات، ولم يتردد في البحث عن المعلومات الشفوية عند من يملكونها من الأحياء. وكان من الطبيعي بعد ذلك أن تكون المقدمة التي كتبها لأعمال ناجي، مقدمة رقيقة، يكاد ناجي يظهر فيها حياً أمامنا بكل ما في الحياة من دفء وقوة. واستطاع حسن توفيق أن يصحح بعض الأفكار الخاطئة، ويثبت لنا بالأدلة الدقيقة الثابتة، أن ناجي لم يكن فناناً متقلب العاطفة، يتنقل بقصائده من امرأة إلى أخرى كما اتهمه بعض معاصريه، ولكنه كان يحب امرأة واحدة، تحولت في وجدانه إلى مثل أعلى للمرأة، بكل ما فيها

من فضائل وقدرة على الإلهام وتفجير العواطف في قلب شاعر حساس مثل ناجي، وظل حسن توفيق يبحث ويسأل ويقارن ويستنتج حتى توصل إلى أن المرأة الوحيدة التي أحبها ناجي كانت امرأة حقيقية، وكان لها وجود في حياته، بل وبلغ به الإصرار على الوصول إلى الحقيقة الكاملة إلى اكتشاف اسم هذه المرأة، والتي يقول لنا حسن توفيق إن هذا الاسم هو عنايات محمود الطوير. أما كيف اكتشف حسن توفيق اسم ملهمة ناجي في شعره العاطفي فإنه يروي لنا ذلك في مقدمته البديعة لأعمال ناجي (ص ٣٥) فيقول:

في السنوات الأخيرة من حياة الشاعر صالح جودت، كانت علاقتي به وثيقة حقاً، على الرغم من اختلاف الأهواء والثقافة والنشأة والأجيال، وفي جلسة حميمة مع صالح جودت سألته عن ملهمة قصيدة الأطلال لناجي، فأكد لي، وكان صديقاً مقرباً من ناجي، أن ناجي لم يكتب رائعته من وحي أية ممثلة من اللواتي ادعين ذلك الادعاء، وقال لي إنها من وحي حبه الأول ع. م، فاستفسرت منه عنها فأخبرني باسمها، ورجاني أن أحتفظ بالأمر سرا، لأنها ما زالت على قيد الحياة، ولأن ناجي كان يحبها من جانبه هو فحسب، وبعد رحيل صالح جودت عن عالمنا، حاولت أن أتأكد مما قاله عن ع. م حيث سألت الأخ الأصغر لناجي وهو المهندس الراحل حسن ناجي عما أعرفه من صالح جودت، فأكد لي أن الاسم صحيح، لكنني لم أشأ أن أشير إلى اسم ع. م إلا بعد أن رحلت هي أيضاً عن عالمنا، حيث ذكرت الاسم في

مقال لي كتبته سنة ١٩٨٤ قلت في خاتمته: ... الآن وقد رحلت عنا المهمة الحقيقية لناجي أجد أن من حقي أن أذكر اسمها لأول مرة.. إنها السيدة عنايات محمود الطوير، وهي ع. م التي أهدي إليها ناجي ديوانه الأول وراء الغمام، والمثال الذي عاش ناجي يناجيه طيلة حياته في قصائد عديدة.

ثم يقول حسن توفيق مفسراً بعض أسرار هذا الحب في حياة ناجي: أذكر أن المهندس حسن ناجي كان قد أعارني كتاباً مخطوطاً كتبه الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحي عن إبراهيم ناجي، وحين قرأت هذا الكتاب المخطوط قراءة متأنية وجدت الماحي، وكان من أصدقاء ناجي المقربين - يتحدث عن ع. م دون أن يشير صراحة إلى اسمها فيقول في صفحة ٦٥ من كتابه المخطوط: فأما حبه الأول فقد كان لفتاة جميلة من قريباته وهي تقطن بجواره، وتمكن الحب من قلبه، ولم يجد هذا الحب اعتراضاً من جانبها، بل وجد تجاوباً منها، فضمهما الحب روحياً، وتعاهدا على أن يكون أحدهما للآخر في حياة سعيدة فلما وصل ناجي إلى مرحلة الدراسة في مدرسة الطب، أبت الانتظار حتى يتم دراسته وتزوجت غيره، وظل هو على حبه العفيف الذي لازمه طيلة حياته، وكلما مرت به لحظة حب أو إعجاب بامرأة كان يتمثل فيها فتاة حبه الأول...

وهكذا يحسم الشاعر الباحث حسن توفيق أمر القصائد العاطفية لإبراهيم ناجي، ويردها إلى مصدرها الواقعي الصحيح، ويثبت أن من سوء

الفهم لشعر ناجي أن يقال عنه إنها صادرة عن عاطفة متقلبة، لا تكاد ترى امرأة جميلة حتى تسقط في هواها، ثم تنصرف عنها إلى غيرها بسهولة ويسر، شأن العواطف السطحية السريعة التي ليس لها في القلب جذور ثابتة، على أن هذا الدليل الواقعي وحده لا يكفي لنفي التقلب، وما يصاحبه من سطحية عن عواطف ناجي، فهذا الدليل الذي توصل إليه حسن توفيق ليس إلا نوعاً من الدليل المساعد، أما الدليل الأصلي فهو شعر ناجي نفسه، فهو شعر يفيض بالصدق، ولا يهتم كثيراً بأوصاف الجسد أو التغني بهذه الأوصاف، وإنما يتغنى أولاً وقبل كل شيء بما يدور في الوجدان والروح من حركة وصراع، ويخرج من الحب بمذهب كامل في النظر إلى الحياة والناس، فهو الذي يقول: ذلك الحب الذي علمني أن أحب الناس والدنيا جميعاً فالحب عند ناجي معنى إنساني فياض شامل، وتجربة روحية كبيرة وكاملة، وهو مدرسة يتعلم فيها الإنسان كيف تصفو نفسه، وكيف يصبح قلبه نقياً طاهراً، وكيف يتحمل الألم في صبر وكبرياء، وكيف يكون قادراً على العطاء دون أن ينتظر ما يقدمه إليه الآخرون. إنها صورة مثالية للحب، لا يكاد أحد يتصور أن بإمكانها أن تتحقق في واقع الحياة. ومع ذلك فنحن بحاجة إلى هذه الصورة المثالية حتى في عصرنا الواقعي الخشن الذي نعيش فيه، ولا نكاد نحس أن للمثالية أي أثر عليه.

وهذا الشعر الذي يقدمه شاعر كبير مثل ناجي يظل بأصالته وصفائه وبساطته وقربه من القلب، أشبه بالموسيقى الخالصة التي يبحث عنها أصحاب

النفوس الحساسة، يستمعون إليها في هدوء وصمت، ويحاولون أن ينفصلوا مع أنغامها الصافية عن آلام الحياة وتفاصيلها اليومية المرهقة، وكثيراً ما تكون هذه الموسيقى نوعاً من الدواء والشفاء، رغم أنها لا تصور واقع الحياة، بقدر ما تحملنا على جناحها بعيداً عن الواقع، ولو لفترة قصيرة تجدد قدرتنا على مواجهة الحياة في صبر وارتفاع على الصغائر.

وشعر ناجي في الحب من هذا النوع. إنه موسيقى مبعثرة في كلمات وأبيات وقصائد، تفصلنا عن الحياة، لتعيدنا إليها بعد ذلك ونحن أصفى وأقوى.

ولا شك أن الأعمال الكاملة لناجي والتي سهر على جمعها وترتيبها وتفسيرها وتقديمها شاعرنا الموهوب حسن توفيق هي نوع من إعادة اكتشاف ناجي، ورسم صورة دقيقة وصادقة له، وهي بالنسبة لنا ثروة روحية كبيرة، تعود إلينا بعد أن كانت مبعثرة ومعرضة للضياع الكامل، وسوف نجد في هذه الثروة الفنية ما يجدد أرواحنا، ويكشف أماننا نبعاً رقيقاً صافياً للعواطف الإنسانية في أصدق صورة لها، ونستطيع أن نقرب من هذا النبع كلما ضاقت بنا الحياة فنجد فيه ما يعيد إلينا طمأنينة النفس، وهدوء القلب، والثقة في أن الحياة — مهما كانت متاعبها — لا تخلو من عناصر الجمال والصفاء.

**** هذا المقال كتبه الكاتب الكبير رجاء النقاش ونشر في جريدة الأهرام**

يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٩٦.

إبراهيم ناجي ...

الحياة - الحب - الموت

بقلم: حسن توفيق

نحن لم نولد بإرادتنا، ولا نموت بإرادتنا. لكننا نستطيع أن نسعى لتحقيق ما نود أن نحققه بإرادتنا عبر سنوات حياتنا.

ما بين يوم ٣١ ديسمبر عام ١٨٩٨ ويوم ٢٤ مارس عام ١٩٥٣، عاش شاعر مرهف الحس، محب للحياة إذا جادت عليه بالحب، وناقم عليها، بل كاره لها إذا حرمته من الحب. هذا الشاعر المرهف الحس هو الدكتور إبراهيم ناجي الذي كانت حياته قصيدة حب ذات مقاطع متنوعة، أغلبها شجي وحزين، وأقلها مسكون بالفرح.

امتزج شعر ناجي بحياته امتزاجاً عميقاً، يصعب معه أن نفصل بينهما، فقد كانت قصائده انعكاساً لحياته، وكانت حياته - بمنغصاتها والآمها الكثيرة وبأفراحها القليلة - مرسومة في قصائده .. لكن ناجي - في خضم حياته - لم يهتم بجمع قصائده أولاً بأول في دواوين تضمها مجتمعة، على عكس شعراء جيله وشعراء الأجيال التالية، وعلى سبيل المثال، فإن ناجي الذي عاش أربعاً وخمسين سنة لم يصدر غير ديوانين في حياته، بينما نجد أن علي محمود طه الذي عاش سبعة وأربعين سنة (من ١٩٠٢ إلى ١٩٤٩) قد أصدر خلال حياته دواوينه «الملاح التائه» و «ليالي الملاح التائه» و «أرواح وأشباح»

و«زهر وخمر» و «الشوق العائد» و «شرق وغرب». اهتمام علي محمود طه بجمع قصائده في دواوين خلال حياته، جعل مهمة الذين تصدوا لجمعها في «أعمال شعرية كاملة» مهمة سهلة ويسيرة، بينما تكفل عدم اهتمام ناجي بجمع قصائده في دواوين - باستثناء ديوانين - خلال حياته، بأن يجعل مهمة الذين تصدوا لجمع تلك القصائد في «أعمال شعرية كاملة» مهمة صعبة وعسيرة..

حقاً، إنما مهمة صعبة وعسيرة، مهمة التصدي لجمع قصائد ناجي في مجلد واحد ضخيم، يضمها - مجتمعة - بين دفتيه، لكني أؤمن أن أي عمل ممزوج بالحب، يمكنه أن يتغلب على الصعاب وأن يجعل العسر يسراً... العمل الممزوج بالحب هو الذي صورته جبران خليل جبران في «النبى»، ويطيب لي هنا أن أقتطفه نقلاً عن الترجمة الرائعة التي قام بها الكاتب الفنان الكبير د. ثروت عكاشة. يقول جبران: «.. وما يكون العمل الممزوج بالحب؟.. هو أن تنسج الثوب بخيوط مسلوطة من قلبك، كما لو كان هذا الثوب سيرتديه من تحب.. هو أن تبني داراً والوجد رائدك، كما لو كانت هذه الدار ستضم من تحب.. هو أن تنثر البذور في حنان، وتجمع حصادك في فرح، كما لو كانت الثمار سيأكلها من تحب.. هو أن تنفخ كل ما تصنعه يداك بنسمة من روحك، وأن تدرك أن كل أعزائك الراحلين، قد التفوا حولك يراقبون..» .

أحسست بفرح عميق، رغم أن الفرح شحيح في زماننا، منذ أن كلفني الأستاذ الدكتور جابر عصفور - الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة، بمهمة إصدار «الأعمال الشعرية الكاملة» للدكتور إبراهيم ناجي، في طبعتها الأولى التي صدرت بالفعل سنة ١٩٩٦ وذلك لأنني كنت أقيم بالفعل لإصدارها بعد استكمال القصائد استكمالاً وافياً ودقيقاً، بل إنني كنت أحلم بإصدارها على نفقتي الخاصة، لكن الحلم كان يتحطم على صخرة الأعباء المادية التي لا قبل لي بها ولا بمواجهتها. وهكذا شرعت في مهمتي بحماسة لم أعهد لها في نفسي منذ سنوات، حماسة غذاها الحب لشاعر الحب الرقيق الدكتور إبراهيم ناجي ، الذي أحبته منذ صباى الباكر ، وقد نفذت نسخ الطبعة الأولى فور صدورهما ، وهما هي الطبعة الثانية الجديدة لهذه الأعمال الشعرية الكاملة تصدر عن المجلس الأعلى للثقافة ، ولكن كيف نشأ حبى لشاعر الحب وكيف تغلغل في أعماقي ولماذا ؟ ... هذا ما سأجيب عليه ..

ناجي .. والصبي الذي أحبه

مازلت أذكر هيئتي وأنا صبيُّ في الخامسة عشرة من عمره ... كان يحلو لهذا الصبي أن يقضي معظم أمسياته على شاطئ النيل في ساحل روض الفرج، مترنماً بأبيات عذبة رقيقة يختلس النظر إليها بين الحين والحين من ديوان شعر صغير الحجم يحمله معه في تلك الأمسيات باعتزاز وحب، كما لو كان يحمل شيئاً نفيساً يود أن يراه الناس جميعاً لكي يتسنى له أن يتباهى به عليهم ..

والحق أن المارة على شاطئ النيل لم يكونوا يأنهون كثيراً لهيئة هذا الصبي، بقدر ما كانوا يندهشون عندما يهطل المطر في تلك الأمسيات البعيدة، فيهرولون جميعاً، تاركين هذا الصبي بجسده النحيل وخطواته الهادئة المتسقة التي لم يفلح المطر في أن يخرجها عن هدوئها واتساقها .. كان هذا الصبي - وقتها - يسعد بهذا وينتشي إذ يرى شاطئ النيل وقد خلا من الناس فيما عداه ..

أليست هذه فرصته الذهبية التي يغتنمها لكي يترنم بالأبيات العذبة الرقيقة بصوت عالٍ يؤنسه ويزيح عن نفسه إحساسها بالوحشة الغريبة المبهمة؟! ..

كان هذا الديوان الذي يحمله الصبي هو ديوان «وراء الغمام» للدكتور إبراهيم ناجي، وما زال هذا الصبي - حتى بعد أن كبر وخط الشيب شعره -

يعتز بهذا الديوان، لأنه - من جهة - كان أول ديوان يقتنيه لمكتبته الوليدة، ولأنه - من جهة أخرى - كان يحمل الإهداء خطه ناجي لأحد مفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف .. يقول الإهداء: «لحضرة صاحب العزة عبدالحميد بك خضر مفتش وزارة المعارف .. مع تحياتي .. ناجي - ١٩٣٤/٥/٢٨» .. ولقد كان من حسن حظ الصبي أنه كان زميلاً لحفيد ذلك المفتش الراحل في مرحلة الدراسة الثانوية، فلولا هذا لما كان قد قُدر له أن يقتني هذا الديوان!! .. مرت الأيام .. وتلتها أيام .. وكبر الصبي .. وكبر معه حبه لشاعره الأثير الدكتور إبراهيم ناجي، لدرجة أنه كان يتعلق بالأشياء التي عرف أن شاعره قد تعلق بها في حياته، كما أنه ظل - لفترة غير بعيدة - يؤمن بالقيم والمثل التي كان شاعره يؤمن بها أو كان يتوهم أن شاعره يؤمن بها .. تملكه الزهو حين عرف أن شبرا التي ولد فيها قد شهدت ميلاد شاعره في يوم الحادى والثلاثين من شهر ديسمبر عام ١٨٩٨، حيث قضى ناجي طفولته المنعمة فيها بفضل ثراء والده ومركزه المرموق في المجتمع وقتها، وكان يطيب لناجي التنزه في حقول شبرا ومزارعها التي كانت ترتوى من مياه الترعة البولاقية، قبل أن يتضافر الناس على وأدها واجتثاث الحضرة من حقولها ومزارعها لكي يتسنى لهم أن يبتنوا المنازل والمدارس والمستشفيات بعد أن تكاثف السكان .. وكما شهدت شبرا ميلاد ناجي فإنها قد شهدت أيضاً أخريات أيامه، وشهدت رحيله عنا إلى تلك الديار المجهولة التي لم يعد من

الذاهبين اليها أحد .. فقد كانت عيادته الطبية - التي كان يتوجه إليها كل مساء لاستقبال المرضى - قائمة في شارع ابن الفرات بشبرا، وفي تلك العيادة ذاتها فاضت روح ناجي من أثر السكتة القلبية وكان ذلك في يوم الرابع والعشرين من مارس ١٩٥٣.

وكما تعلق الصبي بشبرا التي تعلق بها شاعره، فإنه تعلق أيضاً بالمنصورة التي تعلق بها شاعره منذ أن عمل طبيباً بها عام ١٩٢٧ أى بعد تخرجه من مدرسة الطب السلطانية بخمس سنوات .. ومدرسة الطب السلطانية هي بالطبع كلية الطب الآن .. وقد تخرج منها ناجي عام ١٩٢٢، ولم يطل به المقام في القاهرة بعد تخرجه، «إذ عين في وظيفة بالقسم الطبى لمصلحة السكك الحديدية ونقل إلى سوهاج، فأغلق عيادته بالقاهرة، وافتتح عيادة بسوهاج، وبنفس الخصائص والوسائل والخلال، لقي من النجاح أكثر مما لقي في القاهرة، ثم نقل من سوهاج إلى المنيا، ثم إلى المنصورة» التي التقى فيها ناجي برفاق الشعر والحب والشباب ممن سيكونون فيما بعد من أعضاء جماعة أبولو .. التقى ناجي بعلی محمود طه، والتقى بهما في نفس الوقت شاعران من ناشئة الشعراء وقتها هما محمد عبدالمعطي الهمشري وصالح جودت .. وكانت هذه الجوقة تتألف فكراً وشعراً في أمسيات عديدة من أمسيات عام ١٩٢٧ عند «صخرة الملتقى» وهي صخرة كانت قائمة عند موقع بين النيل والجزيرة الرملية التي ينحسر عنها الماء بعد موسم الفيضان فتبدو كالصحراء .. كان

أفراد الجوقة يلتقون لكي يتناشدوا أشعارهم الجديدة، ولكي ينهلوا في نفس الوقت من ينابيع أصدقائهم الروحيين من الشعراء الرومانسيين في الأدب الإنجليزي .. شللي وكيثس وبيرون ووردزورث .. ومن أوائل قصائد علي محمود طه التي كتبها في المنصورة قصيدته «صخرة الملتقى» وقد أرسلها إلى جريدة «السياسة الأسبوعية» التي كان يرأس تحريرها الدكتور طه حسين .. وقد نشرت تلك الجريدة قصيدة علي محمود طه في عددها الصادر بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٢٧، ثم كتب إبراهيم ناجي هو الآخر قصيدته «صخرة الملتقى» وأرسلها إلى نفس الجريدة حيث نشرت في عددها الصادر بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧، والحق أن ذكر التواريخ هنا أمر مهم جداً، لأنه ليس صحيحاً ما ذكره صالح جودت في مقدمة ديوان ناجي من أن ناجي كان أسبقهم إلى النشر كما سأوضح تفصيلاً فيما بعد، كما أنه يصبح من الثابت الآن بالدليل المادى أن ناجي لم ينظم قصيدته حوالى عام ١٩٢٨ كما توهم صالح جودت، ولم ينظمها عام ١٩٣٠ كما قطع بهذا أحمد عبدالمعطي حجازى في مقدمة مختاراته من «قصائد إبراهيم ناجي» وهذا ما سيتضح أكثر عندما نتحدث عن قصيدة «صخرة الملتقى» بالتفصيل.

إذا كانت الأيام قد أبعدت جوقة شعراء صخرة الملتقى عنها وعن المنصورة ذاتها، فإن ناجي لم يفتر تعلقه بهذه المدينة التي قضى فيها فترة من أجمل فترات حياته .. فبعد انقضاء إحدى عشرة سنة على ابتعاده عنها عاد

إليها سنة ١٩٤٢ ليبحث عن الهدوء ويتطلع إلى السكينة وراحة البال في جوانبها بعد أن طال تغرب روحه المثقلة بهمّ السنوات وأعباء الحياة، والواقع أن ناجي قد وجد - محققاً - أن تغربه يسكن داخل ذاته نفسها لا خارجها، وبالتالي فإنه من العبث البحث عن الهدوء ونشيدان السكينة وراحة البال بشد الرحال من مدينة إلى أخرى، ومن هنا فإن ناجي قد صرخ ملتاعاً حين أدرك استحالة ما يبتغيه:

وافيتها وفلول النور دامية	تطفو وترسب أو تعلو فتعتلقُ
لم أذّر حين تبتد لي إذا شفقي	أبصرته أم على المنصورة الشفق
يامن منحت الأمانى البيض معذرة	إني بهذى الأمانى البيض أختنقُ
أين الهدوء المرجى في جوانبها	إني رجعتُ ويلي كله أرقُ
أقبلت أنشد أماناً في هواك بها	فلم أنل وتولى قلبي الفراقُ
لا بالقلوب ولا الأرواح يا أملى	إنّا بشيء وراء الروح نعتنق

وقد كان من قدر الصبي المفتون بناجي أن يكون له - هو الآخر - غرام في المنصورة، تحدث عنه حينما كبر في قصيدة «أغنية حب للمنصورة» التي ضمها ديوانه الثاني «أحب- أن أقول .. لا» .. وإلى الآن فإن أصدقاء هذا الصبي الذي كبر مازالوا يعرفون فيه حنينه الدافق إلى المنصورة في حد ذاتها،

حتى بعد أن تحجرت القلوب وصدئت الأرواح وتفتت الأحلام على صخور الأهواء إلى أن بعثتها العواصف الهوجاء .. والحق أن هذا ليس بمستغرب من صبيّ ظل تصوره للحب منبثقاً - لفترة طويلة - من تصور شاعره الأثير له، ولعل هذا أن يكون سر الفرحة والحسرة اللتين أحس بهما - في وقت واحد - عندما وجد الدكتور محمد مندور يعلل سر نفاذ قصائد ناجي إلى قلوب محبيها بقوله: «لقد تحكم طبع ناجي في إنتاجه الشعري، وجارى هذا الطبع على سجيته، بل غذاه بمطالعاته في الآداب الغربية، فتميز بالطابع الوجداني وبالحب المثالي وأشواق الروح .. وهذا شعر يلقي أكبر الاستجابة في نفوس الشبان المحرومين رغم تفتحهم للحياة ...» لقد فرح الصبي بحديث الدكتور مندور لأنه فسر له سر تعلقه بناجي تفسيراً موضوعياً، وأصيب الصبي بالحسرة لأن حديث الدكتور مندور نبهه إلى أنه شاب محروم رغم تفتحته للحياة!!..

يبقى أن أقول إن الصبي المفتون بناجي كان كثيراً ما يعذب نفسه بقوله إن حبه لشاعره الأثير حب غير مكتمل .. وإلا فما معنى أنه لا يستطيع - في أحيان كثيرة - أن يتذكر عناوين قصائد شاعره؟! صحيح أنه يحفظ القصائد نفسها عن ظهر قلب إلى الآن .. أما عناوينها فإنما هي التي كانت تجعله يتصور أن حبه لناجي حب غير مكتمل .. فكثيراً ما كان يحس بالخرج عندما يطلب منه أصدقاؤه أن ينشدهم قصيدة «الحنين» على سبيل المثال، فيسمعهم بدلاً منها أبيات قصيدة «مناجاة الهاجر»!!! لم يكن لدى الصبيّ

وقتها تفسير ولا كان لديه تبرير، لكنه ذات مرة التفت إلى مقدمة أحمد الصاوى محمد التى تصدرت ديوان «وراء الغمام» فوجده يقول «يكاد يكون ديوان ناجى قصيدة واحدة وقصيدة حب» .. وبعدها تنبه إلى أن الدكتور محمد مندور قد أطلق على الفصل الذى تحدث فيه عن ناجى فى كتابه «محاضرات فى الشعر المصرى بعد شوقى» اسم «ناجى .. قصيدة غرام» ..

أجل ... إن ناجى قصيدة غرام متسقة، مهما تنوع الموسيقى فى مقاطعها الممتدة، أو تتغير القوافى فى أبياتها .. ومن هنا فإن العناوين ليست فى مجال الغرام بذات بال .. فالمهم فى الوردة الجميلة المفتحة شكلها ورائحتها لا اسمها أو عنوانها!!!.

ناجي ... الفراشة الحائرة

عاش ناجي حياته فراشة حائرة، تنتقل من غصن إلى غصن، عساها أن تجد بديلاً عن الزهرة التي كان ينشدها، لكنه حرم منها طيلة حياته، على الرغم من أنها لم تكن بعيدة عنه، وهذا مأساؤضحه فيما بعد عند الحديث عن «زهرة المستحيل والأخريات».

وكلما توهم ناجي أنه قد وجد الزهرة التي تعوضه عن زهرة المستحيل، كانت الهوة العميقة ما بين المثال وبين الواقع تبرز له، وكانت تلك الهوة العميقة تفصل ما بين المثال الذي خلقته تصورات شاعر مثالي للمرأة التي ينشدها بكل ما يخلع عليها من صفات ملائكية تجعلها دوماً مرفرفة في محرابها العلوي بعيداً عن البشر الفانين، وبين الواقع الذي تتمخض عنه الحياة ذاتها بكل ما فيها من نقائص بشرية وبكل ما تجلبه معها من منغصات أرضية. هذه الهوة العميقة ما بين المثال والواقع هي نفسها التي جعلت ناجي يحترق طيلة حياته .. وأغلب ظني أنه كان يعي هذا ويدركه تماماً، ولكن أكان بمقدوره أن يشكل حياته تشكيلاً جديداً مغايراً لما تشكلت عليه تلك الحياة بالفعل؟ وهل كان باستطاعته أن يخرج عن القضبان التي حددتها له عوامل نفسية واجتماعية عديدة، تضافرت - مجتمعة - لكي تجعل الشاعر يسير عليها سواء أشاء هذا أم كرهه .. هذه العوامل هي التي يصطلح معظمنا على تسميتها بالقدر..؟!..

حقاً إن ناجي كان - في بعض الأحيان - يتمرد على تصوراته للمرأة التي ينشدها، ويحاول أن يقنع نفسه بأن تلك المرأة لا وجود لها في الواقع لأنها من صنع خياله هو فحسب، لكن الحق أيضاً أن هذا التمرد لم يكن يزيد على كونه فقاعة صغيرة ما تلبث أن تتلاشى وسط تقلبات العواصف ودوامات البحار .. لنستمع إليه وهو يصرخ صرخة تمرد حادة وعابرة في نفس الوقت حيث يقول في قصيدة «بين الشاعر والريح» التي أصبحت - فيما بعد - أبياتاً من قصيدته الشهيرة «الأطلال»:

هاك فانظر عدد الرمل قلوباً ونساء
فتخير ما تشاء .. ذهب العمر هباء
ضلّ في الأرض الذي ينشد أبناء السماء
أى روحانية تُعصرُ من طين وماء

وبالطبع .. ما تلبث هذه الفقاعة أن تتلاشى، وما يلبث الشاعر أن يعود إلى القضبان التي حاول أن يخرج عنها .. ومن هنا فإننا نجده يتساءل عن معنى الحياة بدون الحب، ويظل هذا التساؤل يلح على وجدانه وفكره معاً كلما تمعن في شتى مظاهر الحياة .. إنه يتساءل عن الدافع الذي دفع الله تعالى إلى أن يزين السماء وينسق الكون ويجعله بهياً حافلاً بشتى ألوان الجمال، كما يتساءل عن علة انبثاق الفجر من خلال الظلمة وكأنه الميلاد الجديد للكون النائم .. إنه يتساءل ويتساءل .. ثم لا يدع أحداً غيره يجيب، فهو يرى أن كل هذا الجمال ليس إلا من أجل «روحين في أفق حلقاً» فكل هذا الجمال

ليس له من معنى في نظر الطائر المفرد الروح الذى يضرب في متاهة الأفق وحده بغير أليف، ولو أن هذا الطائر وجد أليفه لأدرك وقتئذ معنى الحياة وتمثل مفاتها وسحرها وتمتع بجمالها وروعها .. هذا ما يقوله ناجى في النص الكامل المجهول لقصيدة «صخرة الملتقى» .. يقول الشاعر متسائلا:

لمن زَيْنَ الله هذى السماء	أو جَمَلَ الكون أو نسقا ؟
لمن يطلع الفجر في أفقها	فيبدو بها ضاحيا موقعا ؟
لمن مَسَّ هذا النسيم الغمام	فرقـق منه الذى رقرقا ؟
إذا ذكرتـه الحمائم أن	وإن ضاحكته الربى صفا
ألطائر المفرد الروح يمضى	يرود الموارد عن مستقى ؟!
وربّك ليس لهذا ولكن	لروحين في أفق خلّقا

وإذا كان الشاعر يتساءل هنا عن معنى الحياة بغير الحب، ثم يجيب بنفسه عن تساؤله الذى صاغه في إطار رؤية شاملة، فإنه - في البيتين التاليين - يقرر بصورة لا لبس فيها أن حبيبته هى وحدها التى علمته معنى الحياة، وأنه بدونها لا يجد لها معنى ... في هذين البيتين لا يتساءل الشاعر وإنما نجده يقرر .. وهو - في هذه المرة - يقرر ما قرره من خلال منظور ذاتي بحث لافي إطار رؤية شاملة .. وهذا بالطبع ما يغلب عليه:

أنتِ التي علمتني معنى الحياة حبيبة ونجية وصديقا
أنكرتُ معناها بغيرك واستوتُ وتشابَّهتُ سعةً علىَّ وضيقا

والواقع أن الحياة - في نظر ناجي - كانت مسرحاً كبيراً يظل
الممثلون يعتلون خشبته، ويلعبون أدوارهم التي حددها لهم المخرج مقدماً،
وأُسعدُ الممثلين هم أولئك الذين يعهد إليهم المخرج بتمثيل أدوار الحب، لأن
هؤلاء - وحدهم - هم الذين يقدر لهم عندئذ أن يدركوا معنى المسرحية التي
يمثلونها، والحق أن المتتبع لصورة الحياة - على هذا النحو - عند ناجي، يجد
أن الشاعر قد أغرم بها منذ صباه الباكر، ويبدو لي أن هذه الصورة قد
ارتسمت في مخيلته الشابة نتيجة إدمانه قراءة شكسبير الذي كان يعكف على
قراءته منذ كان شاباً، ثم ترجم له - فيما بعد - عدداً من «سونتاته» .. ولقد
تمثل ناجي هذه الصورة تمثلاً عميقاً، بعد أن استوعب دقائقها في «ماكبث»
شكسبير على وجه التحديد، وها هو يرسمها في إحدى قصائده المبكرة التي
نشرها عام ١٩٢٢ أى وهو في الثانية والعشرين من عمره:

نزل الستار على الرواية وانقضت تلك الفصول وفُضَّ ذاك المسرحُ

وكان من ولع ناجي بهذه الصورة للحياة أنه كان يعود إلى رسمها في قصائد
عديدة في مختلف فترات حياته .. ومن هذه القصائد قصيدة «رواية» التي
تضمنها ديوانه الثاني «ليالي القاهرة» ففيها يفصل القول ويبرز الجزئيات،

ويحدد الملامح والقسمات، وها هو يعلن ملتاعاً أن «المسرح» قد انفض ملعبه .. لماذا؟ لأن صاحب الشاعر قد مضوا كما أن أحبته قد هجروه، تاركين إياه وجهاً لوجه أمام الزمان يُسمعه ضحكه الساخر، ويريه كيف يقهقه القدر:

نزل الستار فقيم تنتظرُ	خَلَّت الحياة وأقفر العمرُ
لم يبق الا مقفر تعس	تعوى الذئاب به وتأمرُ
هو مسرح وانفض ملعبه	لم يبق لا عين ولا أثرُ
ورواية رُويت وموجزها	صحب مضوا وأحبة هجروا
عبروا بها صورا فمذ عبروا	ضحك الزمان وقهقهه القدرُ

وإذا كانت الحياة باعتبارها مسرحاً، تكتسب معناها من وجود الحب في مشاهدتها، وتفقد كل معنى مشرق عندما ينتفى منها الحب، فإن الموت هو الصخرة الصماء المخيفة التي تسقط - من عل - على خشبة المسرح فتحطمها في غير هواده ولالين، والشاعر - بطبيعة الحال - لا يخشى على خشبة المسرح في حد ذاتها، وإنما هو يخشى عليها لأنها تمثل الإطار الذي يعيش الحب داخله، ومن هنا فإننا نجد أن ناجي - في قصائد عديدة له - يؤكد أنه لا ضير من تحطيم المسرح إذا انتفى منه الحب، ولعل تساؤله الذي وجهه لنفسه في مستهل

قصيدته «رواية» أن يكون شاهداً على ذلك: «نزل الستار .. ففيم
تنتظر؟!» .. وهكذا فإنه حين يقف أمام البحر عند الغروب متأملاً أسرار
الحياة، فإننا نجد أن ضالة الناس تروعه، وهذا ما يجعله يبكي على تلك الضالة
المزرية بيني الإنسان أمام الأبد المجهول الذي يزداد عتمة وخفاء .. والشاعر لا
يكف عن البكاء إلا عندما يلوح له من خلف الدموع وجه حبيبته، وذلك أنه
يجد فيه أحر عزاء عن الضالة المزرية لبنى الإنسان أمام قوى الطبيعة العاتية
ومنها البحر بجلاله وجبروته، يقول ناجي في النص المجهول لقصيدة «خواطر
الغروب»:

يا لهذا الجلال والأبد المجهول	يزداد حيرة وخفاء
روعتني ضالة الناس فيه	فبكت الحياة والأحياء
فليدعني القضاء أبكى لأشفي	لم تدع ذلة الهوى كبرياء
لاح خلف الدموع وجه حبيب	لا أرى غيره لقلبي عزاء
قلت للقلب جاء ريك فاهل	كم ظمنا فما وجدنا الماء
لم تُبنا الحياة إلا بهذا	حسبنا وجهه الجميل جزاء

وإذا كان الإنسان - في أوقات تهرمه بالحياة - يرى أن المستقبل ليس

سوى خدعة كبيرة، يخدع بها نفسه لكي يتسنى له أن يواصل السير في ركب

الحياة، محفوفاً بالمنى البراقة التى تتوافد عليه فى مقتبل العمر، فإنه - والأمر كذلك - لابد أن يرى أن المستقبل الحقيقى له هو القبر الذى تفتح فوهته الضيقة تلك الصخرة الصماء المخيفة، حينما تسقط - من علٍ - على خشبة المسرح لتحطمها فى غير هوادة ولالين:

أرى فى العباب كفاح الحياة وتيارها الجارف الأحقا
والمح فيها عراك الرجال إذا لاحق الزورق الزورقا
وكيف على رُحْبِ هذا المجال ننزلها منزلاً ضيقاً؟!

ماذا يعنى هذا المجال الرحب إذن؟! إن وجوده سياتى وعدمه مادام الإنسان سينزل فى النهاية منزلاً ضيقاً وينتهى السعى المحموم إلى هذه النهاية الأسيفة .. لماذا إذن تكذب الدنيا علينا أو نكذب نحن على أنفسنا ونعللها بمنى براقة ندرك أنها لن تتحقق .. يقول شاعرنا فى إحدى قصائده المجهولة:

أو هكذا الدنيا وذاك حالها أو ذاك وعد خيالها الكذاب
أمل على أمل وآخرة المنى نوم على نوم مدى الأحقاب

ونحن لو عدنا من جديد إلى المرأة موضوع الحب، فإننا نجد أنها تمثل الهدف الأسمى في الأدب الرومانسي بصورة أساسية، بل إن النظر إلى الحياة - كما يقول رجاء النقاش في مقدمته لديوان «مدينة بلا قلب» لأحمد عبدالمعطي حجازي - «إنما يكون من خلال أفراح الفنان وأحزانه في تجربة المرأة، فروح الجمال تشيع في الدنيا وفي الطبيعة إذا ما كان هناك أمل في نجاح التجربة مع المرأة أو مجرد وهم في هذا الأمل، وتحل محل هذه الروح الفرحة روح أخرى مشبعة بالحزن إذا ما تعرضت تجربة الحب لعائق من العوائق».

وإذا كنت قد ذكرت أن ناجي عاش حياته فراشة حائرة تتنقل من غصن إلى غصن، إلا أنه من سذاجة التصور البعيد عن التعمق ما تذهب إليه الدكتورة نعمات فؤاد في كتابها «ناجي الشاعر» - ص ٩٥ - حيث تقول: «... من شعر ناجي نتبين أنه ليس من الموحدين في الحب .. فله محاب كثيرة .. وقد ذاق ألواناً من الحب: فتارة يفتنه السحر والذكاء وأنا يغريه الجمال .. ومن محابه البيضاء الزاهرة والسمراء الفاتنة .. وكما راعه الإشراق في الأولى .. سبته السمرة والجاذبية في الأخرى حتى كاد أن يعبدها ..» .. أقول إنه لمن سذاجة التصور ما تذهب إليه الدكتورة نعمات، لأن كلامها يوحى، بل يقطع بأن ناجي كان متقلباً في عواطفه .. يحب هذه يوماً، ثم يهجرها إلى أخرى يحبها هي أيضاً يوماً آخر .. وهكذا .. وحقيقة الأمر أن ناجي قد عشق المثال

الذي خلقتة تصوراته للمرأة التي ينشدها، وقد كان هذا المثال مستحيل التحقق في واقع الحياة، وكان الشاعر يلهث سعيًا وراءه هنا وهناك، وكان إذا عرف امرأة وتوهم أنه وجد فيها مثاله المنشود، عشق فيها هذا المثال إلى أن يدرك أنه غير موجود داخلها، فيتركها إلى غيرها سعيًا وراء هذا المثال، كما سيتبين لنا فيما بعد. ومن أغرب القصص التي يرويها ناجي عن نفسه - في هذا المجال - قصة تعلمه اللغة الفرنسية، وسندعه هو يرويها بنفسه: «ملخص الموضوع أني كنت أعرف الإنجليزية فقط لأن القسم العلمي في التعليم الثانوي لا يعلم الفرنسية، ولكن ما حيلتي وأنا «مضطر» للتفاهم بالفرنسية مع أعز مخلوقة في الوجود! وهي لا تعرف غير الفرنسية، وهي لا تحب غير بورجيه، وتعتقد أن قصة «التلميذ» قصة خالدة وتمنى لو قرأها معاً بالفرنسية! أمنية عزيزة ولكن ما السبيل إلى ذلك؟ على أن أتعلم بسرعة وأقرأها معها بسرعة، وإلا فات الوقت! قلت أعرف في تاريخ «الضرورات» أغرب من هذه الحكاية.. قلت لنفسى أتعلم كما يتعلم الطفل.. أحفظ الكلمات، ثم أتعلم ربطها ثم أتكلم، كلمات أولاً، ثم جملاً.. وهذا ما حدث.. فبعد ثلاثة شهور عدت إلى صديقتي فقرأت معها قصة «التلميذ» لبورجيه، وهي لا تكاد تصدق»..

هذه هي القصة كما رواها ناجي بنفسه - في خاتمة مقال نشره في جريدة «الجمهور المصري» عدد ١٦ فبراير ١٩٥٣ - وكان أصدقائه أيضاً

يروون عنه قصصاً عديدة لا تقل في غرابتها عن القصة التي رواها .. ولكن ماذا تعني هذه القصة على علاقتها نظراً لأن بطلها لم يبين لنا كيف عرف أن صديقه - التي لا تعرف غير الفرنسية - لا تحب غير بورجيه وتتمنى أن تقرأ قصته بالفرنسية مع الشاعر على الرغم من أنه لم يكن يعرف الفرنسية؟! على أى حال فإن هذا ليس قضيتنا، فالمهم حقاً هو ماذا تعني هذه القصة؟ قد نستغرب من الشاعر أن يكرم صديقه هذه بأن يعطيها لقب «أعز مخلوقة في الوجود» خاصة وأن صلته بها لم تكن قد توثقت بعد لأنه لم يكن يعرف اللغة التي تمكنه من توثيق تلك الصلة ، لكننا لن نستغرب هذا منه إذا أدركنا أن "أعز مخلوقة في الوجود" كانت تعرف العريية، وإن أنكر ناجي هذا، ربما لكي يجعلنا نتشوق لأحداث قصته، وهذه المخلوقة هي المثال المنشود للشاعر، لكنه لم يتحقق في الواقع كما كان هو يحلم ويتمنى. كما أن هذه القصة تبين لنا أن ناجي كان من الرجال الذين لا يتحمسون لأمر من الأمور ولا ينجزونه بسرعة إلا إذا كان وراء كل منهم امرأة ترعاه وتربت على كتفه وتنظر إليه نظرة تشع بالحنان، ولذا فإن شاعرنا قد استطاع - في مدى ثلاثة شهور لا أكثر - أن يتعلم اللغة التي جعلته يتفاهم مع صديقه ويحقق لها أمنيته العزيزة في قراءة قصة «التلميذ» لبورجيه معه!!..

ومادمنا قد تحدثنا عن ناجي باعتباره أحد الرجال الذين يتلمسون حنان المرأة، فإننا نود أن نتحدث عن عالمه الشعري لكي يتبين لنا إلى جانب

ما نريد تبياناه كيف أن تلمس حنان المرأة كان نغمة يستعذبها ولا يمل تكرارها من صباه إلى شيخوختة، ومن بدايات قصائده إلى آخر ما كتب في حياته، وإذا كان لكل شاعر أصيل عالمه الفني المميز الذي نستطيع القول إنه عالمه هو فحسب، فإن الصور الشعرية التي تستهوى مثل هذا الشاعر، فيعمد إلى تكرارها بصورة ملحة على امتداد قصائده، تشكل لبنة من اللبنات التي يشيد بها الشاعر عالمه هذا، وشاعر الحب الأصيل لا بد إذن من أن يرسم صورته الشعرية من تجربة الحب بكل ما فيها من إشراق وكدر، ولو أننا تتبعنا هذا عند ناجي لوجدنا أن هناك ثلاث صور شعرية كان يعمد إلى تكرارها في قصائده بصورة ملحة، أولى هذه الصور هي صورة بناء الشاعر الذي يبدو لنا بناءً متهاوياً متداعياً إلى أن تجيء الحبيبة، فترفع هذا البناء شامخاً ثم تمجّره الحبيبة فيتهياً للسقوط، أما الصورة الثانية فهي صورة يد الحبيبة التي تمسح عن الشاعر همومه وتمسح - في نفس الوقت - خطايا عصره، وتبث في قلبه العزم والثقة بالنفس، وثالثة هذه الصور صورة الفراشة التي ترمز حيناً إلى قلب الشاعر الذي يحب النور ولو كان فيه احتراقه، كما ترمز حيناً آخر إلى حياة الشاعر ذاتها، وهذه الصورة سيرد الحديث عنها عندما نتحدث عن قصيدة «بين الشباب والشيب»..

وسنكتفى هنا بتتبع الصورة الأولى تتبعاً سريعاً عبر نتاج الشاعر كما سنشير إلى الصورة الثانية على عجل، لقد كان ناجي - في أشهر قصائده -

وهى قصيدة «العودة» - يرى أن حبيبته هى ركنه الحانى الذي يلجأ إليه،
محتماً بظلاله الناعمة، لكى ينشد الراحة من بعد طول المسير في صحراء الحياة
الموحشة، وفي هذا - بطبيعة الحال - نشدان للحنان الذى يبتغيه الشاعر وقد
كان هذا الإحساس يبرز ويتضح في قصائد متعددة له، فهو يقول في قصيدة
«العودة» من ديوانه الأول «وراء الغمام».

ركنى الحانى ومغناى الشفيق وظلال الخلد للعانى الطليح
علم الله لقد طال الطريق وأنا جئتكم كيما أستريح

ثم يعاود نشدان الحنان في قصيدة «خمر الرضا» من ديوانه الثانى «ليالى
القاهرة»، لكنه - هذه المرة - يلجأ للتصريح بأنه يريد أن يتوسد صدر الحبيبة
البر لكى يرتاح على خفقاته من بعد أن تعبت روحه كما تعب جسده أيضاً،
بينما كان - في المرة السابقة - يلجأ إلى التلميح بذكر الركن الحانى وظلال
الخلد فحسب:

كم تمنيت صدرك البر يرتاح على خفقه الطريد المعذب
هات وسدنى الحنان عليه جسدى متعب وروحى متعب

ومن هذا المنطلق بدأت صورة «البناء» تتشكل في وجدان الشاعر، فهو يعاتب حبيبته على تركها إياه وحيداً لأنه يرى أن وجودها جنبه يخفف عنه جهد العيش، فهي التي ترفع «البناء» إذا مال وتقيمه إذا انهار، ولذا فإن الشاعر كان يحس أن الأيام لا تقوى على هد «بنائه» هذا طالما أن هذه الحبيبة إلى جواره:

بحبك أستشفى فكيف تركتني ولم يبق غير العظم والروح والجلد
وكنت إذا شاكيت خففت محملي فهان الذي ألقاه في العيش من جهد
وكنت إذا انهار البناء رفعتَه فلم تكن الأيام تقوى على هدي

وإذا كانت هذه الصورة منتزعة من إحدى قصائد ديوانه الثاني فإن ناجى قد عمد إلى تكرارها في إحدى قصائد ديوانه الثالث «الطائر الجريح» وهي نفس القصيدة التي يحمل الديوان اسمها، وفيها يبين أنه لولا وجود الحبيبة جنبه لما كان قد قال لشيء في الوجود مرحباً، ولولاها أيضاً لما وجد الحنان .. أليست هي التي أقامت «بناء» الشاعر من لاشيء:

لولاك ما قلت لشيء في الوجود مرحباً
ولم أجد ركناً غنياً بالحنان .. طيباً
أنت التي أقمت مرفوع البناء من هباً

هذه هي الحبيبة التي أقامت «بناء الشاعر» فلا عجب إذا رأينا أن روح الشاعر تتحول إلى ظل شاحب يمتد في هيكل متخاذل الأسوار بعد أن رحلت الحبيبة وارتحل النور الذي كان يضئ جنات «البناء» بارتحالها، على نحو ما نرى في البيتين التاليين المنتزعين من قصيدة «الفراق» التي يضمها ديوان «الطائر الجريح»:

يامن رفعت بناء نفسي شاهقاً متهلل الجنبات بالأنوار
اليوم لي روح كظل شاحب في هيكل متخاذل الأسوار

هذه هي صورة «البناء» أما صورة يد الحبيبة فإن الشاعر يرسمها لنا — بصورة ناضجة — في قصيدة "بقايا حلم" التي يتضمنها ديوانه الثالث «الطائر الجريح» فهو يطلب من الحبيبة أن تبقى يدها في يده، لكي ينفذ بها عن نفسه الخوف من الغد المجهول الذي يبين الشاعر أنه يخشاه دوماً لأنه يفرق بينه وبين الحبيبة، ويظل الشاعر يصور إحساسه بوقع يد الحبيبة على روحه الرقيقة، فمنها يستمد الثقة بالنفس ويشد الأزر، ومن عناقها ليده يؤمن أن حبه باقٍ معه وأنه لم يكن حلماً .. وانتهى:

كلما خلّى حبيبي يده لحظة قلت وحي أبقها
أبقها أنفض بها خوف غد وأحس الأمن منها وبها
أبقها اشدّ بها أزرى إذا ضعف الأزر أو العزم وهى

أبقها أومن إذا لامستها أن حي ليس حلماً وانتهى

والواقع أن تصوير يد الحبيبة هنا لم يكن لأول مرة، فقد سبق للشاعر أن صور تلك اليد في قصيدة «توأم الروح» المجهولة والتي نظمها عام ١٩٣٥، وهو يطلب - هنا أيضاً - من حبيبته أن تبقى يديها، لأنهما - من جهة - يدا ملك من الملائكة، ولأنهما شفاؤه - من جهة أخرى - فقد جرحته أيامه وجنى عليه زمنه، وهو لهذا ينادى الحبيبة طالبا منها أن تقبل إليه لكي تشفيه مما أصابه، ولكي تغفر يداها جرح الأيام:

يداك يا كل أحلامي يدا ملك هما شفائي هما .. ياكل أحلامي
إلى بالله أنسى ما جنى زمني وامددهما لي تغفر جرح أيامي

ويستطيع المتبع لقصائد ناجي مجتمعة أن يرى كيف كان الشاعر يعتمد إلى تكرار صورة: «يد الحبيبة» التي تفعل الأعاجيب، ومهما يكن من أمر فإن الشاعر لم يكن يرتوى أبداً، فقد كان سريع التعطش إلى سكينه الروح التي يرى أن مبعثها يكمن في أن تحنو عليه الحبيبة، لكي تقيم «بناء نفسه» أو أن تلمسه يدها لكي تشد أزره ... ألم أقل إنه عاش حياته فراشة حائرة؟..

بين زهرة المستحيل .. والأخريات

ما الذي يمكن أن نراه حين نقف على أحد الشواطئ، وننظر إلى البحر الممتد أمامنا؟.. إننا نرى الأمواج وهي تتلاحق وتتابع موجة في إثر أخرى، ونراها في عنفوانها وهي مقبلة من بعيد، كما نراها وهي تتكسر وتنسبط على الرمال فوق أقدام الشاطئ، ونرى الزبد الذي سرعان ما يذهب جفاء دون أن يمكث في الأرض، لكن هل ما نراه ممتداً أمامنا هو البحر حقاً؟ لا، ليس هو البحر حقاً، إنما هو المظهر الخارجي له، فالبحر حقاً يكمن في الأعماق، بكل ما فيها من أسرار ومن حياة ومن جزئيات وتفاصيل، لكن الأعماق لا يراها من يكتفون بالوقوف على الشاطئ... الأعماق تتطلب الجسارة التي قهيننا لأن نغوص فيها لنعرف ولنستكشف ما هو مخبأً وكامن في ثناياها ..

الذين يحكمون على الشاعر - أي شاعر - من خلال ما يبدو لهم من مظهره الخارجي، لا يختلفون كثيراً عمن يكتفون بالوقوف على الشواطئ، متصورين أنهم قد عرفوا البحر. للشاعر أعماق كأعماق البحر، ونحن لا نستطيع الحكم عليه إلا إذا آثرنا أن نتغلغل في الأعماق، لنستكشف ما قد يتاح لنا استكشافه من الأسرار والجزئيات والتفاصيل، التي تؤلف - مجتمعةً - عالماً بأسره، هو عالم الشاعر المستكن في هذه الأعماق.

الحكم على ناجى من خلال المظهر الخارجى هو الذى جعل الدكتورة نعمات فؤاد ترى «... أنه ليس من الموحدين في الحب .. فله محاب كثيرة .. وقد ذاق ألواناً من الحب، فتارة يفتنه السحر والذكاء وأنا يغويه الجمال...». والحكم على ناجى من خلال المظهر الخارجى هو الذى دفع عباس خضر لأن يشن حملة استهزاء على بعض قصائد ناجى العاطفية، وقد امتدت هذه الحملة أسابيع عديدة على صفحات أعداد من مجلة «الرسالة» خلال السنوات ١٩٤٧ - ١٩٤٨ - ١٩٤٩، وعلى سبيل السخرية المرة لَقَّبَ عباس خضر ناجى بـ «الدكتور عمر بن أبى ربيعة» الذى يتغزل في هذه وتلك وبأخريات غير هذه وتلك، والحكم على ناجى من خلال المظهر الخارجى هو الذى حدا بنعمان عاشور لأن يقول في مجلة «الدوحة» - عدد مايو ١٩٨٠ «... كان ناجى كلما رأى امرأة وقع في حبها .. فالحب عنده كما كان يقول المرحوم كامل الشناوى مثل «قزقة اللب» .. وكامل الشناوى نفسه كان كذلك .. ويبدو أن جميع كتاب القصائد الرومانتيكية من الشعراء جميعاً .. مثلهما تماماً .. والشرط الوحيد عندهم أن تكون المرأة جميلة وأن يكون جمالها موحياً بالشعر...».

لو أننا انسقنا وراء الحكم على ناجى من خلال المظهر الخارجى، وهو الحكم الذى أصدره كل من د. نعمات فؤاد وعباس خضر ونعمان عاشور، ومعهم آخرون عديدون، فإننا نستطيع القول إن ناجى كانت له صولات

وجولات، تجلت في قصائد عديدة، مع كثيرات من الفنانات الممثلات والمطربات والكاتبات والشاعرات، فقد كتب ناجي - على سبيل المثال - قصيدة في ديوانه الأول عن أمينة رزق، ولكنه وضع نقاطاً مكان اسم تلك الفنانة، ولكن من يراجع مجلة «أبولو» يجد أن اسم «أمينة» قد ورد في نص نفس القصيدة والذي حذفه ووضع نقاطاً مكانه في النص المنشور في «وراء الغمام» وكتب ناجي عن «زوزوات عرفهن» والزوزوات اللواتي عرفهن هن «زوزو حمدي الحكيم وزوزو ماضي وزوزو نبيل»، وكتب ناجي عن المطربة شهر زاد وعن الراقصة سامية جمال، كما كتب عن الشاعرات منيرة توفيق وجليلة رضا وأمانى فريد .. وكل هذه الأسماء ليست على سبيل الحصر، بل على سبيل المثال!!..

ماذا لو لم نقنع بالوقوف على الشاطئ قائلين: هذا هو البحر يمتد أمامنا؟... ماذا لو أننا تغلغلنا وغصنا في أعماق البحر؟!..

على المستوى الحياتي، كانت هناك حبيبة واحدة، هي التي أسميها «زهرة المستحيل» وهي التي حرم منها ناجي طيلة حياته رغم أنها إحدى قريباته، وعلى المستوى الإبداعي، فإن هذه الحبيبة وحدها هي التي ألهمت ناجي روائع عديدة، من بينها رائعة «الأطلال» التي زعمت إحدى الممثلات أنها ملهمتها منذ أن غنت الراحلة العظيمة أم كلثوم مقاطع منها، مزجتها مع مقاطع من قصيدة أخرى ...

من هذه الحبيبة؟ .. من هي «زهرة المستحيل»؟

«زهرة المستحيل» التي أحبها ناجي، لها وجودان، وجود خيالي، ووجود حقيقي، أما الوجود الخيالي فيتمثل في «دورا» بطلة «دافيد كوبر فيلد» لتشارلز ديكنز، وأما الوجود الحقيقي فيتمثل في قريبة ناجي الجميلة التي حرمتها منها، وبوجدان الشاعر مزج ناجي بين الوجود الخيالي والوجود الحقيقي مزجاً عميقاً، يصعب معه أن نفصل بينهما!!..
والآن .. فلأشرح الأمر ..

في مقال مطول، كتبه ناجي في جريدة «الجمهور المصري» قبل رحيله عن عالمنا بنحو شهر واحد، تحدث الشاعر الرقيق عن الكتب التي أثرت في حياته، وما يهمنها منها هنا هو حديثه عن رواية «دافيد كوبر فيلد»..
يقول: «كان هذا في مستهل الصبا .. سمعت كثيراً من القصص التي كان يقصها والدي على أُمِّي .. سمعت «أوليفر تويست» وسمعت كل قصص رايدارها جارد، وسمعت وسمعت .. ولكن الذي انطبع في ذهني هو دافيد كوبر فيلد. لا أعرف ما السر في ذلك، ولكني أعتقد الآن أن قوة هذه القصة في أنها سيرة صادقة لديكنز بالذات، عبر فيها أصدق التعبير عن انفعالاته، وشرح فيها الحب العفيف الراقى أوفى شرح، وكنت أنا إذ ذاك في بدء محاولاتي للشعر، فلم يكن عجباً أن ينتعش ديكنز في خيالي بسمو روحه ونقاء قلبه، مع أنه لم يكن شاعراً، ولكن الذي كتبه نثراً هو في الحق أرفع

وأعلى من شعر ألف من الشعراء .. وماذا في قصة دافيد كوبرفيلد؟! إنها تذكرني - أو على الأقل تجرى في خيالي - مع عودة الروح لتوفيق الحكيم، لا شيء غير الصدق والواقع. قصة غرام قد تنتهي للشيء، ولكنها في الحياة كل شيء .. قصة غرام ديكنز بالفتاة «دورا» .. «دورا» التي كان لا يقول إنها حبيبته، بل كان يسميها وجوده العزيز .. أبدع وصف في لغة الهوى الرفيع .. لم تكن حبيبته فحسب بل كانت (وجوده) جميعاً .. كونه الملهم، وحبّه الصافي ..»

هذه هي «دورا» التي عرف تشارلز ديكنز .. وجوده العزيز في شخصها، والتي تمثل - في نفس الوقت - الوجود الخيالي لـ «زهرة المستحيل» في وجدان ناجي ..

أما «دورا» التي تمثل «وجود ناجي العزيز» على أرض الحقيقة والواقع، فهي فتاته القريبة - البعيدة التي كان يرمز لها بحرفي «ع. م.» .. يتصدر ديوان «ليالي القاهرة» لناجي إهداء، هذا هو نصه: «إلى صديقي ع. م. الذي ندّى الزهر الذابل من خمائل الماضي وأنبت في روض الحاضر زهوراً ندية مخضلة بالأمل والحياة ... إليه أقدم ما أوحى به إلى .. إبراهيم ناجي».

وفي مقدمة ديوان ناجي الذي صدر عن وزارة الثقافة عام ١٩٦١ يقول صالح جودت - ص ٦: «... وقد حاول الكثيرون من أحباب ناجي أن

يعرفوا من يكون صديقه «ع.م.» هذا الذى آثره الشاعر بشرف الإهداء.
ورجم بعضهم بالغيب، فقال لابد أنه صديق صباه، الشاعر على محمود طه،
الذى عاش معه أحلى أيام العمر فى المنصورة، وترددت أسماء أخرى .. أما
الحقيقة التى كتمها ناجى حتى عن أقرب المقربين إليه، فهى أن «ع.م.» ليس
صديقاً .. بل صديقة .. بل حبيبة العمر! ..

وقبل أن أتحدث عن «ع.م.» ومن تكون؟ .. فإنى أذكر هنا أن ناجى
كان أهدى أحد كتبه النثرية وهو كتاب «رسالة الحياة» والذى صدر قبل
صدور ديوان «ليالى القاهرة» إلى «ع.م.» وهذا هو نص الإهداء: «إلى
الصديق الحبيب ع.م... أيها الصديق الكريم، كيف أؤدى لك بعض فضلك
على؟ أتذكر كيف كتبت هذه الرسائل؟ كتبت بوحيك وتمت فى ظلال
صحبتك، فمبك وإليك مرجع هذه الكلمات، أيها الصديق: لقد رضيت أن
يتوج حرفان من اسمك كتابي هذا، وحسبى شرفاً، وحسبى مدى العمر سعادة
وهناء» ..

«ع.م.» كانت ملهمة ناجى فى شعره كما يتبين من إهداء ديوان
«ليالى القاهرة» وكانت ملهمته فى نثره كما يتبين من إهداء كتاب «رسالة
الحياة» .. فمن هى؟ ومن تكون؟ ..

فى السنوات الأخيرة من حياة صالح جودت، كانت علاقتى به علاقة
وثيقة حقاً، على الرغم من اختلاف الأهواء والثقافة والنشأة والأجيال، وفى

جلسة حميمة مع صالح جودت سألته - وقتها - عن ملهمة «الأطلال» لناجى، فأكد لى أن ناجى لم يكتب رائعته من وحي أية ممثلة من اللواتى ادعين ذلك الادعاء، وقال لى إنها من وحي حبه الأول «ع.م.» ... فاستفسرت منه عنها فأخبرنى باسمها، ورجانى أن أحتفظ بالأمر سرا، لأنها مازالت على قيد الحياة، ولأن ناجى كان يحبها من جانبه هو فحسب ..

وبعد رحيل صالح جودت عن عالمنا، حاولت أن أتأكد مما قاله عن «ع.م.» فتأكدت .. حيث سألت الأخ الأصغر لناجى وهو المهندس الراحل حسن ناجى عما أعرفه من صالح جودت، فأكد لى أن الاسم صحيح، لكنى لم أشأ أن أشير إلى اسم «ع.م.» إلا بعد أن رحلت هى أيضاً عن عالمنا، حيث ذكرت الاسم صراحة فى مقال لى بعنوان «إبراهيم ناجى .. العاشق الذى مات حبا» وقد نشر هذا المقال فى جريدة «الراية» القطرية - عدد ١٨ يوليو سنة ١٩٨٤، وقلت فى خاتمته: «... والآن وقد رحلت عنا الملهمة الحقيقية أجد أن من حقى أن أذكر اسمها لأول مرة .. إنها السيدة «عنايات محمود الطوير» .. «ع.م.» .. المثال الذى عاش ناجى يناجيه طيلة حياته فى قصائد عديدة» ..

والحق أننى قد اكتشفت فيما بعد أن ناجى قد صرح باسم «وجوده العزيز» الواقعى لبعض المقربين من أقربائه ومن أصدقائه، على نقيض ما كان صالح جودت قد ذكره فى مقدمة «ديوان ناجى» من أن الشاعر الرقيق قد «كتم الحقيقة حتى عن أقرب المقربين إليه». وهنا أذكر أن المهندس الراحل

حسن ناجي كان قد أعارني كتاباً مخطوطاً كتبه الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحي عن الشاعر الرقيق إبراهيم ناجي، وحين قرأت هذا الكتاب المخطوط قراءة متأنية وجدت الماحي - وكان من أصدقاء ناجي المقربين - يتحدث عن «ع.م» دون أن يشير صراحة إلى اسمها، حيث يقول - ص ٦٢ - «...» وحدث أن هيا القدر لناجي طفلة من قرياته تماثله في السن وتقيم في أحد قصور مدينة الأحلام فنشأت بينهما صلة ود إلى جانب القرابة، وبدأت عاطفته تتحرك بشيء لا يدرك كنهه، وبدأت ملكة الشعر تثمر في وجدانه، فنطق بالشعر وهو في سن العاشرة، وقد أطمعته هي في استمرار هذا الحب، وفي أن ينتهي بالرباط الوثيق بينهما، حتى تأصل في قلبه، وأصبح يتمثل فيها الوجود كله كما تمثل دافيد كوبرفيلد حبيبته دورا في قصة تشارلز ديكنز...»..

يعود محمد مصطفى الماحي - ص ٦٥ من كتابه المخطوط - فيفسر لنا كيف حُرِمَ ناجي من «وجوده العزيز» فيقول: «.. فأما حبه الأول فقد كان - كما قدمنا - لفتاة جميلة من قرياته وهي تقطن بجواره وتمكن الحب من قلبه ولم يجد هذا الحب اعتراضاً من جانبها، بل وجد تجاوباً منها فضمهما الحب روحياً، وتعاهدا على أن يكون أحدهما للآخر في حياة سعيدة، فلما وصل إلى مرحلة الدراسة في مدرسة الطب أبت الانتظار حتى يتم دراسته وحقرت عهده وتزوجت غيره وظل هو على حبه العفيف الذي لازمه طول حياته وكلما مرت به سائحة حب أو إعجاب بامرأة كان يتمثل فيها فتاة حبه الأول...؟»..

الآن أستطيع القول إن ناجي كان يحب فتاة واحدة، هي «زهرة المستحيل» كما أسميها، وهي «دورا» تشارلز ديكنز التي امتزجت في خياله، وهي «عنايات محمود الطوير» التي عاشت في واقعه. لنستمع إليه وهو يناجي «زهرة المستحيل» في قصيدة «من ن إلى ع» وهي إحدى قصائد «ليالي القاهرة»:

يا شطر نفسي وغرامى الوحيد
ما شئت ياليلاي لا ما أريد
يامن رأت حزني العميق البعيد
داويت لي جرحي بجرح جديد

ثم يشير ناجي - في نفس القصيدة - إلى لقاء تم بالمصادفة وحدها دون أن يكون هناك اتفاق مسبق:

ويوم لقياك على سلم
في جانب مكتب مظلم
يا عذبة العينين والمبسم
وغضة الحسن الشهى الفريد
في لحظة يقفز فيها دمي

وتعقد الدهشة فيها فمى

من أى كون جئت لم أعلم

يا نفحة من نفحات الخلود

... وفى تقديرى، وعلى ضوء ما أزعم أنه غوص فى أعماق ناجى،
فإننى أرى أن هناك قصيدة مترجمة لم يلتفت إليها أحد من دارسى ناجى على
الإطلاق، رغم أن هذه القصيدة تلخص حكايته مع «زهرة المستحيل»
تلخيصاً دقيقاً، ترجم ناجى هذه القصيدة، ونشرها فى عدد يناير عام ١٩٥٠
من مجلة «الحديث» الحلبية والقصيدة بعنوان «سنارا» وهى للشاعر داوود
سون، وقد كتب لها ناجى مقدمة موجزة، هذا نصها: «عندما هجرته حبيبته
«سنارا» كان يبحث عن أخرى تشابها فلم يعثر عليها فكتب الشاعر داوود
سون هذه المقطوعة يعبر فيها عن أحاسيسه أصدق تعبير...»
أما نص القصيدة فيقول:

حين قَبَلْتُ تلك ياسنارا

وقعتْ أنفاسك بين شفتي

وقعتْ أنفاسك بين الخمر والقبلات

معذرة ياسنارا لقد كنتُ يائساً منك

وقد كنت متعباً ولكنى أخلصتُ لك على طريقتي:

ظلمت أشرب وأرقص .. وأرقص وأشرب

حتى انتهى الخمر وانتهى الرقص ..

فإذا الليل كله لك يا سنارا!

أعتقد أن قصيدة «سنارا» تلخص حكاية ناجى مع «زهرة المستحيل»، وتؤكد ما سبق أن ذكرته من أن ناجى عاش حياته فراشة حائرة، تتنقل من غصن إلى غصن، عساها أن تجد بديلاً عن الزهرة التي كان ينشدها، لكنه حُرِمَ منها طيلة حياته، على الرغم من أنها لم تكن بعيدة عنه. وهنا يمكنني القول أيضاً إن ناجى كانت له حبيبة واحدة، وهي «دورا» وهي «ع.م.» وهي «سنارا» وهي «زهرة المستحيل» وبالتالي فإنه كان موحداً في الحب على نقيض ما قالته د. نعمات فؤاد من أنه «ليس من الموحدين في الحب»، ولم يكن «الدكتور عمر بن أبي ربيعة» كما قال عنه - على سبيل التهكم - عباس خضر، ولم يكن الحب عنده مثل «قرقرة اللب» كما روى نعمان عاشور، نقلاً عن كامل الشناوى..

بعيداً عن حديقة الحب

قليلة هي القصائد التي خرج بها ناجي من حديقة الحب، حيث لا نراه - عبر أبياتها - فراشة حائرة، تنتقل من غصن إلى غصن، لكني أزعج - في نفس الوقت - أن معظم هذه القصائد القليلة ينطلق أيضاً من الحب. لقد كتب ناجي عدة قصائد من شعر التفكه والمداعبات، وفي هذه القصائد حب متبادل بينه وبين الذين داعبهم، وكتب ناجي عدة قصائد يرثى فيها بعض الذين فقدهم، وكلهم كانوا من أحبائه ومن أصدقائه، وكتب ناجي قصائد وطنية موجهة لمصر العربية - وطنه الغالي، وفي ثنايا هذه القصائد يفيض الحب، وكتب ناجي قصائد في وصف الطبيعة، استأثر «القمر» حتى في خسوفه بنصيب كبير منها، وكان في الوصف من الحب ما فيه، بل إن ناجي كتب قصائد المدح، لكنها - في الحقيقة - كانت موجهة لأحبائه له، حتى قصائده التي كتبها في مدح آخر الملوك الذين حكموا مصر قبل انطلاق ثورة يوليو المجيدة سنة ١٩٥٢ فإنه كتبها أثناء انبهار الناس أجمعين بالملك الشاب فاروق الأول في بداية توليه الملك بعد وفاة الملك فؤاد الأول. أما القصائد الأخرى التي أخرج فيها ناجي نفسه من حديقة الحب، فإنني أعدها استثناء وخروجاً عن القاعدة العامة، وتتمثل هذه القصائد في شعر المهجاء، لأن الشاعر حين يهجو فإنه يكره ويغض، والبغضاء نقيض الحب، وهكذا يمكن لمن يتأملون قصائد ناجي التي كتبها في التفكه والدعابة وفي الرثاء والحماسة

الوطنية والوصف والمدح، يمكن لهؤلاء ان يتبينوا ما هو كامن فيها من الحب، باستثناء شعر المهجاء وحده. ويبدو أن ناجي قد شاء أن يؤكد ما أزعمه، فهو القائل:

ذلك الحب الذي علمني

أن أحب الناس والدنيا جميعا

وسأحاول الآن إلقاء نظرة سريعة على تلك القصائد التي خرج بها ناجي من حديقة الحب.

● من القصائد التي نظمها الشاعر بقصد التفكه والدعابة قصيدته التي نشرت في العدد العاشر من مجلة «الأسبوع»، وهو العدد الصادر بتاريخ الأربعاء ٣١ يناير ١٩٣٤، وقد نشرت هذه القصيدة تحت عنوان «الأدباء في مبادلهم...!» وتصدرتها مقدمة نثرية تشرح أو تفضح مناسبة كتابتها، ذلك أن طائفة من أدباء الشباب - ذلك الوقت - كانت قد «اعتادت الاجتماع في «مندرة» الكاتب القصصي الأستاذ محمود طاهر لاشين، ولهذه المندرة نوادر وقصص فكهة لا تحصى. وكانت هذه المندرة تارة ندوة للجدل الأدبي وأخرى مسرحاً للهو والعبث البريء، وكثيراً ما كانت تثور ضجة المجتمعين، ويعلو جدلهم وصخبهم إلى حد أن أصحاب الدار كانوا يضجون في بعض الأحيان من فرط دوشة المجتمعين إذ كانت تمتد سهراتهم في معظم الليالي إلى الهزيع الأخير من الليل. وقد خطر للشاعر الرقيق

الدكتور ناجي، وهو أحد رواد هذه المندرة أن يجي دار «لاشين»
بقصيدة فكهة طريفة». هذه هي المقدمة التي تشرح مناسبة كتابة
القصيدة أو تفضيحها، وأما القصيدة ذاتها فقد أسماها ناجي «يا دار
لاشين» وهي تتألف من ستة أبيات، هذا نصها:

يا دار لاشين حيثك السلاماتُ
والناس عندك ياكلوا الأكل ويباتوا
تموج بالرائح الغادي مواكبها
خلق صنوف وأشكال عجيبات
حتى إذا كثروا في الدار وانقلبوا
كمولد البدوي رغي وصيحات
ترن صيحة «تيزتي» في سلامها
ما تختشوا والا إيه دا اللي اختشوا ماتوا
ماذا ترى العين؟ إني اليوم في حلمٍ
وسكى وصودا وأقداح ومزات
كانوا إذا ما اتيح العرقسوس لهم
يقول قائلهم زارني النبي ذاته!

هذه هي القصيدة الطريفة الفكهة، التي نستطيع أن ندرجها ضمن قصائد «الشعر الحلمنتيشي» الذي برع فيه - في ذلك الوقت - شعراء وزجالون عديدون، وقد كان هذا النمط الشعري من الذيوع والانتشار لدرجة أن بعض كتابه اكتسبوا شهرتهم الأدبية من خلال كتابتهم له وحده، كما أن مجلات عديدة منها «الكشكول» و«المطرقة» كانت متخصصة في نشره هو بالذات، والواقع أن «الشعر الحلمنتيشي» كانت له وظيفة مهمة انحرف بها ناجي لكي تخدم الغرض الذي كتبت من أجله قصيدته، فقد كان هذا الشعر يقوم بوظيفة الانتقاد الاجتماعي اللاذع بصورة مغايرة تماماً لصورة الوعظ والإرشاد التي كانت تلجأ إليها القصائد الرسمية «الجليلة» وكثيراً ما كانوا يتعرضون لأفراد فاحت رائحة فضائحهم الخلقية والاجتماعية، فيصبون عليهم شواظ قصائدهم الموجهة، والحق أنهم لم يكونوا يستثنون في هذا أميراً أو خفيراً، كما أنهم كانوا يتحدثون عن أوضاع البلاد السياسية في جرأة قل أن نجد مثلها عند غيرهم. ومن أجل هذا تعرضت المجلات والجرائد التي كانت مخصصة لنشر هذا اللون من الشعر إلى صنوف متعددة من المصادرة والاضطهاد، لكنهم كانوا يعودون سيرتهم الأولى بنفس الحماسة وكأن الحكومة - وقتها - كانت تكرمهم وتخلع عليهم الأوسمة والنياشين، وواقع الأمر أن «الشعر الحلمنتيشي» كان يستمد تأثيره البالغ على قرائه من خلال صورته المغايرة لصورة القصائد الرسمية «الجليلة»، إذ أن كتابه كانوا يلجأون

إلى انتقاد ما يريدون انتقاده عن طريق إبرازه في قالب هزلي ساخر يجعل قراءهم يضحكون ساخرين، كما يجعلهم مهياين نفسيا لأن يغيروا هذا الوضع المنتقد أو يتمنون تغييره، وهذا هو المهم، وكثيراً ما كان كتاب هذا اللون ينقضون على القصائد الفخمة من تراثنا العربي القديم، بغية تحويرها وإكسابها مضموناً هزلياً، فهم يهلهلون الجزالة اللغوية بطريقة عابثة، كما كانوا يعبثون بجرمة الموضوعات الخطيرة بخفة روح مصرية أصيلة، وهم - إلى جانب هذا كله - كانوا من الناحية الفنية يستخدمون نفس الأوزان والقوافي التي يستخدمها شعراء التراث الأقدمون أمثال المتنبي وأبي تمام وأبي فراس وغيرهم، وكان هذا في حد ذاته سبباً من أسباب إضحاك قرائهم الذين كانت تتداعى في أذهانهم المفارقات المضحكة بين القصائد التراثية الفخمة وبين قصائد «الشعر الحلمنتيشي». ويمكننا أن نأخذ مثالا لهذا، والمثال الذي سنأخذه من قصيدة لعبد السلام شهاب وكان رحمه الله وهو من أبرع كتاب هذا اللون، وقد رأى أن يهلهل قصيدة فخمة من قصائد المتنبي، وأما المناسبة التي دعت به إلى هلهلة قصيدة المتنبي وتحويرها إلى ما يحقق هدفه هو، فهي مناسبة تولى الطاغية إسماعيل صدقي رئاسة الوزارة المصرية في أعقاب مذبحه كوبرى عباس التي وقعت يوم التاسع من فبراير ١٩٤٦ ففى يوم ٢١ فبراير من تلك السنة وهو اليوم الذى أصبح فيما بعد يوماً عالمياً لطلاب العالم أجمع، سارت مظاهرة - يقول شهدى عطية الشافعى فى كتابه تطور الحركة الوطنية فى

مصر (ص ٩٩) إنها كانت» .. تضم ما يزيد عن أربعين ألفاً وقليل مائة ألف، وأخذت تطوف بأهم شوارع القاهرة حتى بلغت ميدان التحرير (الإسماعيلية سابقاً) وهنا تصدت لها أربع سيارات بريطانية مصفحة، واقتحمت الجموع لاتباعاً، وكان مستحيلاً إفساح الطريق لها، فسقط قتلى وجرحى» ومع هذا فإن الطاغية صدقى ألقى في مساء ذلك اليوم خطاباً قال فيه. إن المظاهرات السلمية التى قامت صباح اليوم، قد تحولت بفعل الأيدى التى لم تعد خافية، واندس عناصر من الدهماء في صفوف الطلبة الأبرياء .. كل هذا حوّلها إلى مظاهرات ظهر عليها طابع الشر، وإن المظاهرات السلمية البريئة التى كان عمادها الطلبة الأبرياء انقلبت مع الأسف الشديد إلى مظاهرات اختفى منها عنصر الطلبة والمتعلمين» .. ولم يشر ذلك الطاغية بطبيعة الحال إلى السيارات البريطانية المصفحة التى اقتحمت الجموع، كما لم يشر إلى قوات البوليس التى استخدمت براعتها في إصابة الطلبة العزل .. وهنا نجد عبد السلام شهاب ينقضُّ على قصيدة المتنبي الدالية التى قالها وهو خارج من مصر لكى يتعد عن وجه كافور وهى قصيدة «عيد بأية حال عدت يا عيد»، وقد سار عبد السلام شهاب على نمج المتنبي فى الوزن والقافية، لكنه بالطبع لم يسر على نهجه فى الجدية، فقد أخذ يسخر من إسماعيل صدقى ومن وزارته كما نرى من خلال هذه الأبيات:

عيد بأية حال عدت يا عيدُ بما مضى أم بأمر فيك تجديدُ
أما الوزارة فالترقيع بهدها وكل أيامها غُلب وتنكيد
رئيسها صدقي باشا في إدارتها طهقان تعبان لا رجل ولا إيد
هلا اختشيتم وداريتم كسوفكمو أم الخشا عندكم بالله مفقود
يا أخيب الناس إن الناس تعرفكم مهما فشرتم وحكمُ الشعب موجود

والحق أننى قد قصدت أن أطيل في تبيان وظيفة «الشعر الحلمنتيشى»
لكى يستطيع القارئ أن يقارن بين نماذجه التى قدمها كتابه، وبين نموذجيه
الذى قدمه ناجى، فإذا كان كتاب «الشعر الحلمنتيشى» يقتحمون ميدان
السياسة اقتحاماً جريئاً ويسخرون من بعض المواقف الاجتماعية العامة التى تم
المجتمع كله أو تم قطاعاً كبيراً من قطاعاته فإن قصيدة ناجى عن «دار
لاشين» لا تم - حقيقة - أحداً غير رواد «مندرة» محمود طاهر لاشين،
وليس هذا مقصوداً على تلك القصيدة وحدها، فقصائد ناجى الأخرى، والتى
كتبها بقصد التفكه والدعابة لا تم غير عدد قليل من الناس أغلبهم ممن تعنيهم
المناسبات التى قيلت تلك القصائد من أجلها، فناجى له قصيدة «تحية إلى ذقن
الدكتور محمود ثابت» فضلاً عن مقطوعات فى «وصف أصلع» و«حسناء
بجانب أمها الدميمة».

* فإذا انتقلنا إلى المراثى التى تفجع فيها ناجى على الذين فقدهم، فإنها
تتمثل فى خمس عشرة مرثية، منها مرثيتان تنشران لأول مرة فى هذه «الأعمال

الشعرية الكاملة». هناك خمس قصائد يضمها ديوان «وراء الغمام» خصص ناجى أربع قصائد منها فى رثاء «أمير الشعراء» أحمد شوقى وحده، أما القصيدة الخامسة فهى مرثية للشاعر طانيوس عبده، ويتضمن ديوان «ليالى القاهرة» ثلاث قصائد، خصص الشاعر اثنتين منها لرثاء شاعرين هما محمد الهراوى ومحمد عبد المعطى الهمشبرى، أما الثالثة فهى لرثاء أحد وزراء الصحة السابقين - الدكتور عبدالواحد الوكيل، ويضم ديوان «الطائر الجريح» قصيدة رثاء واحدة، وهى - فى الواقع - ليست مرثية لشخصية من الشخصيات، إذ أنه خصصها لـ «رثاء كلب صغير» وهناك مرثية للشاعر خليل مطران أضافها محققو «ديوان ناجى» إلى ما سبق من مرثيات، وهناك مرثيتان لم تنشرا فى أى ديوان من تلك الدواوين الثلاثة، حيث أتيح لى أن أنشرهما ضمن ديوان «قصائد مجهولة» فى طبعته الأولى، أولاهما مرثية «لشاعر النيل» حافظ إبراهيم، وثانيتها «رثاء صديق» والصديق هو الدكتور محمد نصر الدين، وفضلا عن هذا، فإننى اكتشفت - أثناء عكوفى على جمع «الأعمال الشعرية الكاملة» - مرثيتين أخريين، وقد ضممتها إلى «قصائد مجهولة» فى هذه الطبعة التى تضم «الأعمال الشعرية الكاملة» وقد كتب ناجى إحدى هاتين المرثيتين عندما رحل عن عالمنا شيخ الأزهر الأسبق محمد مصطفى المراغى ، أما المرثية الأخرى فقد كتبها عندما رحل إبراهيم الدسوقى أباطة «باشا» عن عالمنا.

ويلاحظ على هذه المراثي أنها متفاوتة في مستواها، فقد كان ناجي يلجأ في بعض منها إلى طريقة شوقي في الرثاء، حيث يخاطب الشاعر الميت، مستنهضاً إياه من رقدته لكي يجعله يتأمل معه أسرار الحياة ومعناها أو لكي يسأله عما يحدث للإنسان بعد موته وبهذا يتعظ الأحياء ويتذكرون «الدار الآخرة.. دار البقاء»...!! وقد استخدم ناجي طريقة شوقي هذه في رثائه له هو بالذات، وكأنه كان يريد أن يثبت لجمهور حفلات التأبين التي أقيمت لشوقي أنه يفهم طريقته في الرثاء، وهذا ما يجعل الجمهور يحس بالتعاطف مع قائل المراثية لأنه يحس بالتقارب بينه وبين من يرثيه، هذا إلى جانب أن ناجي لم يكن شاعر رثاء بحيث تكون له طريقته الخاصة فيه، كما هو الشأن عنده في مجال الحب، وفي بعض الأحيان كانت قصيدة الرثاء عند ناجي تثير سخرية من يستمع إليها، ومثال ذلك قصيدته التي ألقاها في حفلة الذكرى للشاعر المرحوم طانيوس عبده بمعهد الموسيقى الشرقية يوم الثلاثاء ٢٠ فبراير ١٩٣٤، ففي هذه القصيدة يعلن الشاعر - من البداية - أن وفاة المرحوم فرصة عليه أن يغتنمها في قول الشعر، خاصة وأنه سينتقى ألفاظاً رقيقة يرثي بها المرحوم، يقول ناجي مخاطباً نفسه أمام الحاضرين:

موقف حان فساغتم	وتخير من الكلم
كل لفظ أرق من	ضحكة الزهر للديم

ويبدو أن استقبال الحاضرين لهذه القصيدة كان سيئاً، وأن هذا حزر في نفس ناجي لأنه عاد إلى الحديث عن إخفاقه في رثاء أحد أصدقائه الشعراء، بصورة أضحكت الناس منه، وقد تحدث ناجي عن هذا في إحدى قصصه الذاتية التي نشرها في عدد أول نوفمبر عام ١٩٣٨ من مجلة «مجلتي» وكان عنوان هذه القصة «يوميات عشاق» وقد ذكر الشاعر أنه لجأ إلى حبيبته، يلتمس عندها العزاء عن إخفاقه في الرثاء ..

ويلاحظ أيضاً أن الشاعر كان قصير النفس في بعض هذه القصائد، وكأنه كان يحس بأنه لن يستطيع القول فيكف عنه بسرعة وهذا ما يبدو مثلاً في رثائه لخليل مطران، فقد رثاه بثلاثة أبيات أعلن فيها رغبته في الرحيل عن الدنيا ما دام الخليل قد رحل، وأعلن أيضاً أن موت الخليل هو مصرع للعبقريّة .. وعند هذا الحد سكت ناجي عن الكلام:

يأنفس إن راح الخليل وعنده	ودُّ الخليل فعجلى برحيلي
حملوا على الأعواد فنا خالدا	وارحمناه لكوكب محمول
هو مصرع للعبقريّة روعت	في عرشها والتاج والإكليل

كما يلاحظ أن الشاعر كان يقتطف أحياناً أبياتاً من قصائده العاطفية لكي يحشو بها قصائده في الرثاء، إما استسهالاً منه ورغبة في عدم إجهاد النفس في أمر يعرف هو أنه لا يحسنه، وإما رغبة في زيادة عدد أبيات قصيدة

الرثاء لكى لا يحس القارئ بأن الشاعر في هذا المجال قصير النفس، وإما
للأمرين معاً، ففي إحدى القصائد التي خصصها ناجى لرثاء شوقي وهى
قصيدة «ساعة التذكار» بنجده- يقتطف أحد أبيات قصيدته العاطفية «اللقاء»،
وهو لا يحور في هذا البيت المقتطف إلا خضوعاً للقافية وحدها، فقد قال
ناجى في قصيدته العاطفية:

مد الخريف على الرياض رواقه ومضى الربيع الطلق ما يغشاها
ولما كانت قصيدة ناجى في رثاء شوقي قصيدة رائية فإن هذا البيت
قد تشكل شطره الثانى تشكيلاً جديداً لكى يتلاءم مع ما قبله من أبيات في
القافية وهذا هو البيت بصورته الجديدة:

مد الخريف على الرياض رواقه ومضى الربيع الضاحك النوار
وقد فعل ناجى هذا الصنيع مرة أخرى في قصيدة «رثاء صديق» إذ
أنه عمد إلى بيتين من أبيات قصيدته العاطفية «الشك»، ودسهما ضمن أبيات
قصيدة الرثاء، ومع أن هاتين القصيدتين منشورتان ضمن قصائد مجهولة، إلا
أننا سنبين - مع هذا- أن البيت الخامس عشر من قصيدة «الشك» هو الذى
اقتطفه ناجى ودسه في قصيدة «رثاء صديق» وقد أصبح ترتيبه فيها العاشر،
وهذا البيت هو:

تغلو الحياة بها إلى أن تنتهى عند التراب رخيصة كتراب

أما البيت الآخر الذى أخذه ناجى من قصيدته «الشك» ودسه في قصيدته «رثاء صديق» فهو آخر أبيات قصيدة «الشك»:

وأذبت جوهرها فداء نواظر علوية قدسية المحراب
وقد غيّر الشاعر - في مجال الرثاء - الشطر الأول من هذا البيت لكى يتسنى له أن يتساءل متعجباً أي حساب لصاحبه الميت وحياته علوية قدسية المحراب، مع أن نواظر حبيبته هى التى كان يقول إنها علوية قدسية المحراب .. على أى حال، فهذا هو البيت بعد تحويره:

أى الحساب لذهاب وحياته علوية قدسية المحراب
على أنه من الإنصاف لناجى - في مجال الرثاء - أن نستثنى ثلاث قصائد، أولاها رثاء صديقه الشاعر محمد الهمشرى، فهى قصيدة رقيقة شجية ولعل هذا يرجع إلى تقارب روح كل منهما من روح الآخر، كما يرجع إلى أن الصور الشعرية المستخدمة فيها هى صور سبق للشاعر أن استخدمها في مجال الحب الذى أجاد فيه ناجى وأبدع، فهو يصور الهمشرى - كما صور نفسه هو من قبل - في هيئة فراشة حائرة:

لا تجزعوا للشاعر الملهم	ما مات لكن صار في الأنجم
ما كان إلا زائراً عابراً	لأى سر جاء لم نعلم
كان فراشاً حائراً في الدنى	في نورها أو نارها يرقى
فإن نجما من نارها مرة	فمن لهيب النفس لم يسلم

أما ثمانية القصائد الثلاث التي أستثنيتها فهي مرثية شيخ الأزهر الأسبق محمد مصطفى المراغى الذى رحل عن عالمنا يوم ٢٢ أغسطس عام ١٩٤٥، ويبدو أن ناجى كان يحبه حبا عميقاً، وهذا ما يتضح لمن يقرأ هذه المرثية الصادقة.

وفيما يتعلق بالمرثية الثالثة فإنها آخر ما قاله ناجى فى شعر الرثاء، ومن أواخر القصائد التى كتبها قبل رحيله عن عالمنا بشهرين.

هذه المرثية هى مرثية الوزير الأديب إبراهيم الدسوقي أباطة «باشا» الذى رحل عن عالمنا يوم ٢٢ يناير عام ١٩٥٣، وبعد رحيله بشهرين لحق به ناجى حيث رحل عن عالمنا - كما سبق أن ذكرت - يوم ٢٤ مارس عام ١٩٥٣، والواقع أن ناجى - فى هذه المرثية - كان كأنما يرثى نفسه، خاصة بعد شعوره العميق بالظلم نتيجة ما حل به فى حملة «التطهير» بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، وهذا ما أكدده محمد مصطفى الماحى فى كتابه المخطوط عن الشاعر، حيث يقول: «... فلا عجب أن يذيب ناجى قلبه فى رثاء الأديب الكبير إبراهيم الدسوقي أباطة والذى لم يستطع لفرط تأثره أن يلقيه بنفسه - وهو الخطيب المحاضر - فعهد إلى غيره فى إلقاء المرثية، ووقف وهو يستمع إليها وهو يذرف الدموع، فقلت لرفاقى إن «ناجى» يرثى نفسه ولن يطول عمره،

ولم تمض على موقفه هذا إلا بضعة أسابيع حتى رحل عن هذه الدار ليلقى صديقه ونصيره».

يقول ناجى في هذه المراثية الأخيرة:

ودعت أحلامي وعفت حياتي	ودفنتُ بعدك في التراب شباتي
هيهات ليس الدمع فيك بمسعفٍ	جفتُ على حوض الردى عبراتي
يتمثل الماضي إلى بأنسه	متألق الآمال والبسمات
فإذا التفتُ لحاضري ألفيته	جهما، وفزعني خيال الآتى

... إذا تركنا قصائد الرثاء، لننظر إلى قصائد الحماسة الوطنية وحب الوطن، فإننا نجدها لا تتعدى تسع قصائد، ثلاث منها نشرها ناجى ضمن قصائد ديوان «وراء الغمام»، وهناك قصيدتان يضمهما ديوان «ليالى القاهرة»، وقصيدة أضافها محققو ديوان ناجى وقد جمعوها من المصدر الذى نشرت به وهو مجلة «العمارة» - عام ١٩٤٠ وتبقى ثلاث قصائد أخرى، استطعت العثور عليها، ويجدها القارئ منشورة - لأول مرة - في هذه الأعمال الشعرية الكاملة، بعد أن ظلت مجهولة على امتداد سنوات مضت.

ولو تأملنا قصائد الحماسة الوطنية التى نشرها ناجى ضمن ديوانه الأول، فإننا سنلاحظ عليها غلبة الخطابة وعلو النبرة، وأولى هذه القصائد

تكاد تصلح برمتها نموذجاً للشعر الزائع الذى يتسم بالطابع المدرسى، وهو مما تحفل به كتب النصوص فى المدارس الإعدادية والثانوية عندنا.
يقول الشاعر فى مطلع هذه القصيدة:

وطن دعا وفتى أجاب بوركت يا عزم الشباب

أما القصيدة الثانية فقد نشرت أول ما نشرت فى العدد الأول من مجلة الأسبوع وهو العدد الصادر بتاريخ الأربعاء ٢٩ نوفمبر ١٩٣٣ وقد تصدرتها هذه السطور: «ألقى الشاعر النابغ الدكتور إبراهيم ناجى هذه الأبيات الحماسية الرائعة يوم الثلاثاء ١٤ نوفمبر الجارى فى دار الأوبرا الملكية فى حفلة أسبوع الصحة، فأحدثت ضجة هائلة ودويا عظيماً، وقد اختص بنشرها مجلة الأسبوع دون غيرها» على أن شاعرنا لم ينس نفسه فى هذا الموقف الجماعى باعتباره فردا متفردا فخص نفسه بيتين - فيما أرى - يقول فيهما:

قل للذى يبغى الصلاح لقومه بنيل صنع أو شريف جهاد
بالطب أو بالشعر أو بكليهما كل الجهود فداء هذا الوادى

أما ثلاثة قصائد الحماسة الوطنية فى ديوان «وراء الغمام» فهى قصيدة «الأجنحة المحترقة» وقد كتبها الشاعر بمناسبة سقوط إحدى الطائرات المصرية، والى استشهد بسقوطها شهيدان هما أول شهداء مصر فى الطيران وكان ذلك عام ١٩٣٤، ويفتحها ناجى قائلا:

يا أمتي كم دموع في مآقينا نبكى شهيدك أم نبكى أمانينا؟
إلى أن يعلن أن الشهيد قد ذهباً فداءً للوطن .. فداءً لمصر ..
فداك يا مصر هذا النجم منطفئاً والنسر محترقاً والليث مطعوناً
أما القصيدتان المنشورتان ضمن ديوان «ليالي القاهرة» فأولاهما
«مصر» وقد غنتها أم كلثوم لكنها لم تظفر بنجاح يماثل نجاح غناء قصيدة
«الأطلال»، ومطلع هذه القصيدة يقول:
أجل إن ذا يوم لمن يفتدى مصرًا

فمصر هي الخراب والجنة الكبرى

وثانية القصيدتين هي قصيدة «بطل الأبطال». ولهذه القصيدة مناسبة
مهمة إذ أنها كتبت بمناسبة استشهاد عبدالحكم الجراحي، وسندع شهيد
المعتقلات المصريه عام ١٩٥٨ شهدى عطية الشافعى يروى ظروف استشهاد
هذا الشهيد الراحل: «لم يكن الاستعمار يكتفى باللعب وراء الستار، وإنما
كثيراً ما كان يتدخل تدخلاً سافراً في شئون الحياة النيابية، فقد أصر الشعب
إصراراً على إرجاع دستور ١٩٢٣، والتطويح بدستور صديقى المزيف،
فصرح صمويل هور وزير خارجية بريطانيا فى ٩ نوفمبر ١٩٣٥ بأنه «عندما
استشيرت الحكومة البريطانية فى شأن الدستور، نصحت ألا يعاد دستور
١٩٢٣، ولادستور ١٩٣١، إذ ظهر أن الأول غير صالح للعمل، والثانى لا
ينطبق على رغبات الأمة»! ليس أوقع من هذا التدخل السافر، فى شئون بلد

معتزف باستقلالها ولو اسميا، وليس أحقر من وزارة مصرية، وزارة السراى، وزارة نسيم التى لا تتحرك فى شىء من شئون البلاد إلا باستشارة الإنجليز، واحتج الشعب، وزاد سخطه على وزارة السراى، وقامت المظاهرات فى أنحاء القرى وبعض المدن، احتجاجاً على تصريح هور، وتعرض لها البوليس بالرصاص، فكان أول من استشهد هو اسماعيل محمد الخالع أحد العمال، ثم قامت مظاهرة فى الجامعة استشهد فيها محمد عبدالمجيد مرسى ومحمد عبد الحكيم الجراحى وعلى طه عفيفى من طلبة جامعة القاهرة، ثم عبدالحليم عبد المقصود بالمعهد الدينى بطنطا، وأعلن الحداد العام على الشهداء يوم ٢٨ نوفمبر فأغلقت المتاجر واحتجبت الصحف وعطلت المصانع وأقام الطلبة نصبا تذكاريا لشهداء الجامعة أقيم له احتفال ضخم يوم ٧ ديسمبر ١٩٣٥ تخللته مظاهرات كبيرة» وقد أفاضت الجرائد والمجلات فى الحديث عن المظاهرات العارمة والإشادة بالشهداء، فنشرت «المجلة الجديدة الأسبوعية» فى عددها الصادر بتاريخ الأربعاء ٢٧ نوفمبر ١٩٣٥ صورتين للشهيدى عبدالمجيد مرسى وعبدالحكم الجراحى على صفحة الغلاف، ثم علقت قائلة: «كان من نتيجة المظاهرات التى قام بها طلبة الجامعة فى الأسبوع الماضى أن ذهب ضحيتها شابان من خيرة شباب الجامعة أخلاقاً وتمذيباً هما المرحومان محمد عبدالمجيد مرسى أفندى الطالب بكلية الزراعة ومحمد عبدالحكم الجراحى أفندى الطالب بكلية الآداب، وقد احتفلت الجامعة رسمياً بتشييع جنازة

المرحوم الجراحى فى مشهد رهيب سار فيه كبار رجال الأمة ورجال الجامعة وطالباتها وطلبتها، أما المرحوم عبدالمجيد مرسى فقد دفن فى الأسكندرية بإشراف رجال البوليس الذين نقلوا جثته من مستشفى القصر العينى، وذهبوا بها إلى الأسكندرية حيث دفنت .. وقرر طلبة الجامعة أن يلبسوا شارة الحداد العام على أرواح الذين استشهدوا من أبنائها فى الأسبوع الماضى» ..

والحق أنى قد تعمدت إطالة الحديث بعض الشيء فيما يتعلق بالمناسبة التى هيات لناجى كتابة قصيدته «بطل الأبطال» التى تشتمل عليها «قصائد مجهولة»، ولكن بعنوان آخر هو «أعاصير مصرية» وبعد أن عدل فيها الشاعر تعديلاً عجيباً سيرد الحديث عنه فى معرض الحديث لكى يتضح للقارئ بعد قراءته للقصيدة دائماً أنها دون مستوى الأحداث التى قام بها خيرة شباب مصر فى ذلك الوقت، بل إن الأحداث نفسها لم تظفر من الشاعر بأى اهتمام على الرغم من أهميتها وقدسيتها، أما ماظفر باهتمام الشاعر حقاً فهو الصبح الذى يطلع على ربى مصر، فإذا الورد ضحوك فى الأكف، حتى إذا حل المساء انقلبت هذه الربى فوهة حمراء تغلى بالحمم، وبسيل الدم، وهنا يطرح الشاعر تساؤله الغريب: هل هذا الدم هو لون الورد أم لون الموت أم لون الجحيم:

يطلع الصبح على هذى الربى	فإذا الورد ضحوك فى الأكف
فإذا أمسى المساء انقلبت	فوهة حمراء تغلى بالحمم
لست تدري إذ تراها ظمئت	فروى الأحرار واديها بدم:
ذاك لون الورد أم لون الردى	الجاثم أم لون الجحيم المضطرم !؟

أما القصائد الثلاث التي اكتشفتها وضممتها إلى الأعمال الشعرية الكاملة، فإن أولها بعنوان «تحية لمجد مصر» وقد ألقاها ناجي في مؤتمر طبي عقد بمدينة «الأقصر» في يناير عام ١٩٣٤، ومطلعها:

بلاد النيل يا مهد المعالي ويا وطن العظام والجلالِ

أما القصيدة الثانية، فقد كتبها ناجي عام ١٩٤٧ ومطلعها:

اليوم يومك في الرجال فنادِ

في ساحة مجموعة الأَشهادِ

وإذا كان ناجي قد اقتطف أبياتاً من شعره العاطفي ودسها في قصائد الرثاء التي كتبها - كما سبق أن أوضحنا - فإننا نستطيع القول إن نفس الظاهرة قد تكررت، حيث اقتطف ناجي أبياتاً أو عدل وحوّر في أبيات من قصيدة «في يوم الشباب» التي يضمها ديوان «وراء الغمام»، وعاد ليدسها في هذه القصيدة الثانية، وقد سهل عليه هذه المهمة أنه اختار «البدال» حرفاً للروى في القصيدة الثانية، وهو نفس حرف الروى في قصيدة «يوم الشباب» التي يستهلها قائلاً:

اليوم يومك في الشباب فنادِ

لا نوم بعد، ولا شهى رقادِ

وهكذا استبدل ناجي «الشباب» بـ «الرجال» في قصيدته الثانية، أما الشطر الثاني من البيت الذي استهل به ناجي قصيدته الثانية، فإنه هو نفس

الشطر الثاني من البيت الخامس عشر من أبيات قصيدته «في يوم الشباب»،
على أنه من باب الإنصاف للقصيدة الثانية القول إنها تضم أبياتاً رائعة، منها
هذه الأبيات :

يا مصر! يا مصر الحبيبة إن يرمُ
منى الفداء، دمي لحبك فادى
تالله لو في الخلد كنتُ بموضع
أو في المجرة مصبحى ومهادى
لرنتُ لشطيك النواظرُ من علٍ
وهفا إليك من الجنان فؤادى
وعلى الرغم من إعجابى بهذه الأبيات، إلا أننى أتصور أن ناجى حين
كتبها كان يتمثل بيت أحمد شوقى الأخاذ:
وطنى لو شُغلت بالخلد عنه
نازعتنى إليه فى الخلد نفسى
ولست أدرى إن كان ناجى قد قرأ ناظم حكمت فى تلك الفترة أم
لا؟ .. فالشاعر التركى الكبير كان قد قال:
وضعوا الشاعر فى الجنة
فصرخ قائلاً:
آه .. يا وطنى

ونأتى إلى القصيدة الثالثة من القصائد التي اكتشفتها، وهى قصيدة «المجد الحى» فأقول إنها من روائع ناجى التي ألقاها فى مدينة «الزقازيق» عام ١٩٤٧، وفيها إشارة واضحة إلى الزعيم أحمد عرابى وإلى موقعة «التل الكبير». وقد أرهقنى البحث عن هذه القصيدة الرائعة، ففي البداية قرأت أبياتاً قليلة منها فى ثانيا مقال كتبه وديع فلسطين عن ناجى فى مجلة "الأديب" البيروتية، وقد أشار وديع فلسطين إلى كتاب للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى هو كتاب «دراسات فى الأدب والنقد» وقال إن د. خفاجى هو الذى نبهه بنفسه إلى تلك الأبيات، ثم وجدت نفس هذه الأبيات القليلة منشورة فى ثانيا مقال، كتبه علي متولى صلاح، ونشر فى مجلة «الرسالة» - عدد ٨ سبتمبر عام ١٩٤٧، وفى المقال إشارة إلى كتاب صدر فى نفس ذلك العام، فأرسلت إلى الصديق فتحى عبد الحافظ رسالة من الدوحة - حيث أعمل - طالباً منه أن يصور لى قصيدة ناجى الموجودة ضمن العديد من القصائد لشعراء آخرين فى ذلك الكتاب الذى أشار إليه على متولى صلاح، وبالفعل لم يطل بى الانتظار، وإذا برسالة من فتحى عبد الحافظ تضم هذه القصيدة مصورة كما طلبت منه، وكانت فرحتى بما كبيرة بعد أن قرأتها، وهذه هى الأبيات الأولى منها:

يا أمة نبتت فيها البطولاتُ

لا مصر هانت ولا الأبطال قد ماتوا

ما يبرح المجد يدعونا فنتبعه

كما تطير إلى النار الفراشاتُ

.....

أين الغزاة الألى مروا بنا زمراً
وأين بالله تيجان ودولات
طافوا البقاع فلما حلّ رحلهم
بمصر لم يصبحوا فيها كما باتوا!

وفيما يتعلق بقصائد الوصف عند ناجي، فإن له قصائد عديدة عن «الربيع»، وكلها تحمل عنوان «الربيع» فاضطرتُّ لكي يسهل التمييز بينها إلى أن أشير إلى العام الذي كتبت فيه كل قصيدة منها، وعلى سبيل المثال فإن قصيدة «الربيع» التي كتبها ناجي عام ١٩٤٦ جعلت عنوانها «الربيع - عام ١٩٤٦».. وهكذا. ولم يكن «الربيع» وحده هو الذي استأثر باهتمام ناجي في قصائده الوصفية، فقد احتل «القمر» مكانته هو الآخر، وإلى جانب «الربيع» و«القمر» نجد «الورد» كما نجد «الطبيعة» ذاتها، وهذا مطلع قصيدة «الطبيعة» التي تنشر لأول مرة في هذه الأعمال الشعرية الكاملة:

وافني نغتم جمال الطبيعة

ويرى المرء في الربيع ربيع

خلّ ضيق الديار وانزل برحب

من رياض ومن غياض وسيع

* من القصائد التي خرج بها ناجي من حديقة الحب، تبقى أمامنا قصائد المدح والتي أطلق عليها هو «قصائد التكريم»، والحق أن هذه القصائد - كما سبق أن أشرت - موجهة إلى أصدقاء وإلى أقارب، ممن احتلوا

مناصب رفيعة، لكن علاقة ناجي بهم كانت علاقة محبة، وممن توجه إليهم الشاعر بقصائد المدح أو «التكريم» إبراهيم عبدالحادي «باشا» - «على باشا» إبراهيم - أنطون «باشا» الجميل - عبد الحميد «باشا» عبدالحق - عزيز أباطة «باشا» - إبراهيم الدسوقي أباطة «باشا» الذي يقول عنه ناجي في «ليالى القاهرة» إنه «أبو النهضة الأدبية الحاضرة ما في ذلك من منازع، هذا فوق فضله على ناظم هذا الديوان»، ولعلنا نتذكر أيضا أن ناجي قد رثى إبراهيم الدسوقي أباطة «باشا» مرثية صادقة ورائعة، سبق أن أشرت إليها..

ويضم «ليالى القاهرة» قصيدتين عن الملك السابق فاروق الأول، أولاهما في عيد ميلاده، والثانية في عيد تتويجه، لكن هناك قصيدة ثالثة لم أستطع الحصول على نصها الكامل، وإن كنت قد قرأت أبياتاً منها في جريدة «السياسة الأسبوعية» ففي عدد السبت ٢٠ فبراير عام ١٩٣٧ من هذه الجريدة إشارة إلى المهرجان العظيم بمناسبة عيد ميلاد صاحب الجلالة الملك»، وسأثبت هنا نص هذه الإشارة حتى نتعرف على أجواء «المهرجان العظيم».

تقول «السياسة الأسبوعية»: «نظمت رابطة الشباب العربى لإحياء القومية العربية في يوم الخميس الماضى (أى يوم ١٨ فبراير عام ١٩٣٧) مهرجاناً عظيماً بمناسبة عيد ميلاد صاحب الجلالة الملك، وألقى كلمة الافتتاح صاحب العزة الدكتور محمد حسين هيكل بك الرئيس العام للرابطة ثم وقعت فرقة معهد الاتحاد الموسيقى برئاسة إبراهيم شفيق نشيد جلالة الملك، ثم ألقى الأستاذ حافظ محمود كلمة طيبة عن الملك فى روح الشباب ثم تحدثت الأنسة المهذبة ابنة الشاطىء عن ملك العهد الجديد، ثم أنشد الدكتور إبراهيم ناجي

قصيدة عصماء وتكلم الأستاذ أحمد حسن الباقورى عن الملك الصالح ثم ألقى الشاعر محمود حسن إسماعيل النخيلي قصيدة، ثم اختتمت الحفلة بالسلام الملكى ...». وأما الأبيات المنشورة في «السياسة الأسبوعية» من قصيدة ناجى عن الملك، فإننى أثبتتها هنا من باب الأمانة تجاه شعر ناجى، فضلا عن أنها أبيات جميلة، وهذا نصها:

قل للمليك إذا وافيت سدتَه
إخلاصنا لك أضحي عندنا دينا
يا عارفاً بأمانى الشعب فى زمن
مصر وأنتَ به أغلى أمانينا
ويا ندى طائفا أيان ما لمستُ
كفاه تربتها اخضرت رياحينا
يا من بذلتَ لنا أيام محنتنا
كفأ توازر أوعينا تراعيننا
ويا هوى الناس فى حل ومرتحل
سمعت آهاتنا فاسمع أغانينا

... هل خرج ناجى من حديقة الحب بقصائده التى كتبها فى التفكه والمداعبات، والرتاء، والحماسة الوطنية، والوصف والمدح؟ .. أكاد أجيب قائلا: لا .. لم يخرج .. لكنه خرج من حديقة الحب حقا حين كتب قصائد قليلة جدا من شعر الهجاء ..

إطالة على العطاء الشعري

لم يكن العطاء الذى خلفه لنا ناجى محصوراً في الشعر وحده، فقد كان له عطاء ثرى غزير ومتنوع، ليس هذا مجال الحديث عنه، فالحديث هنا يتركز حول عطائه الشعري الذى أكسبه ما أكسبه من شهرة وذووع صيت، وكان ناجى قد بدأ نشر قصائده في مجلة نصف شهرية، هي مجلة «السيدات والرجال» ابتداء من عام ١٩٢٢، ثم نشر قصائد أخرى في جريدة «السياسة الأسبوعية» ومجلة «الهلال» ثم مجلة «أبولو» التى نشر فيها الجديد من قصائده، كما أعاد نشر بعض قصائده التى كان قد نشرها من قبل على صفحاتها. وخلال حياته لم يصدر ناجى غير ديوانين فحسب، ثم صدر له بعد رحيله عن عالمنا ديوان ثالث، وجمعت هذه الدواوين الثلاثة وأضيفت إلى قصائدها بضعة قصائد وصدرت في ديوان ضخم يشملها جميعاً هو «ديوان ناجى»، ثم صدرت مختارات من قصائد ناجى، ونستعرض هنا هذا العطاء الشعري.

«وراء الغمام» - الديوان الأول

كان عام ١٩٣٤ عام خصوبة شعرية، ففيه صدر ديوان «وراء الغمام» أول دواوين ناجى، إلى جانب أنه شهد صدور دواوين «الكائن الثاني» و «الينبوع» للدكتور أحمد زكى أبو شادى، و «الألحان الضائعة» لحسن كامل الصيرفي، و «ديوان صالح جودت» و «الزورق الحالم» لمختار الوكيل، و «ظلال القمر» لأحمد مخيمر، و «الملاح التائه» لعلي محمود طه و «ديوان

المأحى» لمحمد مصطفى المأحى، أما أول دواوين محمود حسن إسماعيل وهو ديوان «أغانى الكوخ» فقد صدر فى يناير عام ١٩٣٥.

وقد اشتعلت فى أعقاب صدور «وراء الغمام» معركة نقدية عنيفة كان هذا الديوان سببها الظاهر، وقد نشبت تلك المعركة فى ذلك الوقت بين شعراء جماعة أبولو وعباس العقاد مع تلاميذه من جهة، وبين شعراء جماعة أبولو والأستاذ الدكتور طه حسين من جهة أخرى، والحق أن النفوس كانت مهياة لتلك المعركة من قبل أن يصدر ديوان ناجى الأول، ولذا فإن صدوره كان فرصة لإشعالها بسرعة. نقد طه حسين ديوان «وراء الغمام» نقداً قاسياً، ونشره فى جريدة الوادى فى يونيو ١٩٣٤، ورأى فيما رأى «... أن صاحب «وراء الغمام» من هؤلاء الشعراء الذين يحسن أن نستمتع بما فى شعرهم من الجمال الفنى، كما نستمتع بجمال الوردة الرقيقة النضرة، دون أن نشطّ عليها بالتقليب والتعذيب، هو شاعر هين، لين، رقيق، حلو الصوت، عذب النفس، خفيف الروح، قوى الجناح، ولكن إلى حد، لا يستطيع أن يتجاوز الرياض المألوفة، ولا أن يرتفع فى الجو ارتفاعاً بعيد المدى، وإنما قصاراه أن يتثقل فى هذه الرياض التى تنبت فى المدينة أو من حولها، والتى لا تكاد تبعد عنها كثيراً، وهو إذا ألم بحديقة من الحدائق أو جنة من الجنات لا يحب أن يقع على أشجارها الضخمة الشائخة فى السماء، وإنما يحب أن يقع على أشجارها المعتدلة الهينة، ويتخير من هذه الأشجار أغصانها الرطبة اللدنة التى تثير فى النفس حناناً إليها، لا إكباراً لها ولا إشفاقاً منها. هو شاعر حب رقيق، ولكنه ليس مسرفاً فى العمق ولا مسرفاً فى السعة ولا مسرفاً فى الحب الذى يحرق

القلوب تحريقاً ويمزق النفوس تمزيقاً، شعره أشبه بما يسميه الفرنجة موسيقى الغرفة منه بهذه الموسيقى الكبرى التي تذهب بك كل مذهب، وتهيم بك في ما تعرف وما لا تعرف من الأجواء».. ونقد عباس العقاد ديوان ناجي في عدد ١٢ يونيو ١٩٣٤ من جريدة الجهاد، وجاء نقده أكثر قسوة من نقد طه حسين وأشد منه عنفاً فقد اتهم ناجي بأنه سرق أبياتاً من شعره هو وضمناها قصائده بعد أن حوَّرها، وقال إن «أظهر ما يظهر من سمات هذه المجموعة الضعف المريض والتصنع، فإن صاحبها كما يدل عليه كلامه من أولئك النوع الذين يفهمون أن الرقة ترادف البكاء، وأن الشاعر ينظم لبيكى ويشكو فإذا هجره الحبيب بكى وإذا تناجى مع حبيبته قال لها «هاتى حديث السقم والوصب» إلى نحو ذلك من أغراض الرخاوة المريضة التي لا تزال تُحاربها منذ عشرين سنة في الشعر والنثر والغناء»..

وكان من الطبيعي أن يرد ناجي على ما وجه إليه وإلى شعره من نقد، وكان من الطبيعي أيضاً أن يرد على طه حسين فهو الأقرب إلى نفسه وألا يرد على العقاد لأنه بطبيعته الوديدة كان ينفر في قرارة نفسه من طبيعة العقاد الخشنة ومن أسلوبه الناري وعباراته التجريحية التي يصبها على رؤوس ناقديه ومنقوديه على حد سواء، لكن ناجي تورط في رده إذ أنه لم يستطع أن يخفى غيرته من على محمود طه الذي كان طه حسين قد نقده نقداً مجاملاً قبل أن يكتب ما كتب عن ناجي، وقد كان هذا من دواعي الجفوة التي وقعت بين الشاعرين الصديقين علي محمود طه وإبراهيم ناجي.. رد شاعرنا على طه حسين في عدد ٢٠ يونيو ١٩٣٤ من مجلة الأسبوع فقال مما قال: «.. أنت

ترانى قوي الجناح إلى حد، ترانى رقيقاً وترى لي موسيقى تسميها موسيقى
الغرفة، ويلوح لي من تفضيلك على طه أنك لست ترضى عن تلك الرقة ولا
تعجب بهذه الموسيقى، بل أنت من أنصار الشاعر الذى تراه «مهياً» ليكون
جباراً، أنت من أنصار الأدب العنيف.. الأدب التشوى الهتلى.. من أنصار
النسر الذى يحط على الشجر الباسق ويسط جناحيه بسطة عقادية، الواقع أن
هذا العصر في حاجة إلى مثل ما تحب، أما نحن فأدبنا مائع رخو، أدب دموع
وضعف، وقد كنت أحب أن أعرف رأيك يا مولاي في ليالى ألفريد دي
موسيه وروائع لا مرتين كالبحيرة والوادي، ما رأيك في هذا الضعف الشائن
من شاعرين لم يخلد لهما إلا الدموع الذائبة؟! ومع ذلك قل لي منصفاً وليقل
العقاد أى أنواع الأدب أحب إلى النفوس؟ سيقوم الموتى من قبورهم وستنبض
كل صحيفة في كتبهم بالحياة، صارخة «مأسينا خلدت ودموعنا هى التى
عاشت!» وأنت لو سألت نفسك عن أحب الكتب إليك قالت «الأيام» ولو
سألت قراءك نفس السؤال قالوا : «الأيام» .. لماذا؟ لأنها قصيدتك الكبرى،
فيها دموعك وفيها ضعفك كذلك، وهى أقوى ما كتبت! ولو سألت العقاد
أي الشعراء تحب؟ لقال لك «هاردي» وما شعر هاردي إلا دموع، وضعف
من الصنف الذى يعيرنا به..».

لكن هذا الرد المذهب لم يرضى - بطبيعة الحال - من هم على
شاكلة العقاد، ممن تقترب طبائعهم من طبيعته الخشنة، ومن هؤلاء الشاعر
سيد قطب الذى كان وقتها من أنخلص تلاميذ العقاد، رأى سيد قطب أن
المعركة بين طه حسين وإبراهيم ناجى ليست معركة بالمعنى الحقيقى، وإنما هى

أقرب إلى سذاجة الأطفال منها إلى أى شيء آخر، وانتقد اهتمام طه حسين بإبراز الجزئيات في ديوان ناجي، كما انتقد رد ناجي ورأى فيه ردا لا يليق بالرجال أن يردوا بمثله، وقد كان هذا في العدد التالي مباشرة للعدد الذى نشر فيه ناجي رده من نفس المجلة .. مجلة الأسبوع .. قال سيد قطب تحت عنوان: «معركة النقد الأدبي - ودوافعها الأصلية» .. «لحق أقول إن المعركة بين طه حسين وناجي معركة رخيصة هادئة أشبه بعتاب الحبيبين، منها بخصام المتلاحين وإن كنت أرى أن الدكتور طه قد اتجه إلى الجزئيات في الديوان أكثر مما اتجه إلى الكلّيات، وأنه اشتد في بعض المواضع شدة لا تتناسب مع الصورة الرقيقة التى رسمها لناجي في أول مقالة (وهى الصورة التى رسمتها له في «الأهرام» قبل مقال الدكتور طه بأسبوع) وإن كنت أرى كذلك أن ناجي تلقى هذه الشدة باضطراب وجزع - يتفقان مع طبيعته - ولكنهما لا يليقان بأديب، وأن كلمته التى كتبها ردا على طه فيها دموع وفيها شهيق وزفير لا يليقان بالرجال، ولكن يعزينا عن ذلك كله أن المعركة هنا أقرب شيء لسذاجة الأطفال وبراءة الأطفال»...

ورأى على أحمد ماهر في مقاله الذى عَقِبَ به على نقد طه حسين لناجي أن هذا النقد إنما هو حلقة من سلسلة الظلم الذى تحالف الشيوخ الذائعون على أن يدكوا به أعناق الشبان دكا عنيفا، ثم أشاد المعقب بموسيقى ناجي وامتدح شعره، وخلص إلى أن طه حسين يريد تحطيمه لكي يبرر ما أقدم عليه من خلع إمارة الشعر على العقاد بعد أن رحل أمير الشعراء أحمد شوقي.

أما السيد عطية شريف فقد رأى أن حملة سيد قطب على ناجى قد قصد بها تمجيد العقاد على حساب جميع من يعدهم منافسيه، وأنه إن ذهب إلى شيء خفيف من النقد السطحي للعقاد، فإنما يقصد إلى التمويه على القارئ بأنه مستقل فكرياً عن العقاد، وذكر السيد عطية شريف، أنه لم يكن يعرف سيد قطب باعتباره شاعراً إلا من خلال تنويه مجلة أبولو به، ومع هذا فقد سولت له نفسه أن يشن عليها حملة بذئمة غير خافية المقاصد، والحق أن المعركة النقدية التي نشبت في ذلك الوقت ما لبثت أن تحولت إلى المهاترات والمماحكات اللفظية وافتعال المواقف، ولعل الكلمة الوحيدة التي كتبها صاحبها لوجه الفن وحده كانت كلمة الشاعر حسن كامل الصيرفي الذي قال: «إننا لا نحب المفاضلات والمنافسات السخيفة كما لا نؤمن بالتوحيد في الأدب، والمتحدث إلى أعضاء جمعية أبولو لا يجد بينهم إلا اتفاقاً في المبادئ الفنية العامة التي تسير حيوية الفن كما تماشى روح العصر، ولكنه لن يجد تلك التحزبات الشخصية الممقوتة التي اشتهرت عن بعض الجماعات والفئات» وقد دخل محمود حسن إسماعيل المعركة باهتمامه للعقاد بأنه سرق أبياتاً من شعره من محمود سامي البارودي، وبدلاً من أن يقر بهذا أو يعترف به، نجده يلفق لناجى تهمة سرقة أشعاره هو، وقد اشترك في تلك المعركة النقدية إلى جانب من ذكرناهم الدكتور زكي أبو شادي ومحمود الشوقوى ومختار الوكيل وصالح جودت ومصطفى عبداللطيف السحرتي.

على أنه بعيداً عن مهاترات تلك المعركة، فإن هناك عدداً من المقالات النقدية الجادة قد حللت قصائد ديوان «وراء الغمام»، ومن تلك المقالات

مقال نظمى خليل في عدد نوفمبر ١٩٣٤ من مجلة أبولو ومقال حسين عفيف في عدد ٦ يوليو ١٩٣٤ من مجلة «الأسبوع»، فضلاً عن الفصل النقدي الجاد والمنصف الذى كتبه إبراهيم المصرى في كتابه «صوت الجيل» وهو الكتاب الذى صدر عام ١٩٣٤ أيضاً ..

والواقع أن بعض شواغل الحياة أسهمت في إبعاد ناجى عن جو تلك المعركة، ففي شهر يونيو ١٩٣٤ - كما يقول صالح جودت - «شد الشاعر رحاله إلى أوروبا ليعاون أخاه الأصغر في الالتحاق بكلية «تولوز» الفرنسية للنسيج، ثم ليواصل طريقه إلى لندن، ليشهد مؤتمراً طبياً منعقداً هناك» ...

وكان لوقع المعركة التى كانت تصل إليه أنباؤها هناك أسوأ الأثر على نفسيته الرقيقة، إلى درجة أنه كان يسير في شوارع لندن المزدحمة بالناس والسيارات شارد اللب، حائر الروح، مشتت النفس، وكان من جراء هذا أن صدمته إحدى السيارات، فعاد إلى مصر وساقه في الحبس، ولم يقدر له الشفاء من حادث التصادم هذا إلا في نوفمبر ١٩٣٤، وهذا ما عقلت به «المجلة الجديدة الأسبوعية» في عددها الصادر بتاريخ ١٦ نوفمبر ١٩٣٤ تحت عنوان «تعليقات على حوادث الأسبوع»: «سر كثيرون بشفاء الدكتور ناجى من سقطته في لندن، فقد كان أصيب بكسر في ساقه وهو يعبر شارعاً، وبدلاً من أن يقضى إجازته في التنزه بين الريف والحضر الإنجليزين، قضائها في المستشفى على السرير، وساقه في الحبس، وللدكتور ناجى مجلة يجدر بكل ربة من ربات البيوت أن تقتنيها هي «حكيم البيت» وله قصائد تتسم برقة الألفاظ الموسيقية، ومعانيه أقرب إلى الحلاوة منها إلى الجلال. وهو معنيٌّ باللغة

قلما يخطئ، وهذه صفة نادرة في الطبقة التي ينتمى إليها» وقد كان من نتائج المعركة النقدية أن زادت الجفوة بين شاعرنا ناجي وصديقه القديم على محمود طه، كما أنها - وهذا هو الأسوأ - قد زعزعت ثقة ناجي في قدراته الفنية، وأعلن أنه سينصرف عن الشعر وأنه سيهجر الأدب، وقد أعلن هذا في حديث أدلى به لمراسل «المجلة الجديدة الأسبوعية» وقد نشر هذا الحديث في عدد الأربعاء ٦ مارس عام ١٩٣٥ تحت عنوان «لماذا هجرت الأدب؟ .. حديث هام مع الأستاذ الدكتور إبراهيم ناجي»، والحق أنه ليست لهذا الحديث قيمة تذكر، بغض النظر عن قيمته التاريخية فيما يختص بدراسة شاعرنا، أما ما يعكس نفسية ناجي في تلك المرحلة، ويستمد من هذا قيمته، فهو ختام مقدمته لكتابه «مدينة الأحلام» الذي صدر عام ١٩٣٥، يقول ناجي بحسرة ما بعدها حسرة: «بالأمس أخرج الشاعر ديوانه، واليوم قد أخرج القاص ما لديه من قصص، وأفضى المفكر بما أنتج فكره، وغداً ينطوى الشاعر وينسى القاص ويتلاشى المفكر .. غداً ينقلب القدر وينهزم الخيال وتحطم الروح أعز أمانيتها وأغلى ميولها، غداً تحرقها وتنظر إلى لهيها كما تنظر إلى الشفق والشمس ذاهبة .. غداً فراغ، غداً يمشى الطبيب إلى قبر الأديب الذي كان ذات يوم هو نفسه وقد حمل في يده زهوراً، فيضعها عليه دافع العين ثم يعود فإذا الطريق خاوية مقفرة، إذا به في زحام الناس كواحد من الناس يجوع فيأكل وتضحك له الدنيا فيتهلل، وتعبس له فينقبض، فعل منعكس واستجابة لدافع .. ويمر به الجمال فلا يرى فيه غير مظهره، وأما المعنى والروح فقد مضى بكما الشاعر رحمه الله. ويستمتع الموسيقى فيصيح مع الصائحين،

ويصخب مع الصاخبين، أما الألوهية الدفينة التي تقف بالمستمع على حافة الأبدية، أما السلاف السماوية التي تنسكب في أعماق النفس، كل هذا ينطوى مع الفنان الداوى وأسفاه .. وغداً يمر بالناس فيراهم صوراً متشابهة، آلات فحمها الرزق ومحركها الجنس والجوع .. أما الفيلسوف فذهب في أثر الشاعر والفنان.

وداعاً أيها الشعر ..

وداعاً أيها الفن ...

وداعاً أيها الفكر ..

وداعاً ودمعة مرة وابتسامة أمراً ! ..

وإذا كنت قد تعمدت الإطالة في سرد وقائع المعركة النقدية التي كان صدور ديوان «وراء الغمام» سببها الظاهر، فذلك مرجعه إلى أنني حاولت أن أقدم صورة متكاملة لتلك المعركة، نظراً لأن جميع الذين تناولوها بالتحليل من الدارسين، قد اهتموا بإبراز الصورة التي تجعل القارئ يتعاطف مع ناجي فحسب، وذلك بتركيزهم على المقالات النقدية التي هاجمت ديوانه، وإغفالهم لتلك التي امتدحته، أو تلك التي وقفت منه موقفاً جاداً موضوعياً، هذا إلى جانب أن تلك المعركة كان لها أسوأ الأثر على نفسية شاعرنا - كما سبق أن ذكرت - وهذا ما سأشير إليه عند الحديث عن «مصادر القصائد المجهولة» لناجي .. وأما قيمة ما كتبه شاعرنا في ختام مقدمته لكتابه «مدينة الأحلام» فيتمثل في أنه يقدم لقارئه تصوره النظري لدور الشاعر في الحياة، ورأيه في أن الشاعر الحق هو من يتأمل الأعماق الخبيثة من جوانب الحياة، لا من يتعلق

بالقشور السطحية التي يستطيع معرفتها الناس العاديون دون ما حاجة إلى الفن، وهذا التصور النظرى يتسق - بطبيعة الحال - مع النماذج الشعرية التي أبدعها ناجى من جهة، كما أنه يتعارض - من جهة أخرى - مع التصور النظرى لدور الشاعر فى الحياة عند على محمود طه.

ونظراً لأن الشاعر فى ناجى كان أصيلاً ولم يكن مجرد واجهة خارجية، فإنه عاد إلى الشعر مرة أخرى، على الرغم من حديثه الذى أعلن فيه أنه هجر الأدب، وعلى الرغم من كلماته الجريئة فى ختام مقدمته لكتاب «مدينة الأحلام» والحق أن ناجى لم يستطع أن يهجر فنون الأدب جميعها فى تلك الفترة التى هجر فيها الشعر مؤقتاً، فقد نشرت له المجلات الأدبية فى ذلك الوقت العديد من القصص القصيرة التى يغلب عليها الاتكاء على العنصر الشخصى، فضلاً عن أنه نشر عدداً من المقالات النقدية وطائفة من البحوث التى تتناول علاقة علم النفس بالأدب إلى جانب اشتغاله بترجمة العديد من القصص القصيرة العالمية ..

بعد عودة ناجى إلى فنه الأصيل أخذ ينشر قصائده فى أهم المجلات الأدبية فى ذلك الوقت .. «الرسالة» و «الثقافة» و «السياسة الأسبوعية» و «المجلة الجديدة» و «مجلى»، وكان نتاج الشاعر من الغزارة بحيث أن مجلة «الرسالة» وهى مجلة أسبوعية - كما هو معروف - كانت تنشر له قصيدة فى كل عدد من أعدادها بصورة شبه منتظمة، وكان هذا فى أواسط الأربعينيات على وجه التحديد، وقد جمع شاعرنا طائفة من تلك القصائد، وأصدرها فى ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، بينما لم يهتم بجمع طائفة أخرى منه، ولعله رأى

أن يؤجل جمعها إلى حين، أو لأنه لم يكن راضياً تماماً عنها. وهناك أمران لم يلتفت إليهما أحد على الإطلاق من دارسى شعر ناجى، أحب أن أشير إليهما هنا مجرد إشارة، الأمر الأول أن المترجم الشهير الراحل درينى خشبة قد كتب سلسلة مقالات بعنوان «شعر ناجى» فى أواسط الأربعينيات، وقد نشرها فى مجلة «الرسالة» ابتداء من عدد ٢٤ أبريل عام ١٩٤٤، وهى مقالات مهمة وإن كانت متحمسة. بصورة واضحة لناجى وقد كتب درينى خشبة هذه المقالات، معتمداً على الديوان الأول لناجى «وراء الغمام» والأمر الثانى أن ناجى لم يكن يفكر فى إصدار ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، وإنما كان يفكر فى إعادة طبع ديوانه الأول «وراء الغمام» بعد أن يضيف إليه قصائده الجديدة التى كان ينشرها فى تلك الفترة، وقد تأكدت من هذا الذى أقوله من خلال خبر صغير، نشر فى مجلة «الرسالة» ضمن ما كانت المجلة تسميه «كشكول الأسبوع».

«ليالى القاهرة» - متى صدر؟!

وفى ما يتعلق بديوان «ليالى القاهرة»، فإننى أعترف بأن تاريخ صدوره ظل لغزاً محيراً إلى أن تكشفت لى حقيقة الأمر، وهذا مرجعه إلى تضارب النقاد والكتاب الذين كتبوا عنه فى تحديد العام الذى صدر فيه. فقد ذكر عبدالعزيز الدسوقي فى ثبت المراجع الذى ذيل به كتابه «جماعة أبولو» (ص ٥٨٦) أن هذا الديوان قد صدر عام ١٩٤٣، بينما ذكر الدكتور محمد مندور فى الحلقة الثانية من كتابه «محاضرات فى الشعر المصرى بعد شوقي» (ص ٥٨) أنه صدر عام ١٩٤٤، وذكر الدكتور شوقي ضيف نفس التاريخ

في كتابه «الأدب العربي في مصر» (ص ١٥٥) كما أن التعريف بحياة ناجي ونتاجه والذي ذيل به كتاب «أزهار الشر» الذي صدر بعد وفاته، قد ذكر هو أيضاً نفس ذلك التاريخ (١٩٤٤) - راجع ص (١٤٩) أما صالح جودت فقد ذكر أن «ليالى القاهرة» قد صدر عام ١٩٥١، وذلك في مقدمته لديوان ناجي (ص ٢٢). وهذا التضارب هو ما جعل الأمر لغزاً محيراً في البداية، لكن الحقيقة تكشفت لي عندما قمت بمراجعة أعداد مجلة «الرسالة» في تلك الفترة الزمنية التي تضارب فيها القول وهي الفترة الممتدة من عام ١٩٤٣ إلى عام ١٩٥١، وقد وجدت - من خلال المراجعة - أن عباس خضر يعاتب ناجي في عدد من متواليين من أعداد مجلة الرسالة عام ١٩٥٠ لأنه أهدى نسخة من ديوانه الجديد لرئيس التحرير، ولم يهده نسخه منه، وقد ثبت لي باليقين أن ديوان «ليالى القاهرة» قد صدر عام ١٩٥٠ من خلال مراجعتي المتأنية للجزء التاسع من «فهرس الكتب العربية التي اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٥ إلى سنة ١٩٥٥»، ففي صفحة ٥٤٦ من ذلك الفهرس إشارة ببليوجرافية إلى ذلك الديوان: هذا نصها: «ليالى القاهرة - نظم إبراهيم ناجي - مطبعة الفكرة سنة ١٩٥٠ م، ٢٢٤ ص القاهرة «رقم ز ١٨٦٧٤، ١٨٦٧٥...».

ولكيلا يكون هناك أى تضارب مرة أخرى بشأن تاريخ صدور «ليالى القاهرة» فإنني أحيل الدارسين المهتمين إلى عدد يناير عام ١٩٥٠ من مجلة «الحديث» الحلبية، وعدد مارس عام ١٩٥١ من مجلة «الكتاب» التي كان يرأس تحريرها الشاعر والكاتب عادل الغضبان، ففي عدد مجلة «الحديث» نبذة

عن الديوان (ص ٥٤٥ - ٥٤٦)، وتنتهى هذه النبذة بالقول «.. والديوان فى ٢٧٥ صفحة فنشكر للشاعر هديته» أما عدد مارس عام ١٩٥١ من مجلة «الكتاب» فيشير إلى صدور «ليالى القاهرة» ضمن الدواوين التى صدرت عام ١٩٥٠، وهذا هونص الإشارة (ص ٣٣٩) .. «كان إنتاج العام الماضى (أى عام ١٩٥٠) غنيا بالشعر، فقد ظهر فيه بضعة عشر ديواناً، تختلف بين الشعر القديم والشعر الحديث، ويختلف الحديث بين المذاهب المختلفة للفن الذى توحى به الآلهة أو الشياطين!! .. ودواوين الشعر الحديث هى: «ديوان الخليل» ج ٤، وبه تم ديوان المرحوم خليل بك مطران الذى تولت إخراجـه لجنة تكريمه، و «ألحان» لإبراهيم هاشم الفيلالى من أدباء الحجاز و«ليالى القاهرة» للدكتور إبراهيم ناجى، و«فكر وروح» للآنسة أماني فريد، و«بعد الأعصاير» لعباس محمود العقاد و«الظلال» لعبد الغنى سلامة و«جنى الأيام» لعبد المجيد مصطفى خليل»..

صدر ديوان «ليالى القاهرة» عام ١٩٥٠ إذن، وليس عام ١٩٤٣ أو عام ١٩٤٤ أو عام ١٩٥١، وقد بدأ الشاعر ديوانه بإهداء رقيق يقول فيه «إلى صديقى ع. م . الذى ندى الزهر الذابل من خمائل الماضى وأنبت فى روض الحاضر زهوراً ندية مخضلة بالأمل والحياة .. إليه أقدم ما أوحى به إلى..» وقد تصدرت الديوان مقدمة ضافية قيمة ومتحمسة للشاعر، كتبها «معالي إبراهيم الدسوقي أباطة باشا» الذى يرى صالح جودت أنه كان «راعياً للشعراء وكان يجمعهم فى رابطة أدباء العروبة، وكان ناجى شاعره الأثير».. ويتسم ديوان «ليالى القاهرة» بأنه يتضمن عدداً من القصائد المطولة،

وهى تلك القصائد التى يتجاوز الشاعر حين يطلق عليها «ملاحم»، فالملاحم - كما هو معروف - فن شعري عرفه الأقدمون من الإغريق والرومان والفرس والهنود، وكانوا يقصدون به إلى تسجيل تاريخهم والإشادة بأبجادهم ومآثرهم في مجال الحروب التى خاضها أبناؤهم، ولهذا الفن بطبيعة الحال خصائصه الفنية وسماته المميزة التى يعرف بها ومن خلالها، وليست الملاحم إذن أن يضم الشاعر عدداً من قصائده الذاتية إلى بعضها ويطلق عليها عنواناً موحداً على نحو ما فعل ناجى فيما نستطيع تسميته بالقصائد المطولة مثل «ليالى القاهرة» و«السراب» و«الأطلال» و«الخریف»، ويشتمل هذا الديوان - ضمن ما يشتمل عليه - على قصيدتين من قصائد المديح قاهما الشاعر في مناسبتين، أولاهما عيد تتويج الملك فاروق ملك مصر في ذلك الوقت، وثانيتهما عيد الميلاد الملكى «السعيد». وقد سبق أن أشرت إليهما ويتضمن الديوان أيضاً عدداً من قصائد «الإخوانيات» معظمها وجهه الشاعر إلى معالى «إبراهيم الدسوقي أباطة باشا، كما أن بعضها موجه إلى «عزيز باشا أباطة» بمناسبة زيارته لبيت الشاعر.

والحق أنه على الرغم من أن «ليالى القاهرة» قد تضمن عدداً وفيراً من روائع ناجى إلا أن طريقة إخراجه نفسها كانت بالغة السوء، فضلاً عن أنه يحفل بالأخطاء المطبعية التى يقل بل ينذر وجودها في ديوانه الأول.

«الطائر الجريح» - الديوان الثالث

في عام ١٩٥٧، وليس في عام ١٩٥٣ - كما توهم أحد الباحثين - صدر الديوان الثالث لناجى بعد أربعة أعوام من رحيله عن عالمنا، وقد جمع

قصائد هذا الديوان الذى حمل عنوان إحدى قصائده «الطائر الجريح» صديق من أخلص أصدقاء ناجى هو الشاعر الراحل أحمد رامى، وتصدرت ديوان «الطائر الجريح» مقدمة مقتضبة كتبها الشاعر والمحقق محمد عبدالغنى حسن، وقصائد «الطائر الجريح» هى - فى الواقع - عدد من القصائد التى لم ينشرها ناجى فى حياته ضمن ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، كما أن عددا آخر منها كان ناجى قد كتبه بعد صدور «ليالى القاهرة»، وأعتقد أن أحمد رامى قد تدخل فى بعض قصائد «الطائر الجريح» حيث تأكد لى أنه قد حذف عدة مقطوعات من بعض تلك القصائد، على نحو ما سأبين فيما بعد فى «الإشارات».

«ديوان ناجى» - الديوان الرابع الشامل

صدر «ديوان ناجى» عام ١٩٦١، حيث كانت «وزارة الثقافة والإشاد القومى قد شكلت لجنة، كلفت - كما يقول صالح جودت فى كتابه عن ناجى - ص ٥٧ - بجمع تراث ناجى الشعرى المطبوع والمخطوط وشرحه وتنسيقه بغية نشره فى ديوان واحد» .. وكان أعضاء تلك اللجنة شاعرين من أصدقاء ناجى هما أحمد رامى وصالح جودت وأستاذاً جامعياً هو الدكتور أحمد هيكى فضلاً عن الشقيق الأكبر للشاعر وهو محمد ناجى، وقد أنجزت اللجنة مهمتها التى كلفت بها فى شهر فبراير عام ١٩٦٠، وصدر ديوان ناجى بعد ذلك بعام، وقد أثار صدوره فى ذلك الوقت ضجة صحفية اعتمدت على الإثارة أكثر مما اعتمدت على الدراسة المتأنية، وكان مثار تلك الضجة هو أن الديوان قد تضمن عن طريق الخطأ قصائد من شعر الدكتور

كمال نشأت، نظراً لأن أعضاء اللجنة قد توهموا أنها لناجى، والواقع أن ديوان ناجى - منذ صدوره عام ١٩٦١ حتى الآن - لم يظفر بدراسة واحدة من الدراسات الموضوعية المتأنية بعد أن هدأت الضجة الصحفية، بل تلاشت أصداؤها تماماً في حينها، ولست أزعم أن العناية الإلهية قد أرسلتني لأقوم بهذه الدراسة الموضوعية المتأنية، فالحق أن قصارى ما سأفعله الآن هو أن أبرز عدداً من النقاط المتعلقة بتحقيق ديوان ناجى، وهى نقاط لم يشر إليها أحد من قبلى ولو عَرَضاً على الرغم من اشتراك الكثيرين من النقاد والصحفيين فى أحداث الضجة التى أعقبت صدور الديوان، وقبل أن أبرز تلك النقاط أحب أن أبين تصورى الخاص لما سار عليه أعضاء اللجنة فى عملهم، ومن خلاله سيتضح للقارئ أن السبب الجوهرى فيما وقع فيه هؤلاء الذين حققوا الديوان أنهم لم يوزعوا العمل عليهم توزيعاً يحقق له الأسلوب العلمى، فأحمد رامى - فيما أتصور - اكتفى بما أسهم به من قبل فى جمع قصائد «الطائر الجريح» وكان بهذا عضواً شرفياً لا عضواً عاملاً، وصالح جودت تحمل معظم أعباء العمل لكنه اعتمد كلية على ذاكرته، ويبدو أن صداقته الطويلة لناجى قد ملأته بالثقة فيما كان يذكره أو يجمعه، أما شقيق ناجى فقد كان عضواً صورياً يستمد عضويته من كونه شقيقاً للشاعر فحسب دون أن يكون مؤهلاً للقيام بتحقيق الأعمال الأدبية، ويكفى أنه هو الذى قدم لبقية الأعضاء قصائد كمال نشأت طالباً ضمها، إلى ديوان ناجى على أساس أنها له وأنه صاحبها، ويبقى من الأعضاء الدكتور أحمد هيكى الذى امتلأت نفسه بالثقة - فيما أتصور - لأن اللجنة تضم معه شاعرين صديقين لناجى إلى جانب شقيقه - ولهذا فإنه

لم يحاول أن يتثبت تثبتاً علمياً مما كان يذكره صالح جودت من أمور اعتمد فيها على ذاكرته وحدها.

وهكذا يمكن القول إن صالح جودت على وجه التحديد قد وقع في الأخطاء التالية:

١ - ذكر في هامش قصيدة «صخرة الملتقى» أن ناجي «نظم هذه القصيدة في المنصورة حوالى عام ١٩٢٨» (ص ٢١٠ من الديوان) والثابت بالدليل القاطع أن ناجي قد نشر هذه القصيدة في جريدة السياسة الأسبوعية بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧، فكيف إذن نظمها حوالى عام ١٩٢٨؟.

٢ - ذكر في هامش قصيدة «قلب راقصة» أن ناجي «نظم هذه القصيدة سنة ١٩٣٥»، وكانت ملهمته فيها هى الراقصة كريمة أحمد» (ص ٢٦٧ من الديوان) والثابت بالدليل القاطع أن ناجي قد نشر هذه القصيدة ضمن قصائد ديوانه الأول «وراء الغمام» وقد صدر الديوان في مايو ١٩٣٤، فكيف إذن نظمت القصيدة عام ١٩٣٥؟.

٣ - ذكر في هامش قصيدة «مرثية الشاعر الهمشري» أن ناجي نظم هذه القصيدة في رثاء «محمد عبدالمعطي الهمشري» الشاعر الذى رحل عن الدنيا وهو فى الثلاثين من عمره سنة ١٩٣٩» (ص ٢٧٢ من الديوان) والثابت من جميع المراجع التى تحدثت عن الهمشري بما فيها كتاب صالح جودت نفسه «م . ع . الهمشري - حياته وشعره» أن هذا الشاعر الرقيق قد غادر دنيانا عام ١٩٣٨.

ووقعت اللجنة - مجتمعة - فى الأخطاء التالية:

١ - قال ناجى في البيت التاسع من أبيات قصيدته الشهيرة «العودة»:

أيها الوكر إذا طار الأليف

لا يرى الآخر معنى للسماء

وقد نشرت قصيدة العودة ثلاث مرات، وفيها هذا البيت بصورته التي قدمتها، نشرت في العدد التاسع من مجلة «الأسبوع» الصادر في ٢٤ يناير ١٩٣٤، وكانت قد نشرت قبل هذا بعامين في مجلة أبولو، وعلى وجه التحديد في عدد سبتمبر ١٩٣٢ منها (ص ٤٨) وقد نشرت ضمن قصائد «وراء الغمام»، ومع هذا فإن البيت الذي ذكرته قد تغيرت صورته بتغيير «للسماء» إلى «للهناء» على الرغم من أن السماء أشمل وأعمق إذا صرفنا النظر عن الأمانة العلمية، وقد نشر البيت (ص ٣٩ من الديوان).

٢ - قال ناجى في أحد أبيات قصيدة «السراب في السجن» وهي

«الجزء الثالث» مما يسميه شاعرنا «ملحمة السراب»:

يا عزيز الجنى عليك سلام

كيف جادت بقربك الأقدار؟

وقد نشر هذا البيت بصورته هذه ضمن القصيدة كلها مرتين، أولاهما في العدد ٦٣٩ من مجلة الرسالة الصادر بتاريخ أول أكتوبر ١٩٤٥، وثانيتهما ضمن «ليالى القاهرة» الذى صدر كما بينت عام ١٩٥٠، ومع هذا فإن هذا البيت قد تغيرت صورته بتغيير لفظة «جادت» بلفظة «جاءت» على الرغم

من أن اللفظة الأولى أكثر إيجاء وبالتالي أعمق شاعرية، وقد نشر البيت في (ص ٦٠ من الديوان) وأصبح الشطر الثاني (كيف جاءت بقربك الأقدار؟).

٣ - نشر محققو الديوان هامشاً ذيلوا به قصيدة «لقاء في الليل» (ص ١٤٥) وهذا نصه: «في هذا المقطع بيت ناقص، وقد وجدناه ساقطاً من أصل القصيدة في ديوان: «ليالي القاهرة» وهذا بطبيعة الحال غير صحيح، ففي صفحة ٢٢٦ من ديوان «ليالي القاهرة» كتب ناجي يقول ما نصه: «استدراك - في صحيفة ٣٥ قبل البيت الأخير سقط من الطبع البيت التالي:

قلت اهدئي لِمَ ثورة الندم

كفاك ترتجفان يا أملى

وسرى بعد قليل أن أحمد حجازي قد ولد خطأ خاصاً من هذا الخطأ الذي وقعت فيه اللجنة!

٤ - قال ناجي في قصيدة «انتظار» (ص ١١٤ من «وراء الغمام..»)

فتضطرب العواطف ساخرات

وتطعنني بأطراف الحراب

ولم يصحح الشاعر البيت بإبدال «العواطف» بلفظة «العواصف» لأنه كان قد ذكر هذا البيت مصححاً في نفس القصيدة، وبالتالي فإنه ترك أمر تصحيحه للقارئ الذكي، لكن أعضاء اللجنة لم يهتموا بتصحيح البيت وهذا ما يجده القارئ في (صفحة ٣١٠ من الديوان) ..

٥ - ذكر محققو الديوان هامشا ذيلوا به قصيدة «إهداء ديوان» هذا نصه: «هذه القصيدة هي إهداء ديوانه الأول «وراء الغمام» وقد أشرنا إليها في التمهيد لهذا الديوان الشامل (ص ٢٥٧ من الديوان) ، وهذا غير صحيح، فبالرجوع إلى جريدة «السياسة الأسبوعية» وجدت أن ناجي قد نشر هذه القصيدة في عدد السبت ٦ سبتمبر ١٩٣٠، وكان عنوانها «إهداء أشعار» وقد صدرها بقوله «طلب من الشاعر مجموعة من شعره فقدمها بالأبيات التالية»، ومن المعروف بالطبع أن ديوان «وراء الغمام» قد صدر في مايو ١٩٣٤ أى بعد نشر تلك القصيدة في السياسة الأسبوعية بخمس سنوات ..

٦ - ذكر محققو الديوان في الكلمة الموقعة باسم «اللجنة» (ص ٧ من الديوان): «أنا قد وضعنا في نهاية هذا الديوان فهرساً يسجل مصدر كل قصيدة ورقم صفحتها في المصدر»، والباحث في نهاية هذا الديوان لا يستطيع العثور على هذا الفهرس مهما يطل به البحث، وبذلك تكون اللجنة قد ذكرت في مفتتح الديوان أنها ستنفذ أمراً، ووقع بعدئذ نوع من السهو أو النسيان، فأنساها أن تنفذ في نهاية الديوان ما ذكرته في المفتتح.

٧ - قدم شقيق ناجي إلى اللجنة قصائد من شعر الدكتور كمال نشأت، وطلب ضمها إلى ديوان ناجي على أساس أنها له وأنه صاحبها، ولم تحاول اللجنة التثبت من هذا تثبتاً علمياً، فكانت النتيجة أن اندست ست عشرة قصيدة لكمال نشأت في «ديوان ناجي»، خمس عشرة قصيدة منها

نشرها الشاعر ضمن قصائد ديوانه «رياح وشموع» الصادر عام ١٩٥١، أما القصيدة السادسة عشرة فقد نشرها كمال نشأت في إحدى الجرائد اليومية كما يقول هو نفسه وهي قصيدة «يا مصر» كما أنني وجدتها منشورة في مجلة «الثقافة» .. وقصائد كمال نشأت حسب ترتيبها في ديوان ناجي هي: «انتظار القافلة» ص ٤٥، «بحيرة البجع» ص ٥٢، «رحلة في الظلام» ص ٧٨، «وداع - صورة جندي من هنود كشمير» ص ٩٨ «حديث فراشة» ص ١١١ «إلى البحر» ص ١١٤، «ربيعي» ص ١٦٢، «نسمة الفجر» ص ١٧٤، «حديث فراشة - القسم الثاني» ص ١٨٣، «رياح وشموع» ص ٢٠١، «لقاء» ص ٢٠٢، «يقظة الرماد» ص ٢١٥، «مارسيان» ص ٣٢٥ «عينان من العراق» ص ٣٢٦، «نبع وقطرات» ص ٣٥٦ ومن المهم ذكر الصفحة التي نشرت فيها القصيدة الأخيرة في ديوان كمال نشأت فقد نشرت في ص ٥٣، وقد ذكرت «اللجنة» (ص ٧ من الديوان) «إننا حرصنا على إثبات تواريخ القصائد التي استطعنا أن نظفر بتواريخها ومكان نظمها أيضاً» والواقع أن القصائد المؤخرة والمذيلة بأماكن نظمها هي قصائد كمال نشأت الذي كان يحرص على إثبات تواريخ قصائده، وأماكن نظمها، أما شاعرنا ناجي فإنه لم يحرص على هذا في أية قصيدة من قصائد دواوينه، ولكن ما سر وجود قصائد كمال نشأت لدى ناجي؟ الأمر بسيط، فقد قدم كمال نشأت - وكان معجباً بشاعرنا - مخطوطة ديوانه «رياح وشموع» لكي يكتب

له مقدمة، وعندما طال انتظار كمال نشأت لها أثر آسفاً أن ينشر ديوانه بدونها، وترك المخطوطة عند ناجي دون أن يطلبها منه وظلت بين أوراقه إلى أن رحل عن عالمنا وهنا قدمها شقيقه إلى اللجنة على أساس أنها له، وهذه القصة تذكرنا بقصة القصيدة المطولة التي كتبها بدر شاكر السياب بعنوان: «بين الروح والجسد» والتي قيل إنها تناهز الألف بيت، فقد أرسلها السياب إلى علي محمود طه ليكتب لها هو الآخر مقدمة، وإلى الآن لم يعثر عليها بين أوراق علي محمود طه، والحق أنه كان ينبغي على اللجنة لاعتبارات فنية واضحة أن تميز بين قصائد ناجي وقصائد كمال نشأت، صحيح أن كمال نشأت كان متأثراً بناجي في بعض قصائده، ولكن هذا التأثير لم يصل إلى حد عدم التمييز بين قصائد الشاعرين، وهناك قصائد أخرى تأثر فيها كمال نشأت أوضح التأثير بشعراء المهجر مثل قصيدة «ربيعي» و «نبع وقطرات» ولم يكن ناجي ممن تأثروا بشعراء المهجر فيما كتب، وهناك قصائد أخرى تتسم بغلبة الصور الحسية وتصوير التجارب الجنسية مثل قصيدة «في معبد الليل» وهي ما لا يمكن لناجي أن يكتبه لأنها تخالف طبيعته ومن أبياتها:

فنام الضوء خجلانا	على مصباح نشوان
قريـرا لا تنبهه	سوى أنات تحنان
وكان الليل مرثيا	على النافذة الوسنى

تَلَصَّصَ خَلْسَةً يَرْنُو إِلَى مَعْبَدِنَا الْأَسْنَى
فَشَاعَ السَّرُّ بَيْنَ اللَّيْلِ لَلْأَنْجَمِ وَالزَّهْرِ
وَإِذْ بِـالْفَجْرِ بَسَامَا إِلَى الْفَيْنِ فِي خَدَرِ

وهناك قصائد أخرى تتسم بتنوعات عروضية شكلية، لم يكن ناجي قد استخدمها في قصائده ومنها «انتظار القافلة» و «مارسيان».

٨ - نسب محققو الديوان إلى ناجي أربعين بيتاً ليست من شعره، وإنما هي من شعر على محمود طه، وهي قصيدة بعنوان «المرأة» (ص ١٧١ من الديوان) والحقيقة أن على محمود طه قد نشر قصيدته هذه عدة مرات في عدة مجلات قبل أن ينشرها في «أرواح وأشباح» الذي صدر عام ١٩٤٢.

ومن العجيب، بل من الغريب أن صالح جودت ظل مصرأ على الخطأ وأن الخطأ ليس خطأ بل إنه عين الصواب!، فبعد أن كتبت جريدة «أخبار اليوم» - عدد ١٢ سبتمبر عام ١٩٦٦ عن هذا الخطأ واعتبرته فضيحة أدبية، فإن صالح جودت كتب مقالا في مجلة «المصور» - عدد ٧ أكتوبر عام ١٩٦٦، وكان عنوان مقاله «قصيدة المرأة لشاعر الأطلال لا شاعر الجندول» وقال في مقاله بالنص: «.. فالأبيات إذن لناجي، لا لعلى محمود طه والفضيحة إذن ليست فضيحة لأحمد رامى وصالح جودت وأحمد هيكل الذين نشروا ديوان ناجي .. وإنما هي مردودة على من اخترعوها في تجرد من النبل..» ولو كان صالح جودت قد كلف نفسه أن يقلب صفحات «أرواح

وأشباح» لعلى محمود طه، لما كان قد كتب مقاله هذا، ولكن قد أثر الصمت تماماً!! ..

٩ - كانت عملية جمع قصائد ناجى التى لم ينشرها فى ديوانه خلال حياته، تتم بطريقة مرتجلة، تعتمد على المصادفة وحدها، ولهذا نسى أعضاء اللجنة أن يجمعوا قصائد كثيرة من صفحات المجلات والجرائد، وقد قدر لى أن أقوم بجمع قصائد عديدة لم يدر ببالي ولا ببال غيري أنها راقدة فى ثنايا تلك المجلات والجرائد، هذا بينما اعتمد أعضاء اللجنة على الذهاب إلى ملهفات ناجى لكى يسألوهن عما إذا كان شاعرنا قد نظم فيهن شعراً، ومن الملهمات اللاتى ذهب إليهن أعضاء اللجنة كما يذكرون هم (ص ٥ من الديوان) الملهمة «سونيا التى قدمت لنا بعض مناديلها وأمشاطها وأتوجرافاتها فجمعنا منها أربع قصائد نظمها ناجى لها فى جلسة واحدة، وتجدونها فى هذا الديوان، وهى «كيف أنساك؟» و «خشوع» و «عيد سونيا» و «دنيا» ..

ولكى أبين خطورة الاعتماد على «الملهمات» وغيرهن فى مجال التحقيق العلمى للنصوص الأدبية فإننى أحب أن أشير إلى أن محققى الديوان قد نشروا بيتين لناجى وذيلوهما بالهامش التالى «عن مخطوطة قدمتها إلينا الآنسة ضوحية كريمة الشاعر» (ص ٢٢١)، والواقع أن هذين البيتين هما آخر بيتين من قصيدة نشرها ناجى فى العدد الخامس من المجلد الثالث عشر من مجلة «مجلى» وهو العدد الصادر بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٣٨ - (ص ٢١٩)

والقصيدة بعنوان «بعد الشباب» وسيطالعها القارئ كاملة نقلا عن: «مجلى»
ضمن «القصائد المجهولة» والواقع أن ناجى قد نشر هذه القصيدة مرتين
آخرين بعد نشرها فى مجلة «مجلى» إذ أنه نشرها فى مجلة «الحديث» الحلبية
ومجلة «الهلال»..

«مختارات من قصائد ناجى»

فى عام ١٩٧١ صدرت عن دار الآداب - البيروتية مختارات من
قصائد ناجى، اختارها وقدم لها أحمد عبدالمعطى حجازى الذى تردى فيما
تردت فيه لجنة تحقيق «ديوان ناجى» على الرغم من أنه هاجم أعضاء تلك
اللجنة - فى مقدمته - ونسب إليهم الإهمال .. وقع أحمد عبدالمعطى حجازى
فى أخطاء عديدة، لن أذكر هنا إلا أهمها:

- ١ - ذكر أحمد عبد المعطى حجازى أن «ناجى كان يعمل طبيباً فى
المنصورة حوالى عام ١٩٢٩» (ص ١٧ من إبراهيم ناجى - قصائد)، والواقع
أن هذا غير صحيح فقد عمل ناجى طبيباً فى المنصورة عام ١٩٢٧.
- ٢ - قال أحمد حجازى «وناجى يعطى نفسه الحرية فى أن يجعل التاء
المنونة فى كلمة مثل «هادئة» قافية ..» (ص ٢٥ من إبراهيم ناجى - قصائد)
والواقع أن التاء المنونة لا تسمى فى العروض قافية، وإنما يطلق عليها حرف
الروى، ويمكن لحجازى الرجوع إلى أى كتاب فى العروض لكى يتثبت من
هذا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذا المثال الذى استشهد به

حجازى لم يتكرر مطلقاً فى شعر ناجى وهو بهذا الشكل ظاهرة من ظواهر التجديد عند ناجى، كما بين حجازى، فضلاً عن قبح حرف الروى بالصورة التى أورده بها ناجى، والتى جعلته لا يكرر هذا فى شعره مطلقاً، وهذان هما البيتان اللذان جرى فيهما هذا:

وليق يا هذى البحيرة فى حالىك ثائرة وهادئة
فى باسق الماء منعطف فى رائعات الصخر ناتئة

هذان البيتان من قصيدة «البحيرة» المعربة (ص ١٣٩ من وراء الغمام).

٣ - قال أحمد حجازى إن ناجى «فى إحدى قصائده المكونة من مقاطع ثنائية يورد مقطعاً مكوناً من بيت واحد غير حريص على إكماله ببيت آخر لتظهر القافية» (ص ٢٥ من إبراهيم ناجى - قصائد)، وقد سبق أن ذكرت أن حجازى قد ولد خطأ خاصاً من الخطأ الذى وقعت فيه لجنة تحقيق ديوان ناجى، فقد أشرت من قبل إلى الهامش الذى نشره محققو الديوان وذيّلوا به قصيدة، «لقاء فى الليل» وهذا نصه مرة أخرى: «فى هذا المقطع بيت ناقص، وقد وجدناه ساقطاً من أصل القصيدة فى ديوان «ليالى القاهرة» وهذا بطبيعة الحال غير صحيح، فالبيت الناقص أورده ناجى فى ص ٢٢٦ من ديوان «ليالى القاهرة» وذكر مستدركاً أنه سقط من الطبع، ولكن المحققين لم يرجعوا

إلى هذه الصفحة، وجاء أحمد حجازى فاعتمد عليهم ولم يرجع إلى ديوان «ليالى القاهرة»، ثم استنتج حجازى من هذا أن «هذا كله ما جر على ناجى سخط النقاد المتعصبين للقواعد كالدكتور طه حسين وجعلهم يحسبون أنهم أمام شاعر غير مكتمل الأدوات» (ص ٢٦ من إبراهيم ناجى - قصائد) والواقع أن الدكتور طه حسين - كما هو معروف وكما بينت من قبل - لم ينقد ديوان «ليالى القاهرة» وإنما نقد ديوان «وراء الغمام» فحسب، بينما يرد البيت الذى توهمت اللجنة أنه ناقص فى ديوان «ليالى القاهرة»، ثم إننا لا نستطيع أن نقول عن شاعر إنه جدد فى قوافيه لمجرد أنه أورد بيتاً واحداً فى مقطع ثنائى الأبيات على فرض صحة هذا، وهو غير صحيح، فلكى نتحدث عن تجديد شاعر ما فإنه لابد أن يكون لهذا التجديد خصائصه وسماته التى يكون بمقدوره من خلالها أن يشكل ظاهرة واضحة فى شعر هذا الشاعر، على أى حال فهذان هما البيتان اللذان يشكلان المقطع الثنائى لكى يتبين لحجازى أن المقطع ليس مؤلفاً من «بيت واحد» كما ذكر:

قلت اهدئى لِمَ ثورة الندم كفاك ترتجفان يا أملى
وأخذت أدفى بردها بفى لو تنفعن حرارة القبل

٤ - ذكر حجازى أن ناجى «نشر فى عام ١٩٣٠ أولى قصائده «صخرة الملتقى» فى جريدة «السياسة الأسبوعية»، والحق أنى لست أدرى من أين أتى حجازى بهذا التاريخ؟ ... فقصيدة «صخرة الملتقى» منشورة فى عدد «السياسة الأسبوعية» الصادر بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧ - صفحة (٢٠) - كما ذكرت من قبل.

٥ - ذكر حجازى أن ناجى «توفى يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٥٣» (ص ٢٩ من إبراهيم ناجى - قصائد) وهذا غير صحيح، ولكن من الأمانة أن أقول إن كل المراجع التى ذكرت تاريخ وفاة ناجى قد وقعت فيما وقع هو فيه من خطأ باستثناء صالح جودت الذى قال «وتنتهى قصة الشاعر الخالد فى يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٥٣» (ص ٢٣ من مقدمة ديوان ناجى) والواقع أننى راجعت أعداد شهر مارس من جريدة «الأهرام» لكى أثبت من التاريخ الحقيقى لوفاة الشاعر إلى أن عثرت فى «الأهرام» عدد ٢٥ مارس ١٩٥٣ - ص ١١ على هذا النعى: «أفزع المحافل الطبية والأدبية بعد ظهر أمس نبأ مفاجئ نعى إليها الطبيب الشاعر المغفور له .. الدكتور إبراهيم ناجى .. فكان للمصاب فيه وقع أليم فى نفوس مقدريه من أصدقائه وعارفيه، لقد وهب الفقيد حياته للطب والأدب فبرع فى كليهما وسخر كفايته فيهما لخدمة الإنسانية والمثل العليا، فكان طبه ملاذاً لمرضى من الفقراء والمحتاجين، وكان شعره إشراقاً من وحى الروح الأمين، يهدى إلى الحق المبين وينير

الطريق للحائرين، وكان الدكتور ناجي طبيباً موظفاً في مصلحة السكك الحديدية وفي وزارة الصحة وفي وزارة الأوقاف، ثم اعتزل الخدمة الحكومية منذ شهرين، بعد أن ترك في كل دائرة من دوائر عمله أثراً مذكوراً بالتقدير والعرفان على كل لسان، ولن ينسى أحد ممن عرفوه ما كان عليه من دماثة الخلق وفضيلة التواضع ورقة الحاشية والسمو بالواجب إلى أعلى المراتب، طيب الله ثراه، وجعل الجنة مثواه وألهم ذويه وأصدقائه الصبر الجميل».

٦ - ذكر حجازي أن وزارة الثقافة «أصدرت عام ١٩٦٠ ديوان ناجي الكامل الذي ظهرت به بضع عشرة قصيدة من الأشعار الأولى للشاعر المصري كمال نشأت نتيجة لاهمال المكلفين بجمعه وتحقيقه وهم أحمد رامي وصالح جودت والدكتور أحمد هيكل ومحمد ناجي شقيق الشاعر وكان ذلك سبباً في ضجة كبيرة».

والواقع أن الديوان صدر عام ١٩٦١ لا عام ١٩٦٠ كما أنه «لم تظهر به بضع عشرة قصيدة من الأشعار الأولى للشاعر المصري كمال نشأت» فحسب، وإنما تضمن قصيدة «المرأة» وهي لعللى محمود طه وقد سبق أن بينت هذا.

٧ - على الرغم من أن أحمد حجازي نسب الإهمال إلى لجنة تحقيق ديوان ناجي إلا أنه هو نفسه قد تردى فيما تردت فيه اللجنة، إذ أنه ضمن المختارات التي اختارها من قصائد ناجي قصيدة ليست له، وإنما هي لكمال نشأت، (راجع ص ٧٩ من إبراهيم ناجي - قصائد) والقصيدة بعنوان «نبت

وقطرات» ويمكن للقارئ الرجوع إليها في ص ٥٣ من ديوان «رياح وشموع» للشاعر كمال نشأت، وكان حريا بحجازي بدلا من أن يشغل نفسه بالهجوم على غيره أن يشغل نفسه بقراءة القصيدة بتمعن، لكي يكتشف من خلال موضوعها ومن خلال صورها وتراكيبها اللغوية أنها لشاعر متأثر بشعراء المهجر تأثراً واضحاً، ففي القصيدة أنفاس من ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران بشكل خاص، وهذه بضعة أبيات منها:

كنت في عمرى الغرير فهيرا	يرهب البحر ذا العباب العتي
ويخاف الأعماق فيه ويخشى	من فناء في لجه الأزلى
فإذا بي الفناء والخلد والليلى	ل وإشراقة الصباح الوضى
والذى يلمس الإله بجنبه	يشيم الإله في كل شى
في ارتعاش الغصون في بسمة	الطفل وفي آهة بقلب شجى
في صلاة النساك في حانة الله	و وفي دمعة البئس الرضى
والسعيد السعيد من وجد	الكون على قلبه الكبير النقى

إن القارئ لهذه القصيدة يلمس أن صاحبها يترسم خطى ميخائيل نعيمة في قصيدة «كحل اللهم جفنى» على وجه التحديد، وهى إحدى قصائد ديوانه «همس الجفون»، ولا ننسى هنا إن نقول إن كمال نشأت صاحب هذه القصيدة كان يعد رسالة الماجستير في ذلك الوقت عن «شعر المهجر»، كما أن ناجى - فى شعره كله - لم يكن يلجأ إلى التصغير كأن يقول «فهير» بدلا

من «نهر» أو «شجيرة» بدلا من «شجرة»، كما أن البيت الأخير من الأبيات التي أوردتها يشير إلى أن كمال نشأت كان معجبا بقصيدة «صلوات في هيكل الحب» للشاعر التونسي أبو القاسم الشابي، وهذا كله يجعل قصيدة كمال نشأت بعيدة الصلة عن روح شعر ناجي إذا ما أردنا أن نلتمس العذر لأحمد حجازي. ولكن ما الذي جعل حجازي يتردى في كل هذه الأخطاء؟ السبب - في اعتقادي الثابت - أنه تعجل كتابة مقدمته واختيار قصائد ناجي، فما كان منه إلا أن يلجأ إلى ديوان ناجي الذي حققته اللجنة، وكان ينبغي عليه فعلا أن يلجأ إلى دواوين ناجي نفسها، ويقارن بينها وبين ديوان ناجي، وهناك دلائل كثيرة تشير إلى أن حجازي لم يرجع إلى دواوين ناجي نفسها، منها على سبيل المثال ورود الشطر الثاني من أحد أبيات قصيدة «العودة» على النحو التالي (لا يرى الآخر معنى للهناء)، وهذا مالا يجده القارئ في ديوان «وراء الغمام» كما بينت من قبل في معرض حديثي عن أخطاء اللجنة بل إن حجازي لم يهتم حتى بتصحيح الشكل في هذا الشطر، فكلمة «الآخر» - وهي فاعل - تجيء مفتوحة لا مضمومة في نص القصيدة من ديوان ناجي وحده، وهي تجيء على نفس الصورة الخاطئة في مختارات حجازي، ومن دلائل اعتماد حجازي على ديوان ناجي وحده، أن عبارات عديدة من عبارات صالح جودت في مقدمته لهذا الديوان تندس في ثنايا مقدمة حجازي، فضلا عن قصيدة كمال نشأت التي نقلها حجازي - بطبيعة الحال - من ديوان ناجي ..

«فى معبد الليل» - الديوان الملفق

فى أواخر عام ١٩٧٣ صدرت عن دار العودة البيروتية طبعات جديدة من دواوين ناجى «وراء الغمام» و «ليالى القاهرة» و «الطائر الجريح»، وقد وقعت الطبعات الجديدة فى أخطاء عديدة، لكن ما يهمنى الآن هو الإشارة إلى ديوان رابع بعنوان «فى معبد الليل» صدر عن نفس الدار البيروتية والحق أن هذا الديوان ديوان ملفق بكل معنى الكلمة.

ماذا عن الديوان الملفق؟! .. يضم هذا الديوان خمساً وثلاثين قصيدة، أربع قصائد لم تنشر من قبل لناجى فى المجلات أو الجرائد الأدبية وقد صدر الناشر بهذه القصائد ديوان «فى معبد الليل» الملفق، وهى على النحو التالى: قصيدة «إلى أميرتنا» وهى ثلاثة أبيات كتبها ناجى فى عيد ميلاد ابنته «أميرة» (الرابع عشر يوم ١٠/٤/١٩٤٦)، وقصيدة «إلى ابنتى» وهى تتضمن خمسة أبيات كتبها ناجى لابنته أميرة مثل سابقتها وقصيدة «أبد الخلود» وقد كُتب تحتها هامش هذا نصه: «عندما زارت الشاعرة نازك الملائكة الدكتور ناجى فى مصر أهدى إليها ديوانه ليالى القاهرة وقد كتب «الإهداء» هذه القصيدة التى أرسلتها إلينا الشاعرة من جامعة الكويت»، ويتضمن هذا «الإهداء» الشعرى أربعة أبيات هى:

ماكان أقصر هذه من زورة ما أشبعنا من بشاشة نازك
كلا ولا روى النهى من زهرة بالطهر تفصح عن سمات ملائك

إنا حمدنا ليلي أنما قد قربتنا من سنى سمائك
إن كان أسعدنا الزمان بساعة فكأنها أبد الخلود حيالك

أما القصيدة الرابعة فهي قصيدة «تكريم» (ص ٧٣٢) وهي - كما يذكر الهامش المكتوب تحتها (قصيدة الدكتور ناجي في الحفلة التي أقامها فريق من أنصار التجديد وأعلام المدرسة الحديثة تكريماً لصاحب مجلة الحديث الحلبية الأديب الراحل سامي الكيالي سنة ١٩٣٢) ومطلعها:

نفدى النزيل ونكر من إن لم نكرم—ه فمن؟

يبقى إذن من القصائد الخمس والثلاثين التي يضمها الديوان الملفق إحدى وثلاثون قصيدة جميعها - بلا استثناء - منقولة بنصوصها وهوامشها التي تعلق عليها من صفحات ديوان ناجي الذي حققه صالح جودت وشركاؤه، وهذه القصائد مرتبة حسب أولويتها في ديوان ناجي فأولى القصائد "إلى أمنية" يجدها القارئ في ديوان ناجي - تحقيق صالح جودت (ص ٥٤) والثانية «تحت الباب» يجدها القارئ في ديوان ناجي - تحقيق صالح جودت (ص ٩٠) والرابعة «عجبا» يجدها القارئ في الديوان المذكور (ص ١٠١) .. وهكذا تتوالى القصائد دون إشارة ولو سريعة إلى المصدر الذي نقلت عنه نصوصها وهوامشها!! ..

وفيما يتعلق بقصيدة «في معبد الليل» التي يحمل الديوان الملفق اسمها فإنما ليست من شعر ناجي، وإنما هي من شعر كمال نشأت كما سبق أن ذكرت وكررت!!..

قصائد مجهولة

في سنة ١٩٧٨ صدر عن مكتبة مدبولي بالقاهرة كتاب «إبراهيم ناجي - قصائد مجهولة - جمعها وقدم لها حسن توفيق»، يضم هذا الكتاب خمسين قصيدة مجهولة لناجي، منها اثنتان وثلاثون قصيدة نشرت في هذا الكتاب لأول مرة بعد أن قمت بجمعها من الجرائد والمجلات القديمة التي نشرت فيها، وأما بقية القصائد الثماني عشرة، فإن ناجي قد غير في نصوصها المعروفة تغييراً كبيراً، بشكل يجعله تماماً كل الذين لم تتح لهم فرصة الاطلاع على تلك النصوص عندما نشرها ناجي لأول مرة في الجرائد والمجلات المختلفة، وقد تصدرت هذه القصائد مقدمة مطولة مستفيضة، بينت فيها - ضمن ما بينته - مصدر كل قصيدة من تلك القصائد، ولست أريد الحديث عن هذا الكتاب، حتى لا أقحم بمجاملة النفس، لكنني أكتفي هنا ببعض إشارات الآخرين إلى «قصائد مجهولة»، فقد تلقيت رسالة خطية من المهندس حسن ناجي، رأى عبر سطورها أن هذا الكتاب أعمق دراسة عن أخيه الدكتور إبراهيم ناجي، أما الشاعر والكاتب القدير كمال النجمي فإنه أسعدني حين كتب عن الكتاب مقالا مطولا على امتداد صفحتين في مجلة «المصور» عدد

٨ سبتمبر عام ١٩٧٨، وفيه يقول: «هكذا كان شاعرنا إبراهيم ناجي .. ذكرته رحمه الله حين تلقيت ديوانه «الجديد» الذي جمع فيه الشاعر الكاتب حسن توفيق قصائد مجهولة من ناجي .. وكتب لها مقدمة طويلة ممتازة، بين فيها ما وقع من الخلط في جمع شعر ناجي حين قامت بجمعه إحدى اللجان منذ سنوات، وقد أسدى الشاعر حسن توفيق إلى الشعر المصري الحديث يداً بيضاء بما بذله من جهد كبير في جمع هذه القصائد المجهولة التي استخرجها من الظلام كما تستخرج الجواهر من المناجم السحيقة» ..

وإذا كنت فرحت فرحاً عميقاً بعد صدور «قصائد مجهولة» إلا أن هذه الفرحة ما لبث أن تعكرت، بل كادت أن تتبدد، منذ أن علمت أن أحد أصدقاء ناجي الحميمين وأحد المثقفين المصريين القلائل الذين يعملون في صمت، وهو الكاتب وديع فلسطين، كان قد نشر عدة مقالات مطولة عن ناجي وعن شعره الضائع والمجهول في مجلة «الأديب» البيروتية، وحين قرأت هذه المقالات بعد صدور كتاب «قصائد مجهولة» أدركت مدى الخسارة التي لحقت بي ومدى الكسب المعنوي الذي كان يمكن أن يتحقق لو أتيحت لي أن أتابع هذه المقالات قبل صدور كتابي هذا، وفي إحدى هذه المقالات يقول وديع فلسطين .. عدد أبريل ١٩٧٩ من مجلة «الأديب» .. «لا أريد أن أنتقص من قدر الجهد الذي بذله حسن توفيق، فالواقع أنه في بحثه عن ناجي وفي جريه وراء شعره الضائع قد صادفه التوفيق، ولكن من الخطأ القول إن

الخمسين قصيدة الواردة في كتابه هي كل شعر ناجى الضائع، فلا بد لأي دارس من أن يضيف إليها ما سبق لي جمعه، ولا بد كذلك من التنقيب عن جديد من شعر ناجى الضائع استكمالا لديوانه الذي أصابه النحس منذ صدوره...».

والواقع أنني لم أقل إطلاقاً إن قصائد ناجى المجهولة تتمثل في خمسين قصيدة، بدليل أنني سعت - فيما بعد - إلى الأستاذ وديع فلسطين، واستفدت من مقالاته أكبر فائدة، وظللت أعاود البحث بكل ما أوتيت من جهد ومن طاقة، إلى أن أصبحت القصائد المجهولة التي تضمها هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» مائة قصيدة وقصيدة، أي أنها تضاعفت من خمسين قصيدة إلى مائة قصيدة وقصيدة، ومع كل هذا فإنني أعتقد بضرورة وجود قصائد أخرى مجهولة وإن تكن قليلة، لكنني لم أستطع الوصول إليها..

* هذه الأعمال الشعرية الكاملة

مع أنني أدرك أن الكمال لله وحده، على اعتبار أن أيَّ جهد بشري لا بد أن تشوبه نقائص وسلبيات، إلا أنني أستطيع القول، وأنا مطمئن إلى ما أقول، إن ما يشتمل عليه هذا المجلد هو الذي نستطيع أن نسميه - بحق - «الأعمال الشعرية الكاملة» للشاعر الرقيق الكبير الدكتور إبراهيم ناجى..

تضم هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» دواوين وقصائد ناجى على

النحو التالي:

١ - «وراء الغمام» - وهو الديوان الأول للشاعر، والذي أصدره في مايو عام ١٩٣٤، وقد اعتمدت في هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» على نسخة الطبعة الأولى التي تضمها مكتبتى الخاصة، والتي كتب عليها ناجى إهداء بخط يده لأحد مفتشى وزارة المعارف، كما سبق أن أشرت، وقد حرصت على إثبات مقدمة أحمد الصاوى محمد للديوان وقصيدة «إلى ناجى الشاعر» التي تتصدر الديوان والتي كتبها الدكتور أحمد زكى أبو شادى تحية لناجى ..

٢ - «ليالى القاهرة» - وهو الديوان الثانى للشاعر، والذي أصدره عام ١٩٥٠ وليس عام ١٩٤٣ أو عام ١٩٤٤ أو عام ١٩٥١، كما سبق أن بينت بالدليل القاطع، وقد اعتمدت في هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» على نسختى من الطبعة الأولى التي تضمها مكتبتى الخاصة، والتي كنت قد حصلتُ عليها - هدية - من مكتبة مدرسة ووض الفرج الثانوية أيام أن كنت طالباً بها، وقد حرصت على إثبات مقدمة إبراهيم الدسوقي أباطة «باشا» التي تتصدر الديوان، كما أننى لم أسقط القصيدتين اللتين كتبهما ناجى عن الملك فاروق الأول في عيد ميلاده، وعيد تنويجه، حيث حرصت على إثباتهما كما وردتا في الطبعة الأولى.

٣ - «الطائر الجريح» - وهو الديوان الثالث للشاعر، والذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٧ عن دار المعارف بمصر ضمن سلسلة «فى ظلال

الوحي» وقد اعتمدت في هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» على النسخة التي تضمها مكتبتى الخاصة من هذه الطبعة الأولى، وحرصت على إثبات المقدمة التي كتبها محمد عبد الغنى حسن لهذا الديوان كما أننى أضفت الأبيات التي كان أحمد رامى قد حذفها من بعض تلك القصائد، أثناء جمعه لقصائد هذا الديوان.

٤ - «قصائد من ديوان ناجى» - وقد رأيت أن أسميه الديوان الرابع للشاعر، أما القصائد التي يشتمل عليها فهي القصائد المتبقية من «ديوان ناجى» الذى حققته اللجنة المكونة من صالح جودت وأحمد رامى والدكتور أحمد هيكل ومحمد ناجى ، وهذه القصائد المتبقية هي التي لم تضمها دواوين «وراء الغمام» و «ليالى القاهرة» و «الطائر الجريح» وعدد هذه القصائد التي جمعها أعضاء تلك اللجنة ثمان وعشرون قصيدة، أضفت إليها أربع قصائد هي «إلى أميرتنا» و «إلى ابنتى» و «أبد الخلود» و «تكريم» وهى القصائد التي كان الناشر - دار العودة البيروتية - قد أضافها إلى القصائد الثمان والعشرين التي جمعها أعضاء اللجنة، وأصدرها مجتمعه تحت عنوان «فى معبد الليل» والذى سبق أن ذكرت أنه ديوان «ملفق»، وبهذا يكون مجموع «قصائد من ديوان ناجى» الذى تضمه «الأعمال الشعرية الكاملة» اثنتين وثلاثين قصيدة، وقد اعتمدت هنا على الطبعة الأولى من «ديوان ناجى» والتي استعرت نسخة منها

من الأستاذ وديع فلسطين بعد ضياع نسختي الخاصة، كما اعتمدت على نسختي مما سماه ناشره «في معبد الليل».

٥ - «قصائد مجهولة» - وقد رأيت أن أسميه الديوان الخامس والأخير للشاعر، وقد صدر «قصائد مجهولة» في طبعته الأولى عام ١٩٧٨ بعد أن جمعت قصائده وقمت بتحقيقها وكتبت لها مقدمة علمية مطولة، وصدرت طبعة أخرى من «قصائد مجهولة» في بيروت عن «المركز العربي للثقافة والعلوم»، دون استئذان أو موافقة مني على صدورهما، أي أنها صدرت في إطار القرصنة الأدبية! وهذه الطبعة ليست مؤرخة، وقد اشتريت نسخاً منها من عدة مكاتب في بغداد عندما كنت أزورها عام ١٩٨٣.

كان ديوان «قصائد مجهولة» في طبعته الأولى والثانية المزورة يضم خمسين قصيدة مجهولة، أما «قصائد مجهولة» الذي تضمنه هذه الأعمال الشعرية الكاملة، فإنه يضم مائة قصيدة وقصيدة..

وقد قمت بترتيب «قصائد مجهولة» ترتيباً تاريخياً أي أن القارئ سيجد قصائد لناجي كتبها من عام ١٩٢١ وهو العام الذي سبق تخرجه من «مدرسة الطب السلطانية» وحتى شهر فبراير عام ١٩٥٣ أي قبل رحيله عن عالمنا بشهر واحد، حيث إنه قد رحل عن عالمنا - كما نعرف - يوم ٢٤ مارس عام ١٩٥٣.

وتشتمل هذه الأعمال الشعرية الكاملة» على ثلاثمائة وسبع عشرة قصيدة على النحو التالى:

- ١ - ديوان «وراء الغمام» - يضم أربعاً وخمسين قصيدة.
- ٢ - ديوان «ليالى القاهرة» يضم أربعاً وسبعين قصيدة.
- ٣ - ديوان «الطائر الجريح» يضم ستاً وخمسين قصيدة.
- ٤ - «قصائد من ديوان ناجى» - يضم اثنتين وثلاثين قصيدة ..
- ٥ - «قصائد مجهولة» - يضم مائة قصيدة وقصيدة.

وإذا كنت قد جمعت مائة قصيدة وقصيدة، وكانت قصائد ناجى كلها (٣١٧) قصيدة، فهذا يعنى أننى قد جمعت ما يقرب من ثلث قصائد ناجى التى تشتمل عليها هذه «الأعمال الشعرية الكاملة». وقد راعيت أن أثبت تاريخ نشر أو كتابة كل قصيدة من القصائد المجهولة فى الهامش الخاص بكل منها، أما تفاصيل المصادر المتعلقة بتلك القصائد، فإنها موجودة بصورة مفصلة ومستقلة لكى يتابعها الباحثون والدارسون إذا شاءوا أن يتابعوا.

وإذا كانت هذه الطبعة التى تصدر عن «المجلس الأعلى للثقافة» هى الطبعة التى نستطيع أن نسميها بكل تأكيد «الأعمال الشعرية الكاملة» لإبراهيم ناجى فإن الجهد الذى قمت به هو - بطبيعة الحال - جهد فردى ، وليس جهد «لجنة» ومن هنا فإننى أتحمّل وحدى مسؤولية عبء جمع وتحقيق ودراسة هذه «الأعمال الشعرية الكاملة»..

لكن الجهد الفردى الذى قمت به لم يكن ليتحقق على النحو الذى تحقق به، لولا مساعدات وتشجيع كثيرين من الذين يعشقون ناجى، ولا بد لى هنا من الاعتراف بفضل الإنسان الرائع الكاتب وديع فلسطين الذى فتح لى آفاقاً كبيرة، وأعارنى الكثير من الكتب التى طلبت منه أن يعيرنى إياها، كما أن مقالاته التى كتبها فى مجلة «الأديب» اللبنانية عن ناجى قد أفادتني كثيراً، والحق أن وديع فلسطين لم يخل بوقته وجهده تجاه هذه «الأعمال الشعرية الكاملة» حيث كان يفتح لى قلبه وبيته لأنقب فى مكتبته الخاصة العامرة، ولأستوضحه فيما كان غامضاً من أمور تتعلق بناجى، ولا بد أن أذكر هنا شقيق ناجى الراحل - المهندس حسن ناجى الذى استقبلنى فى بيته وأعارنى دراسة مخطوطة عن ناجى، كان قد كتبها الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحى، وهى دراسة أفادتني وجمعت منها عدة قصائد مجهولة، ولا بد أن أشكر السيدة الأستاذة عفت عبدالعزيز ناجى التى أهدتني مقالا نقديا مخطوطاً بخط ناجى، وهو مقال مكتوب على أوراق عيادته الطبية ويتعلق بالنقد الأدبى فى تراثنا القديم، كما أتوجه بالشكر لوالدتها الجليلة السيدة جمالات مظهر التى أهدتني صورة لناجى كان قد كتب عليها قصيدة بخطه، ويرجع تاريخ هذه القصيدة المجهولة إلى شهر سبتمبر عام ١٩٢٤.

والآن .. وبعد هذا السيل الذى تدفق من النشر .. فلننتقل إلى آفاق
الشعر الساحرة والمسحورة من خلال قصائد «الأعمال الشعرية الكاملة»
للشاعر الرقيق الدكتور إبراهيم ناجى ..

١٩٩٥/١٢/٣١

«حسن توفيق»

وراء الغمام

الديوان الأول للشاعر

* صدرت الطبعة الأولى من «وراء الغمام» - مايو عام ١٩٣٤.

إلى ناجي الشاعر

تَغْنِي بِهَذَا الشَّعْرِ قَبْلَ وَجُودِنَا
وَفِي بَدْءِ خَلْقِ الْكَوْنِ شَاعِرُهُ الْأَسْمَى
فَصَرْنَا نَرَى فِيهِ نَشِيدَ الْوَهْمَةِ
وَنَلْمَحُ فِيهِ رُوحَ آيَاتِهِ الْعُظْمَى
مَفَاتِنُ: سِحْرُ الْعَبْقَرِيَّةِ بَعْضُهَا
فَمَاذَا وَرَاءَ الْعَبْقَرِيَّةِ لَا يُسَمَّى؟!
حَبِيبَةُ قَلْبِي: كُلَّمَا ذَاقَ ظَائِمًا
سَلَفَتْهَا يَسْتَصْغِرُ الرُّوحَ وَالْجِسْمَا
يَرَى أَنَّهُ مَعْنَى سَوَى مَا أَحَسَّهُ
وَلَكِنَّهُ مَعْنَى شَأَى الْخَدْسِ وَالْفَهْمَا
كَأَنِّي يَتِيمٌ إِنْ حُرْمْتُكَ شَاعِرًا
وَفِي صُحْبَتِي إِيَّاكَ لَا أَعْرِفُ الْيَتِيمَا
كَأَنِّي غَرِيبٌ فِي وَجُودِ مُعَذِّبٍ
وَعِنْدَكَ أَلْقَى عَالَمَ الْحُبِّ وَالنُّعْمَى
عَوَاطِفُ تُزْرِي بِالزَّمَانِ، وَعُمْرُهَا
هُوَ الْكَوْنُ: لَا تَدْرِي لَهَا يَتِهِ عِلْمَا
لَيْنٌ عُدَّةٌ حُبِّي مِنْ جُنُونٍ وَنَشْوَةٍ
فَلَلْفَنُ حُمَّى لَنْ تُقَاسَ بِهَا الْحُمَّى!

أحمد زكي أبو شادي

تصدير

من غريب الصدف ومحاسنها أننى أول ما تعرفت بصديقى الدكتور إبراهيم ناجى فى مجلة (الهلال)، فى قصيدته «المآب» التى جاءت أولى قصائد هذا الديوان. فلما أتاح لى حظ الكتابة عن ديوانه البكر، قلت لنفسى: مَنْ كان يزعم أننى سأكتب يوماً عن القصيدة التى أحببتها، ورأيت صاحبها، وارتبطنا قبلاً بالألم والحنين والرجاء؟

فهو يخاطب رفيق الصبا العليل المحمول:

يا همَّ قلبى فى صبا أيامه

وسهاد عيني فى الليالى الأولى

عيناى كذبتا، وقلبي لم تدع

دقائقه شكاً ولا تأويلاً

يا أيها الملك العليل أفق تجد

مضناك بين العائدين عليلاً!

ولكنه يخاطب كل من حمل قلبه الهم فى صباه، وكل من تقرحت جفونه من هواه ويصور رغبة النفس فى التشكك فى الشر والجزع من الحزن مع وثوقها من صدق شعورها ويقين إحساسها، فترتجف وتنادى الحبيب المضنى المسجى لينهض ويشهد على الوفاء والشقاء...

يكاد يكون ديوان ناجي قصيدة واحدة، وقصيدة حب ... فقد وجد الحب منذ وجد الشعر، أو وجد الشعر منذ وجد الحب!
وكأنى بإلهة الحب «الزهرة» وإله الشعر «أبولو» قد سارا جنباً إلى جنب يقطعان الأفلاك والأجيال، باحثين عن رجل يعيش بالحب والشعر، ويعيش لهما، ومن أجلهما، فهو دائماً المحب الشاعر، حتى تجلى لهما من «وراء الغمام» ... وعندئذ تنازعا عليه فإلهة الحب تدعيه لنفسها خالصاً وإله الشعر ينسبه إلى ملكوته خالصاً.

وكيف لي أن أنسب ناجي إلى هذه دون هذا؟... إني أخشى أن أغضب فينوس أو أظلم أبولو!..

وليست لي حكمة سليمان الذي تنازعت لديه امرأتان على ولد، فأخذ سكيناً وهدد بذبحه، فصاحت الأم الصادقة إشفاقاً على فلذة كبدها وتركته للأخرى، فحكم لها به ..

وناجي شعورٌ مرهفٌ وحساسية دقيقة تنطبع فيها الخيالات والأشباح وينطبع فيها الحزن والفرح وينطبع فيها الحنين والأنين كالصورة المجلوة المرئية رأى العين.

ولكن إذا درسنا ناجي وجدنا أن الحب والشعر في نفسه قد امتزجا فصارا شيئاً واحداً، كالذرات التي كانت تبحث عن بعضها لتكون الوحدة الكاملة، فاجتمعت دون أن تدري كيف، وكونت روح الشاعر.

فهو دائماً يشعر بـ «الحنين» إلى «الجمال الضنين». ينشد «الميعاد»
ويقضى في «الانتظار» الدهور على «صخرة الملتقى» أملاً في «ساعة لقاء»
و«مصافحة اللقاء». وهو في هذه الخلال يشعر أنه «المنسى» فيضرب في
«ليالي الأرق» على «النأى المحترق» دور «مناجاة الهاجر» أو يروح يلقي
«أغنية في هيكل الحب».. أو يصلى عند «العودة»: «صلاة الحب»... وقد
«يظفر بقرب حبيبه ولكنه يشك في هذا النعيم الذى لقيه فيكى في النعمة
كما يبكى في الشقاء».

ليت شعري!.. هذا هوناجى بقلمه، ومصور بريشته، إذ كيف يجرو
النائر على وصف الشاعر؟ وكيف توصف الموسيقى بالكلام؟ وكيف يعبر
بالحروف عن الأحلام؟ وهل يعرف - ومن أين له - كالشاعر القائل:

أصير الدمع حناً وأجعل الشعر نايًا

إنه يشعر بالحنين، وقد كبر حنينه وزاد فتجسم له إنساناً فشكا منه:

أمسى يعذبني ويضنني شوق طغى طغيان مجنون!

ووارحمنا للطبيب ينشد الشفاء ولا يعرف له دواء:

أين الشفاء ولم يعد بيدي إلا أضاليل تداويني؟!

قد غمره ضجيج الحياة وأمواج الظلمات:

أبغى الهدوء، ولا هدوء وفي صدرى عباب غير مأمون

والذنب ذنبه، قد تعهد الحنين صغيراً:

ربيته طفلاً بذلت له ما شاء من خفض ومن لين
 ولكنه كبر ونما ولما اشتدَّ ساعده:
 لم يرض غير شبيبتي ودمي زاداً يعيش به ويفيني!
 على أن «الجمال الضنين» كذلك كالحنين يتمثل له:
 كم بت منتبهاً أصغى لخطوته أراه في الوهم أحياناً وأسمعه!
 ولكنه في هذه المرة لا يبيع شبابه للفناء ولا حياته للعفاء لأن أمله قد
 تجدد وروحه قد انتعش فاعتزَّ بشعره ونعى على الجمال ضنه:
 أغرَّ حسنك أنَّ الخلد جدوله
 وأنه من غريب السحر منبعه؟
 هيهات يخلد حسنٌ لا يؤلِّهه
 شعرٌ من النسق الأعلى ويرفعه
 تعالَ وادنِ يومٍ لا تحسَّ به
 أجسادنا، في صفاء لا تضيعه!
 لكن أحسُّك تجرى في صميم دمي!
 أنت الحياة، وأنت الكون أجمعه!
 في انتظار هذا اليوم الموعود يقف تحت العاصفة والبرد (ص ١١٤)
 وقفة هي من أروع ما سجله الشعر في حياة الحب تسجيلاً للانتظار المرير:

تعالَ فقد رأيت الكون يحنو
علىَّ ويدرك الكربَ الملمَّما
ويجلو لي النجوم فأزديها
وأغمض لا أريد سواك نجماً
وهو يغرى الحبيب بستر الظلام:
تعالَ! فلم يعد في الحى سارٍ
وهوَّمت المنازل بعد وهن
وران على نوافذها ظلامٌ
وقد كانت تطلُّ كآلف عين
ومع ذلك يشكو من ائتمار الظلام به، ويشكو سخرية العواصف منه،
ثم يعود فيراها كالظلام أيضاً مسيرة في خدمته:
أرى الآباد تغمرني كبحر
سحيق الغور مجهول القرارِ
ويأتمر الظلام علىَّ حتى
كأنى هابطاً أعماق غارِ
وتصطبخب العواصفُ ساخرات
وتطعنني بأطراف الحرابِ

وتشفق بعد ما تقسو فتمضى

لتقرع كل نافذة وباب!

ومثل هذه اللوحات الناطقة شيء جديد فعلاً في وقت أصبح كل
وزّان للقافية شاعراً وأصبح مدار الشعر يقوم على القافية دون الشعور!
فناجى ليس شاعراً مستهماً فقط ولكنه مصور ومفكر. وهو حتى
الآن مازال يعيش على «الغد»، ويعيش على ألوف القراء الذين يستروحون
الرجاء في شعره، ويتعلمون الاصطبار من صبره:

أنا في بُعدك مفقود الهدى

ضائع أعشو إلى نور كريم

أشترى الأحلام في سوق المني

وأبيع العمر في سوق الهموم!

ألم أقل لك إنه مصور لا يبارى:

أيها الأمر في مُلك الهوى

اعفُ عن لهفة روحى وأوارى

أشتهى ضمك حتى أشتفى

فكأنى ظامئٌ آخذٌ ثارى!

غير أني كلما امتدَّتْ يدي

لعناقٍ خفتُ أن تؤذيكِ ناري!

مصورٌ بارعٌ ولا ريب! انظر كيف يجمع بين الجرح والشفق، وكلاهما

ينضح بالدم:

أفديكِ باكيةً وجازعةً

قد لفَّها في ثوبه الغسقُ

ودَّعتها شمساً مودَّعة

ذهبت وعندي الجرحُ والشفقُ

فالشاعرية فيه أصيلة لاشك فيها، وهو يشكو الحبيب أحياناً إلى نفسه

في «الميعاد» شكوى ما أصدقها وأبلغها:

يا ظالمى! عيناك كم وعدتُ

قلبي إذا شففتاك لم تعد!

وهو يعبر عن ذلك في «مناجاة المهاجر» ص (٨٨):

أيجرم حتى وهم حبك من رمى

بمهجته في ناره دون إحجام؟

وأنفق فيه قلبه وشبابه
فلم يبق إلا الجرح والشفقُ الدامي؟!
ومن عجبٍ أحنو على السهم غائراً
ويسألني قلبي متى يرجع الرامي!
فإذا عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدوها قد تغيرت حالها نظر
للحب بقداسة ليست فوقها قداسة (ص ١٧):
هذه الكعبة كنا طائفوها والمصلين صباحاً ومساءً
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها كيف بالله رجعنا غرباء؟
ويروح يصورُّ الحجر في صورة الويل والفناء ويصرخ جزعاً من تدنيس
هيكَل الحب:
والبلى! أبصرته رأى العيانُ
ويداءُ تنسجانِ العنكبوت
صحتُ: يا ويحك! تبدو في مكان
كلُّ شيءٍ فيه حيٌّ لا يموت!

فاذا وقف بعد ذلك للوداع (ص ٥٢) رأيت الدنيا واقفة وراء ناجى
مهيضةً الجناح قد تجردت من نورها وجورها لأن الشاعر يودع غرامه فيودع
الطهر والنقاء ويودع الهناء والصفاء:

حان حرماني وناداني النذيرُ

ما الذى أعددت لي قبل المسير؟

زمنى ضاع وما أنصفتني

زادى الأول كالزادِ الأخيرُ

ريُّ عمري من أكاذيب المني

وطعامي من عفافٍ وضميرُ

وعلى كفك قلبٌ ودمٌ

وعلى بابك قيدٌ وأسيرُ!

ويصحو من سكرة الأمانى فيشكو وينوح كمن يستيقظ من مخدر بعد
عملية جراحية! وهل من جرح مثل جرح القلب الذى لا يلتئم؟ وهل ثم أمرٌ
من يوم الفراق؟

وانتبهنا بعد ما زال الرحيقُ

وأفقنا! ليت أنا لا نفيقُ!

يقظة طاحت بأحلام الكرى

وتولى الليل، والليل صديق

وإذا النور نذير طالع

وإذا الفجر مطل كالحريق

وإذا الدنيا كما نعرفها

وإذا الأحباب كل في طريق!

فظهر هذا الديوان الصغير هو في تاريخ الأدب يوم مشهود وحركة وثابة جديدة لأنه الشعر الخالص للشعر، والحب الخالص للحب، والرحمة للإنسانية.

والآن إذ أودع على أسف منى ليلة قضيتها حتى مطلع الفجر مع هذا الديوان، أشعر بأن الصداقة قد حالت بينى وبين إنصاف ناجى.

ولو أنى لم أكن صديقه لعقدت على مفرقه إكليل الغار، ولكن يكفيه منى، وهو يعلم حى، أن أؤكد له زهدى في طلعة الشمس إذا كان البقاء فيما «وراء الغمام» يشجى الحس ويسعد النفس كل هذا الشجو وهذا الإسعاد.

أحمد الصاوى محمد

إهداء الديوان

أنت وحى العبقريه وجلال الأبدية
أنت لحن الخلد والرحمة في أرض شقية
أنت سرّ تعبته فيه العقول البشرية
إن تكن أشجتك أشعارى وأتاتى الشجيه
فتقبل طاقةً بالدم والدمع نديّة
وارض عنها! وإذا لم ترض فاغفر لي الهدية

* * *

يا حبيبى .. نضب العمر وقربنا الضحية
إن يكن قد شقى الماضى فما أهنأ البقية
في خيالات غوال وأمان ذهبيّة
يطلع الصبح عليها مثلما تضى العشيّة
أنت صهباء السماوات! وروح قدسية
بت تسقىنى فتنسينى أوجاعى العصىّة
فسلاماً كل حينٍ وغراماً وتحية!

شعر الديوان

المــــــآب

(رفيق من رفاق الصبا رآه الناظم عليلًا محمولاً بعد غربة طويلة)

لَمِنَ الْعِوُنُ الْفَاتِرَاتُ ذَبُولاً
وَمِنَ الْخِيَالُ مُوسَّداً محمولاً
يَاهُمَّ قَلْبِي فِي صَبَا أَيَامِهِ
وَسَهَادِ عَيْنِي فِي اللَّيَالِي الْأُولَى
عَيْنَايَ كَذَّبْتَ وَقَلْبِي لَمْ تَدَعْ
دَقَائِصَهُ شَكاً وَلَا تَأْوِيلًا
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَلِيلُ أَفَقُ تَجِدُ
مَضْنَاكَ بَيْنَ الْعَائِدِينَ عَلِيلاً

* * *

يَوْمَ الْمآبِ كَمْ أَنْتَظَرْتُكَ بَاكِئاً
وَبَعَثْتُ أَحْلَامِي إِلَيْكَ رَسُولًا
خَاطَبْتُ عَنْكَ فَمَا تَرَكْتَ مَخَاطَباً
وَسَأَلْتُ حَتَّى لَمْ أَذْغْ مُسْئِلاً

أغرقت في الأمل الجميل فلم أدع
متخيلاً عذباً ولا مأمولاً
وبكيت من يأسى عليك فلم أذر
عند المهاجر مدمعاً مبدولاً
وأسائل الزمن الخفي لعله
يشفي أواماً أو يبل غليلاً
«يا أيها الزمن الذي أسرارهِ
لا تستطيع لها العقول وصولاً»
«بالله قل أواماً وراءك لحظة
جمعت خليلاً هاجراً وخليلاً؟»
هي لحظة وهي الحياة ومن يعيش
من بعدها يجد الحياة فضولاً
مرّ الظلام وأنت ملء خواطري
ودنا الصباح ولم أزل مشغولاً
وأتى النهار علي فتى أمسي بما
حمل النهار من الشئون ملولاً

وكذا الحياة تُملُّ إن هي أقفرت
ممن يهونُ عبأها المحمولا
كدُّ على كدٍّ ولست ببالغ
إلا ضننى متابعاً ونحولا
صدأ الحوادث بدّل الإشراف في
فكرى وكدر خاطرى المصقولا
وتتابع الأنواء في أفق الصبا
لم يُبق لي صحوأ أراه جميلا
ذهب الصبا الغالى وزالت دوحه
مدت لنا ظلّ الوفاء ظلّلا
أيام يخذلنى أمامك منطقى
فإذا سكتُ فكل شيء قبيلا
ويثور بى حبي فإن لفظ جرى
بفمى تعثر بالشفاه خجولا
يا من نزلت بنبعه أريد الهوى
فإذا قنیه محطماً ووبىلا

ما راعني ماذقته وخشيتُ أن
ألقاك بالداء الدفين جهولا
فأشدُّ ما عانى الفؤادُ صباة
شَبَّتْ وظل دفينُها مجهولا!

ساعة لقاء

يا حبيبَ الروح يا روحَ الأمانِ
لستَ تدري عطشَ الروح إليك
وحنيني في أنينٍ غير فاني
للرّدى أشربُه من مقلتيك

* * *

آه من ساعة بث وشجون
ولقاء لم يكن لى في حساب
وحديثٍ لم يَدُرْ لى في الظنون
يا طويل الهجر يامرّ الغياب

* * *

حلّ يا ساحرُ صفوّ وسلام
بعد فتك البين بالقلب الغريب
ودنا روضٌ وظلٌّ وغمام
بعد فتك النارِ بالعمر الجديب!

* * *

مرّت الساعةُ كاللحم السعيدُ
ومشت نشوتها مشى الرحيقُ
ذهبَ العمر، وذا عمرٌ جديدُ
عشّته من فمك الحلو الرقيقُ

* * *

مرّت الساعةُ والليلُ دنا
والهوى الصامتُ يغدو ويروحُ
وتلاشت واختفت أجسادنا
واعتنقنا في الدُّجى روحاً بروحُ

* * *

تسمع الشعر وشعري منك لكُ
وياهامك أبدعتُ الرويَّ
أنت يا معجزةَ الحسن ملكُ
كل لفظ منك شعر قدسيّ

* * *

كيف يفنى ما كتبناه بنارٍ
وخططنا به شهد ودموع
يشهد الليل عليه والنهارُ
والشهيد المتوازي في الضلوع
* * *

التقت أرواحنا في ساحةٍ
كفريين استراحا من سفرٍ
وحططنا رحلنا في واحةٍ
زادنا فيها الأمان والذكرُ
* * *

وتساءلت عن الماضي وهل
حسنت دنيای في غير ظلالك
يا حبيبي! أين أمضى من خجلٍ
وفؤادی أين يمضي من سؤالك
* * *

شدَّ ما ينجلني جهد المقلِّ
من شباب ضاع أو من نور عين
يتمشى السقم في قلب الأجل
وأراني لك ما وفيت ديني
* * *

أنا شاديك ولحنى لك وحدك
فاقض ما ترضاه في يومى وأمسى
درج الدهر وما أذكر بعدك
غير أيامك يا توأم نفسى!
* * *

وأنا الطائر! قلبي ما صبا
لسوى غصنك والوكر القديم
ما تبدلنا! ولا حال الصبا
والهوى الطاهر والسود الكريم!
* * *

لم تَزُلْ ذكراه من بالي وبالك

كيف ينسى القلب أحلام صباه؟

قد صَحَتْ عيني على فجر جمالِك

كيف يُنسى الفجرُ يا فجرَ الحياة؟!

العودة

(عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها قد تغيرت حالها)

هذه الكعبة كنا طائفوها
والمصلين صباحاً ومساءً
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها
كيف بالله رجعنا غرباء

* * *

دارُ أحلامي وحي لقيتُنا
في جمود مثلما تلقى الجديدُ
أنكرتُنا وهي كانت إن رأيتُنا
يضحك النورُ إلينا من بعيدُ

* * *

رفرف القلب بجني كالذبيح
وأنا أهتفُ: يا قلبُ اتشدُ
فيجيب الدمعُ والماضي الجريحُ
لَمْ عُدنا؟ لَيْتَ أَلَا لَمْ نُعَدُ!

* * *

لَمْ عُدْنَا؟ أَوْ لَمْ نَطْوِ الْغَرَامَ
وَفَرَعْنَا مِنْ حَنِينٍ وَأَلَمٍ
وَرَضِينَا بِسُكُونٍ وَسَلَامٍ
وَأَتَيْهِنَا لِفِرَاحٍ كَالْعَدَمِ؟!

* * *

أَيُّهَا الْوَكْرُ إِذَا طَارَ الْأَلِيفُ
لَا يَرَى الْآخِرُ مَعْنَى لِلْسَّمَاءِ
وَيَرَى الْأَيَّامَ صَفْرًا كَالْخَرِيفِ
نَائِحَاتُ كَرِيحِ الصَّحْرَاءِ

* * *

آه مِمَّا صَنَعَ الدَّهْرُ بِنَا
أَوْ هَذَا الطَّلَلُ الْعَابِسُ أَنْتَا
وَالْخِيَالُ الْمَطْرُقُ الرَّأْسَ أَنَا
شَدَّ مَا بَتْنَا عَلَى الضَّنْكِ وَبِتَّ

* * *

أَيْنَ نَادِيكَ وَأَيْنَ السَّمَرُ
أَيْنَ أَهْلُوكَ بِسَاطِئٍ وَنَدَامِي
كَلِمَا أَرْسَلْتُ عَنِّي تَنْظُرُ
وَتَبَّ الدَّمْعُ إِلَى عَيْنِي وَغَامَا
* * *

مَوْطِنُ الْحَسَنِ ثَوِي فِيهِ السَّأَمُ
وَسَرَّتْ أَنْفَاسُهُ فِي جَوِّهِ
وَأَنَاحُ اللَّيْلِ فِيهِ وَجْثَمُ
وَجَرَّتْ أَشْبَاحُهُ فِي هَوِّهِ
* * *

وَالْبَلَى! أَبْصَرْتَهُ رَأَى الْعِيَانُ
وَيَدَاهُ تَنْسُجَانِ الْعَنْكَبُوتِ
صَحْتَ! يَا وَيْحَكَ تَبْدُو فِي مَكَانٍ
كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ حَيٌّ لَا يَمُوتُ!
* * *

كُلَّ شَيْءٍ مِنْ سُرُورٍ وَحَزَنٍ
وَاللَّيَالِي مِنْ هَيْجٍ وَشَجِي

وأنا أسمع أقدام الزمن
وخطى الوحدة فوق الدرج
* * *

ركنى الحانى ومغناى الشفيق
وظلال الخلد للعاني الطليح
علم الله لقد طال الطريق
وأنا جئتكم كيما أستريح
* * *

وعلى بابك ألقى جعبتى
كغريب آب من وادى المحن
فيك كف الله عنى غربتى
ورسا رحلى على أرض الوطن!
* * *

وطنى أنت ولكنى طريد
أبدى النفسى في عالم يؤسى!
فإذا عدت فللنجوى أعود
ثم أمضى بعد ما أفرغ كأسى!

الحنين

(الحنين إذا كبر وزاد قد يتجسم شخصاً)

أَمْسَى يَعَذِّبُنِي وَيَضْنِينِي

شَوْقٌ طَغَى طَغْيَانِ مَجْنُونِ

أَيْنَ الشِّفَاءِ وَلَمْ يَعِدْ بِيَدِي

إِلَّا أَضْـلَالُ تَدَاوِينِي

أَبْغَى الْهَدْوَى وَلَا هَدْوَى فِي

صَدْرِي عَبَابٌ غَيْرَ مَأْمُونِ

يَهْتَاجُ إِنْ لَجَّ الْحَنِينُ بِهِ

وَيَتَنُّ فِيهِ أَنْيْنَ مَطْعُونِ

وَيُظَلُّ يَضْرِبُ فِي أَضْـلَالِهِ

وَكَأَنَّهُمَا قَضْبَانُ مَسْجُونِ

وَيَحَ الْحَنِينُ وَمَا يَجْرَعُنِي

مَنْ مَرَهُ وَيَبِيتُ يَسْقِينِي

رَبِّتَهُ طِفْلاً بَسَذْتَ لَهُ

مَا شَاءَ مِنْ خَفَضٍ وَمِنْ لَيْنِ

فاليوم لما اشتدَّ ساعده
وربنا كنوار البساتين
لم يرضَ غير شيبتي ودمي
زاداً يعيش به ويفنيني
كم ليلةٍ ليلاء لازمني
لا يرتضى خلاً له دوني
ألفى له همساً يخاطبني
وأرى له ظلاً يماشيني
متنفساً لهباً يهبُ علي
وجهي كأنفاس البراكين
ويضمنا الليل العظيم وما
كالليل مأوى للمساكين

النّاي المحترق

كم مرّة يا حبيبي والليل يغشى البرايا
أهيم وحدي وما في الظلام شكّ سوايا
أصير السدمع لحناً وأجعل الشعر نايًا
وهل يلبي حطام أشعلته بجوايا
النار توغل فيه والريح تذرّو البقايا
ما أتعس النّاي بين المني وبين المنايا
يشدو ويشدو حزيناً مرجّعاً شكوايا
مستعطفاً من طوينا على هواه الطوايا
حتى يلوح خيال عرفته في صبايا
يبدنو إلى وتدنو من ثغره شفتايا
إذا بحلمي تلاشى واستيقظت عينايا
ورحت أصغي . وأصغي لم ألفٍ إلاّ صدايا!

المنسى

متى يرق الحظ يا قاسى
ويلتقى المنسى والناسى!
متى! وهل من حيلة في متى
وفي خيالاتٍ وأحداًسٍ؟
هدّ قرارى جريها في دمسى
وهمسها في كرى أنفاسى!
وأنت مثل النجم في المنتأى
وفي السنا الخاطف كالماس
يرنوله الناس ويبغونه
وما يبالي النجم بالناس!
وأنت كأسُ الحسن لكننا
مثل حباب حام بالكاس
طفاً وقد قبل أنوارها
ورفّ مثل الطائر الحاسى!
وجفّ أو ذابّ على نورها
كما يذوب الطلّ بالآس!

تحليل قبلية

ولما التقينا بعد نأى وغربةٍ
شجيين فاضاً من أسي وحنينٍ
تسألني عيناك عن سالف الهوى
بقلبي وتستقضى قديم ديونٍ
فقلت وقد ضجَّ الهوى في جوانحي
وأنَّ من الكتمان أى أنينٍ
يبث فمى سرَّ الهوى لمقبَّل
أجود له بالروح غير ضنينٍ
إذا كنت في شك سلى القبلة التى
أذاعت من الأسرار كلَّ دفينٍ
مناجاة أشواق وتجديد موثق
وتبديد أوهامٍ وفض ظنونٍ
وشكوى جوى قاس وسقم مبرحٍ
وتسهيد أجفانٍ وصبر سنين!

الحياة

(استعراض للحياة في شارع)

جلست يوماً حين حلّ المساء
وقد مضى يومى بلا مؤنسٍ
أريح أقداماً وهت من عياء
وأرقب العالم من مجلسى!

* * *

أرقبه! ياكّد هذا الرقيبُ
في طيّب الكون وفي باطلة
وما يبالي ذا الخضم العجيبُ
بناظرٍ يرقب في ساحلة
سيان ما أجهلُ أو أعلمُ
من غامض الليل ولغز النهار
سيستمر المسرحُ الأعظمُ
روايةً طالت وأين الستارُ

* * *

عييتُ بالدنيا وأسرارها
وما احتيالى في صموت الرمال!
أنشدُ في رائع أنوارها
رشدًا فما أغنم إلا الضلال!

* * *

أغمضت عيني دونها خائفًا
مبتغيًا لي رحمةً في الظلام
فصاح بي صائحها هاتفًا
كأنما يوقظني من منام:

أنت امرؤٌ ترزح تحت الضنى
لم يُبقِ منك الدهر إلا عنادًا!
وكل ما تبصره من سنا
يهزأ بالجذوة خلف الرماد!

* * *

وكل ما تبصره من قوى
تدوى دوىً الريح عند الهبوب

يسخر من مبتئسٍ قد ثوى
يرنو إلى الدنيا بعين الغروب!
* * *

أنظرُ إلى شتى معاني الجمال
منبثة في الأرض أو في السماء
ألا ترى في كل هذا الجلال
غير نذيرٍ طالعٍ بالفناء!
كم عادة بين الصبا والشباب
تألق الصانع في صنعها
تخطر والأنظار تحدو الركاب
ولفظة الإعجاب في سمعها!
* * *

وربما سار إلى جنبها
مدلّهُ ليس يبالي الرقيب
يمشى شديد العُجب في قربها
إذ راح يوليها ذراع الحبيب!
* * *

وانظرُ إلى سيارة كالأجل
تخطف خطفاً لا تُبالي الزحامُ
هذا الردى الجارى اختراع الرجلُ
هل بعد صنع الموت شيء يُرامُ!
وانظرُ إلى هذا القوىِّ الجسدُ
الباتر العزم الشديد الكفاحُ!
قد أقبل الليل فحىَّ الجلدُ
في رجل يدأبُ منذ الصباحُ

* * *

أجبتُ: يا دنيائى من تخدعين؟
إني امرؤ ضاق بهذا الخداعِ
مزقتُ عن عيشى هنئ السنين
لأننى مزقتُ عنك القناعُ!

* * *

إن الجمالَ السَّاحِرَ الفاتنا
ياويحه حين تغير الغضونُ
ويعبث الدهر بحلو الجنى
وتستر الصبغةُ إثمَ السنين!

* * *

وهذه السيارة العاتية
وربُّها الجبار كالبرق سارُ
ماهى إلا شعلٌ فانية
نصيبها مثل شعاع النهار!

* * *

وارحمتهاه للقوى الصبورُ
يقضى الليالى في كفاحٍ سخيْفُ
وكيف لا أبكى لكدح الفقيرُ
أقصى مناه أن ينال الرغيف!

كم صحتُ اذْ أبصرتُ هذا الجهادُ
وميسم الذلة فوق الجباه
يا حسرتا مما يُلاقى العبادُ
أَكُلُّ هذا في سبيل الحياه؟!
وفي سبيل الزاد والمأكَلِ
نملاً صدرَ الأرضِ إعوألا
كم يسخر النجمُ بنا مِن علِ
وكم يرانا الله أطفالا!

* * *

ياربَّ غفرانك إنا صِغارُ
ندبُ في الدنيا ديب الغرورُ
نسحب في الأرض ذبول الصغارُ
والشيب تأديبُ لنا والقبورُ!

قلب راقصة

أمسيتُ أشكو الضيقَ والأينا
مستغرقاً في الفكرِ والسأمِ
فمضيتُ لا أدري أينَا
ومشيتُ حيثُ تجرُّني قدمي

* * *

فرأيتُ فيما أبصرتُ عيني
ملهى أعدَّ ليهجِ الناسا
يجلسون فيه فرائدَ الحُسْنِ
ويباع فيه اللهوُ أجناسا

* * *

بغرائبِ الألوانِ مزدهرُ
وتراه بالأضواءِ مغموراً
فقصدته عجباً ولى بصرُ
شبه الفراشة يعشق النوراً!

ودخلته أجاز مزدحمًا
بالخلق أفواجًا وأفواجًا
وأخوض بحرًا بات ملتطمًا
بالناس أمواجًا وأمواجًا

* * *

فقدوا حجامهم حينما طربوا
ودّوا دوى البحر صخبًا
فإذا استقروا لحظة صخبوا
لا يملكون النفس إعجابًا

* * *

متوثنين يعيل صفهم
متطلع الأعناق يتقصد
ومصفقين علت أكفهم
فؤارة فكأنها الزبد!

* * *

لم لا أثور اليوم ثورهم؟
لم لا أجرب ما يحبونا؟!

لَمْ لَا أَصِيحُ الْيَوْمَ صِيحَتَهُمْ
لَمْ لَا أَضِجُ كَمَا يَضْجُونَا؟!
* * *

لَمْ لَا تَذُوقُ كُؤُوسَهُمْ شَفْتِي؟
إِنَّ الْحَجَا سَمَّى وَتَدْمِيرِي
فِي ذِمَّةِ الشَّيْطَانِ فَلَسَفْتِي
وَرَزَانَتِي وَوَقَارَ تَفَكِيرِي!
* * *

يَا قَلْبُ! ضِقْتَ وَهَاهُنَا سَعَةٌ
وَمَجَالُ مَصْفُودٍ بِأَغْلَالٍ
أَتَقُولُ أَعْمَارٌ مُضِيعَةٌ؟!
مَاذَا صَنَعْتَ بِعَمْرِكَ الْغَالِي؟!
* * *

أَنْظُرْ تَرَ السِّيقَانَ عَارِيَةً
وَتَرَ الْخُصُورَ ضَوَامِرًا تَغْرِي
وَتَجِدُ عَيُونََ اللَّهِ جَارِيَةً
فَهَذَا الْحَيَاةُ! وَأَنْتَ لَا تَدْرِي
* * *

مَنْ هاتِه الحسَناءُ يا عيني؟

السحر كُلُّها وظُلُّها

كالطير من غصنٍ إلى غصنٍ

وثابة، وثب الفؤاد لها!

* * *

وتراه حُسناً غيرَ كذابٍ

لا ما يزيفه لك الضوءُ

ويزيد فتنتها بإغرابٍ

حزنٌ وراء الحُسن مخبوءُ!

* * *

ثم اختفتُ والجمع يرقبها

ويلحُّ: عودي! ليس يرحمها

هي متعةٌ للحسن يطلبها

وأنا بروحي بتُ أفهمها!

* * *

ورأيتها في آخر الليلِ

في فتيةٍ نصبوا لها شرَكاً

يعلو سناها الحزن كالظل

مسكينة تتكلف الضحك

* * *

فمضيت توأ، قلت: سيدي!

زنت المراقص أيما زين!

هل تأذنين الآن ساحري

تأكيد إعجابي بكأسين؟

* * *

فتمنعت وأنا ألح سدي

بالقول أغريها وأبتدر

فاستدركت قالت: أراك غداً

إن شئت إني اليوم أعتذر

* * *

وتحوّلت عني لرفقتها

ما بين منتظر ومرقب

فتانة تغري ببسمتها

وتحدّد الميعاد في أدب

* * *

حان اللقاءُ بغاديتي وأنا
أخشى سراباً خادعاً منها
متلفتاً أستبطئ الزمناً
وأظل أسأل ساعتي عنها
* * *
وأجبل عين الرئبِ ملتفتاً
متطلعاً للباب حيراناً
وأقول: ما يدريك أى فتى
هى فى ذراعى حبه الآن!
* * *
من ذا يصدق وعدَ فاتنةٍ
لا ترحم الأرواح إتلافاً
أنثى تلاقى كل آونةٍ
رجلاً وترمى الوعد آلافاً
* * *
وهمتُ بعد اليأس أن أمضى
فيذا بها تختال عن بُعدٍ

مَيَّزُهَا بِشَبَاهَا الْغَضَّ

وَبَقْدَهَا، أَفْدِيهِ مِنْ قَدًّا

* * *

يَا لِلْقُلُوبِ لِلْمُتَقَى اثْنَيْنِ

لَا يَعْلَمَانِ لِأَيِّمَا سَبَبِ

جَمْعُهُمَا الدُّنْيَا غَرِيبَيْنِ

فَتَأَلَّفَا فِي خُلُوعٍ عَجَبِ

* * *

عَجَبًا لِقَلْبٍ كَانَ مَطْمَعِهِ

طَرِبًا فَجَاءَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ

وَأَشَدُّ مَا فِي الْكُونِ أَجْمَعِهِ

بَيْنَ الْقُلُوبِ أَوَاصِرِ الْبُؤْسِ

* * *

مَنْ أَنْتَ يَا مَنْ رُوحَهَا اقْتَرَبْتُ

مَنْى وَخَاطِبَ دَمْعِهَا رُوحِي

صَبَّتهُ فِي كَأْسِي! وَمَا سَكَبْتُ

فِيهِ سِوَى أَلْآتِ مَذْبُوحِ

* * *

عجباً لنا! في لحظة صرنا

متفاهمين بغير ما أمد!

يا مَنْ لقيتك أمس! هل كنّا

روحين ممتزجين في الأبد؟!

* * *

هاتي حديثَ السقم والوصبِ

وصفي حقارة هذه الدنيا

إني رأيت أساك عن كذبِ

ولمست كربك نابضاً حيّاً

* * *

لا تكتمي في الصدر أسراراً

وتحدثي كيف الأسى شاءَ

أنا لا أرى إثماً ولا عاراً

لكن أرى امرأة وبأساءَ

* * *

تجدين فكرك جدّ مبتعد

والناس نحو سناك دانونا

وترين حالك حال منفرد

والقوم كثر لا يُعدُّونا!

* * *

وترين أنك حيثما كنتِ

ترضين خوانين أنذالا!

يبغونه جسداً فإن بعثِ

بذلوا النضار وأجزلوا المال!

* * *

يا حرَّها من عبرةٍ سالتِ

من فاتكِ العينين مكحولِ

وعذابها من وحشة طالَتْ

وحنين مجهولٍ لمجهولِ

* * *

أفريت عمرك في تطلبه

ويكاد يأكل روحك المللُ

فإذا بدا من تعجيبين به

وتقول روحك: ها هو الأملُ!

* * *

أدميت قلبك في تقربه
والقلب إن يخلص يهين دمه
فإذا حسبت بأن ظفرت به
فازت به من ليس تفهمه
* * *
سكتت وقد عجبت لخلوتنا
طالت كائنا جدّ عشاق
وأقول: يا طرباً لنشوتنا
صرعى المدامة والجوى الساقى!
* * *
أفديك باكيةً وجازعةً
قد لفّها في ثوبه الغسق
ودعّتها شمساً مودّعة
ذهبت وعندي الجرح والشفق
* * *
تمضي، وتجهل كيف أكبرها
إذ تختفي في حالك الظلم
روحاً إذا أثمت يطهرها
ناران: نار الصبر والألم!

الميعاد

إن عُدتَ أو أخلفتَ لم تعدِ
أنا إلفُ روحك آخر الأبدِ
ظماً على ظمأً على ظمأً
ومواردٌ كثرٌ ولم أَرِدِ
مرَّ الظلامُ وأنتَ لي شجنٌ
وأتى النهارُ وأنتَ في خلدي
لا يسمع البحرُ الغضوب إلى
شاكٍ ولا يصفى إلى أحدا
كم لاح لي حربُ الحياة على
أمواجه المجنونة الزبدِ
ورأيت طيفَ الضنك مرتسماً
في عاصفِ الأنواء مطردِ
في الليل مدَّ رواقه وثوى
كجوانح طويت على حسدِ
قبر مباحجه بلا عددِ
لفتي متاعبه بلا عددِ

مَنْ يَوْمَهُ يَوْمٌ بِلَا أَمَلٍ
وَعْدٌ بِلَا سُلُوبٍ وَبَعْدُ غَدٍ!
لَوْلَاكَ وَالْعَهْدُ الَّذِي عَقَدْتَ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَهْجَتِي وَيَدِي
أَضْجَعْتُ جَنْبِي جَوْفَ غِيْهَبِهِ
وَأَرْحَسْتُ فِيهِ بِأَلِيَّ الْجَسَدِ
يَا مُخْلَفَ الْمِعَادِ عَدُّ لَتَرَى
جَزَعُ الْغَرِيبِ وَضِيعَةُ الرَّشْدِ
وَلِيَالِيًّا مَوْصُولَةً سَهْرًا
أَبْدِيَّةَ حَجْرِيَّةِ الْكَبَدِ
وَطَلِيحَ أَسْفَارٍ وَعُلَّتُهُ
قِتَالَةً لَمْ تَشْفَ فِي بَلَدٍ!
يَا شَعَرَ أَيَّامِي وَأَغْنِيَّتِي
وَعَلِيلَ ظَمَانِ الشِّفَاهِ صَدِي!
يَا ظَالِمِي! عَيْنَاكَ كَمْ وَعَدْتَ
قَلْبِي إِذَا شَفَتَاكَ لَمْ تَعْدِ

الميت الحسي

(كان الشاعر مريضاً وشعر أنه ينتهي فكتب القصيدة التالية)

داوِ ناري والْتِماعي وتمهّل في وداعِي
يا حبيب العمرِ هَبْ لي بضَع لحظاتِ سِراعِ
قفْ تأمل مغربَ العمرِ وإخفاقَ الشعاعِ
وابكِ جَبَّار الليالي هذه طولُ الصِراعِ
واضياع الحزن والدمع على العمرِ المضاعِ!
وهتاف القلب بالشكوى على غير انتفاعِ
ما يهْمُ الناس من نجمٍ على وشك الزمّاعِ
غاب من بعد طلوعٍ وخبا بعد التّماعِ
طالَ بي سهدى وإعيائى وقد حان اضطجاعى
وإذا الراحلة حانت بعد لأيٍ ونزاعِ
فصدور الغيد سيّان وأنياب السباعِ!

* * *

آه لو تفضي الليالي لشتيت باجتماعِ
كم تمنيتُ وكم من أملٍ مرّ الخداعِ!
وقفّة أقرأ لك أشعار الوداعِ

ساعة أغفر فيها لك أجيال امتناع
يامناجاتي وسرّي وخيالي وابتداعي
ومتاعاً لعيوني وشيممي وسماعي
تبعثُ السلوى وتنسى الموت مهتوك القناع:
دمعةُ الحزن التي تسكبها فوق ذراعي!

السوداع

حان حرماي وناداني النذير
ما الذي أعددت لي قبل المسير
زمني ضاع وما أنصفتني
زادي الأول كالزاد الأخير
ري عمري من أكاذيب المني
وطعامي من غفاب وضمير
وعلى كفك قلب ودم
وعلى بابك قيد وأسير!

* * *

حان حرماي فدعني يا حبيبي
هذه الجنة ليست من نصيبي
آه من دار نعيم كلما
جئتها أجتاز جسراً من هيب
وأنا إلفك في ظل الصبا
والشباب الغض والعمر القشيب

أنزلُ الربوة ضيفاً عابراً
ثم أمضي عنك كالطير الغريب

* * *

لَمْ يا هاجرُ أصبحتَ رحيمًا
والحنانَ الجمَّ والرقّة فيمَا؟!
لَمْ تسقيني من شهد الرضا
وتلاقيني عطوفاً وكريمًا؟
كلُّ شيء صار مرا في فمي
بعد ما أصبحتُ بالدنيا عليمًا
آه مَنْ يأخذُ عمري كلّهُ
ويعيد الطفلَ والجهلَ القديمًا!

* * *

هل رأى الحبُّ سكارى مثلنا؟!
كم بنينا من خيالٍ حولنا!
ومشينا في طريقٍ مقمرٍ
تشب الفرحةُ فيه قلبنا!
وتطلعنا إلى أنجمه
فتهاوينَ وأصبحن لنا!

وضحكنا ضحك طفلين معاً
وعدونا فسبقنا ظناً!

* * *

وانتهنا بعد مازال الرحيق
وأفقتنا. لست أألا نفيقاً!
يقظة طاحت بأحلام الكرى
وتولّى الليل، والليل صديق
وإذا النور نذير طالع
وإذا الفجر مظل كالحريق
وإذا الدنيا كما نعرفها
وإذا الأخاب كل في طريق

* * *

هات أسعدي ودعني أسعدك
قد دنا بعد التناهي موردك
فأذنيه فإني ذاهب
لا غدى يرجى ولا يرجى غدك

وابلائي من ليالى التي
قربت حيني وراحت بعدك!
لا تدعني لليالى فغداً
تجرح الفرقة ما تأسو يدك!

* * *

أزف البينُ وقد حان الذَّهابُ
هذه اللحظة قُدت من عذابِ
أزف البينُ، وهل كان التَّوى
يا حبيبي غير أن أغلق باب؟!
مضت الشمسُ فأمسيتُ وقد
أغلقت دوينَ أبواب السَّحابِ
وتلفَّتُ على آثارها
أسألُ الليل! ومن لي بالجواب؟!

الزائر

يا للحيب المفدَّى غداة زار وسلَّم
مستحيًا والهوى في ركابه يتضرَّم
وصامتاً وهو أيسك بألف شدو ترئم
ناداه قلبي! وناجاه خاطري! وهو يعلم!
يا مطلع السحر والنور والجمال! تكلم!
أبن! وإلا أعن قلبي الممزق وارحم!

* * *

يا غازياً يضرب القلب وهو حصن مُحطَّم
لما طلعت عليه وهني وأنّ وسلَّم
يا فتنة تتهدى ورحمة تبسّم
إن لم يكن لي رجاء ولا لحظي مغنم
أو لم يعد لي نصيب دعني بحسبك أحلم!

الليالي

(١)

مكاني الهادي البعيد

كن لي مجيراً من الأنام

قد أمك الهارب الطريد

فآوه أنت والظلام

* * *

يا حسنها ساعة انفصال

لا ضنك فيها ولا نكد

يا حقبة الوهم والخيال

هلاً تمهلتي للأبد!

* * *

يا أيها العالم الأخير

ماذا ترى فيك من نصيب؟

أراحة فيك للضمير

أم موعد فيك من حبيب؟

* * *

كم يَعذُّبُ الموت لو نراهُ
أو كان فيك اللقاء يُرجى
ينفضُّ عن عينه كراهُ
ويقبل الراقِدُ المسجى!

* * *
لكنَّ شكاً بما تجنُّ
خيِّم فوق العقول جمْعاً
عجبتُ للمرء كم يئنُّ
ويستطيب الحياة مرْعى

* * *
قد صار حبُّ الحياة منا
يقنع بالجيفة السباع
وعلم السمح أن يضنَّ
وثبت الجبن في الطباع!

* * *

(٢)

طال بنا الصمت والجمودُ

لا البدر يوحى ولا الغديرُ

يا عالم الضيم والقيودُ

برحمتَ بالطائر الأسيرُ!

* * *

هربتُ من عالمٍ أضراً

وجئتُ يا كعبتي أزورُ

هاتي خيلاً إذن وشعرًا

أسكبه في فم الدهور!

* * *

هربتُ من عالم الشقاء

وجئتُ عليّ لديك أحياء!

أشرب من روعة السماء

شعراً وأسقي الفؤادَ وحياء!

* * *

مللتُ في هاته العوالمُ

مهزلة الموت والحياة

وصورة القيد في المقاصم
ووصمة الذلّ في الجباه
هياكل تعبر السنين
واحدة الحق والخصام!
وواحد ذلك الطلاء
يستر خزيًا من الطباغ
أفنى البلى أوجه الرياء
ولم يذب ذلك القناع!
* * *
بعينها كذبة الدموع
بعينها ضحكة الخداع
ومُنحنى هاتيه الضلوع
على صوادٍ بها جياغ!

(٣)

كأن صدر الظلام ضاق
من كثرة البث كل حين!

يا ويحه كيف قد أطاق

شكوى البرايا على السنين؟!

* * *

كأنما ينفث الشهبُ

تخفيف كربٍ يئنّ منه

كالقلب إن ضاقَ واكتأبُ

تخفف الذكريات عنه

* * *

كم زفرة في الضلوع قرّت

يحوطها هيكلٌ مريضٌ

مبيدة حيثما استقرت

فإن نبُحْ سُميتَ فريضُ!

* * *

كم في الدجى آهةٌ تطول

تسري إلى أذنه وشعرُ!

لو يفهم النجم ما نقول!

أو يفهم الليل ما نُسرُ!

* * *

ما بالها أعينُ الفلكِ
 منتشرات على الفضاءِ
 تطلُّ من قاتمِ الحلكِ
 بغير فهمٍ ولا ذكاءِ
 * * *
 ألا وفيَّ ألا معنيين
 في مدلهم بلا صباحٍ؟
 وكلمما جدُّ لي أنينُ
 تسخر بي آتةُ الرياحِ
 * * *
 هبنا شكونا بلا انقطاعِ
 ما حظ شاكٍ بلا سميعِ
 وحظ شعيرٍ إذا أطاعِ
 يا ليتَه عاش لا يطيعِ
 * * *
 يضيع في جنة الزمنِ
 مبدداً في الورى صداة

ولن تري في الوجود مَنْ

يدري عذابَ الذي تلاه!

* * *

(٤)

يا أيها النهر بي حسدٌ

لكل جارٍ عليك رفٌ

أكل راجٍ كما يوذٌ

يروى ظمأه ويرتشفُ

* * *

ومن حيبٍ إلى حيبٍ

ترنو حناناً وتبسمُ

وكل غادٍ له نصيبُ

من مائك البارد الشيمُ

* * *

يا نهرُ رويت كل ظامي

فراح رِيَّانَ إن يذُقُ

فكن رحيماً علي أوامي

فلي فَمَّ باتٍ يحترقُ

* * *

يا من أرى الآن نُصَبَ عيني
خياله عطَّر النسم
بالله ما تبتغيه مني
ولم تدع لي سوى الألم
* * *

في ذمة الله ما أضعتم
من مهجٍ أصبحت هباءاً
لم نجزكم بالذي صنعتم
إلّا غفرنا لمن أساء
* * *

لا تحسبوا البرء قد أَلَمَّ
فلم يزل جرحنا جديداً
يخدعنا أَلَمُ التأم
ولم يزل يخبأ الصديداً
* * *

يا أيها الليل جئتُ أبكي
وجئتُ أسلو وجئتُ أنسى
طال عذابي! وطال شكّي
ومات قلبي، وما تأسّي!

الجمال الضنين

قلّ للبخل إذا ما عزّ مشرعه:

يا مانع الماء عني كيف تمنعه

أغرّ حسنك أن الخلد جدولـه

وأثّه من غريب السحر منبعه؟

يا أيها الكوكب المحبوس في فلك

مبدّد مجده فيه مضيعة!

هيهات يخلد حسن لا يؤلّـه

شعرٌ من النسق الأعلى ويرفّعه!

أنا شهيدك، والقلب الضحوك إذا

أدميته، والمغنى إذ تقطّعه

هل منك يوم رضى صنّ الزمان به

أعيا خيالي وأضناني توقّعه؟!

كم بتّ منتبهاً أصغى لخطوته

أراه في الوهم أحياناً وأسمعه!

وأنت في أفق الأوهام طيفُ صبا
سما ودقَّ على الأفهام موضعه
كأنك النسم النشوان منطلقا
أظل كالنفس الحيران أتبعه
تعالْ وادنْ بيوم لا نحسّ به
أجسادنا. في صفاءٍ لا نضيّعه!
لكن أحسك تجرى في صميم دمي
أنت الحياة، وأنت الكون أجمعه!

ليالى الأرق

(زيارة من حبيب يسأل لماذا نلتقى هذه اللحظات الهاربة

ما دمنا نفترق بعد ذلك..)

هل في العصيب المدهم	مصغٍ لشاكٍ لم ينم
سهةً على سهدٍ وذكري	فوق ذكرى تزدهم
وحنين قلب لا يثوب	إلى خيالٍ لا يلهم
يا من أحب وأفتدي	ويلدُّ لي فيه الألم
لو كنتَ تسمع لاسترحت	من الشكاية للظلم
إن الكواكبَ ضقنَ بي	ذرعاً وآسيها سئم
ومن العجائب في الليالي	والحوادث تستجم
شكوى الحيارى في الحياة	إلى حيارى في السدم!
لمن انتظاري في الظلام	كأنَّ بي شبه اللمم؟
وتساؤلي في حالك	لا صوت فيه ولا قدم؟
وعلامٍ إصغائي لعلَّ	خطاك هذي عن أمم؟
ليلي العشية مثل ليلي	في غرامك من قدم
يا طالما أدنتك أوهام	كـواذب كالحلم
فلمحت صبحك في السواد	وخلتُ روحك في النسم

وشفيتُ وهمي من رضاكِ
ورويتُ أذني من حديثكِ
وحرقت قلبي من سناكِ
كفراشةً حامت عليكِ
لك حسنُ نوارِ الخميصةِ
لك نضرةُ الفجرِ الجميلِ
لك طلعةُ البرءِ المرجى
لك كل ما أوفى على
فبأي قلبٍ أتقي
يا زائراً عجلانَ لمْ
ودّعت ما أشبعت لي
ومضيت عن دينا خلّت
لم يبقَ من أثرِ اللقاءِ
وسؤالِ دمعك حين يسألني
لمْ يا أليفَ خواطري
والأمّ تدفعنا الحوادثِ
دفعتْ بمركبنا المقاديرُ
خرّجتْ وما تدري الغداة
بدأتْ على ريح الرضا

ورُبُّ ذي يأسٍ وهَمِّ
وهو معبود النغمِ
على جمالٍ يضطرمُ
وأَيَّ قلبٍ لمْ يُحمِ!
طُلَّ صباحاً فابتسمُ
على الذوائبِ والقممِ
بعد مستعصى السقمِ
قدر النهايةِ واستتمِ
وبأي حصنٍ اعتصمُ؟
يطلُ اللقاءُ ولمْ يقمِ
روحي ولا نظري النهمِ
وجرت بنعمي لمْ تَمِ
بها سوى عبقٍ ينمِ
ومَن لي بالكلمِ
غفت العيون ونحن لمْ؟!
في عُبابٍ يلتطمُ
الحفيدةُ والقيسمُ
بأي صخرٍ ترتطمُ
والله يدري المختممُ!

صخرة الملقى

(صخرة بين البحر والصحراء كنا نتلاقى عندها
ونستلهم البحر والصحراء أشعارنا)

سألتك يا صخرة الملقى

متى يجمع الدهر ما فرقا!

فيا صخرة جمعت مهجتين

أفاء إلى حسنهما الملقى!

إذا الدهر لج بأقذاره

أجد على ظهرها الموثقا

قرأنا عليك كتاب الحياة

وفض الهوى سرها المغلقا

نرى الشمس ذائبة في العباب

وننتظر البدر في المرتقى

إذا نشر الغرب أثوابه
وأطلق في النفس ما أطلقا
نقول هل الشمس خضبت
وخلت به دمها المهرقا
أم الغرب كالقلب دامي الجراح
له طلبة عز أن تلحقا
فيا صورة في نواحي السحاب
رأينا بها همنا المغرقا
لنا الله من صورة في الضمير
يراها الفتى كلما أطرقا !
يرى صورة الجرح طي القوا
دما زال ملتصبا محرقا
ويأبى الوفاء عليه اندمالا
ويأبى التذكر أن يشفقا

ويا صخرة العهد أبت إليك

وقد مزق الشمل ما مزقا

أريك مشيب الفؤاد الشهيد

سد والشيب ما كلل المفرقا

شكا أسره في حبال الهوى

وود على الله أن يعتقنا

فلما قضى الحظ فك الأسير

مر حن إلى أسره مطلقا

الشك

(قد يظفر المرء بقرب حبيبه ، ولكنه يشك في هذا النعيم
الذى لقيه ، فيبكي في النعمة كما يبكي في الشقاء)

بي ما تحسّ وفي فؤادك ما بي	فتعال نبك أيا نجّي شبّابي
أنكرت بي ناري عشية لأمست	شفتاي منك أنامل العناب
وسألت ما صمتي وما إطراقتي	وعلام ظلت حيرة المرتاب
أقبل لأقسم في حياتي مرة	أن الذي أسقاه ليس بصاب
من أنت؟! من أيّ العوالم ساخر	مستأثر بأعنة الألباب؟
ما يصنع الملك الطهور بعالم	فان وأيام كلمع سراب؟
دوّارة أبد السنين كعهدا	من ليل آثام لصبح متاب
يا هيكل الحسن المبارك ركنه	الساحر النور الطهور رحاب
قدمت قرباني إليك بقية	من مهجة ضاعت على الأحباب
حدثت نفسي إذ رأيْتُك باديأ	وأطلت تسالي بغير جواب
ما يصنع الملك الطهور بعالم	فان وأيام كلمع سراب؟
ما يصنع الأبرار بالأرض التي	ساوت من الأبرار والأوشاب؟
دوّارة أبد السنين كعهدا	من ليل آثام لصبح متاب

تغلو الحياة بها إلى أن تنتهي
يا هيكل الحسن المبارك ركنه
لا صدق إلا في لهيبك وحده
قدمت قرباني إليك بقية
وأذبت جواهرها فداءً نواظر

عند التراب رخيصةً كتراب!
الساحر النور الطهور رحاب
وجلاله الباقي على الأحقاب
من مهجة ضاعت على الأحباب
قدسية، غلوية المحراب!

خواطر الغروب

قلتُ للبحر إذ وقفتُ مساءً
كم أطلت الوقوف والإصغاء
وجعلتُ النسيم زاداً لروحي
وشربت الظلال والأضواء
لكأن الأضواء مختلفات
جَعَلْتَ مِنْكَ رَوْضَةً غَنَاءَ
مر بي عطرها فأسكر نفسي
وسرى في جوانحي كيف شاء
نشوة لم تطل ! صحا القلب منها
مثل ما كان أو أشد عناء
إنما يفهم الشبيه شبيها
أيها البحر، نحن لسنا سواء

أنت باقٍ ونحن حرب الليالي
مزقتنا وسسيرتنا هباءً
أنت عاتٍ ونحن كالزبد الذا
هب يعلو حيناً ويمضي جُفَاءً!
وعجيبٌ إليك يمتُّ وجهي
إذ مللتُ الحياةَ والأحياءَ
أبتغي عندك التأسّي وما تملك
رَدًّا ولا تجيب نداءً!
كل يومٍ تساؤلٌ .. ليت شعري
من ينبّي فيحسن الإنباء؟!
ما تقول الأمواج! ما آلم الشمسَ
فولت حزينَةً صفراءَ
تركنا وخلفت ليلَ شكٍّ
أبديٍّ والظلمةَ الخرساءَ

وكان القضاء يسخر مني

حين أبكي وما عرفتُ البكاءَ

ويح دَمعي وويح ذلة نفسي

لم تدع لي أحداثه كبرياء!

مناجاة الهاجر

دع النفسَ تَمْرُخُ في خيالٍ وأوهام
ونخلٌ لأجفاني كواذبَ أحلامي!
وقل يا حبيب القلب إنك عائد
على جهل حساد وغفلة لسوَام
وإنك دانٍ كالربيع وزائر
بضاحك نوار ومخضل أكمام
تعال أسقني خمر المواعيد والرضا
ونخلٌ الأمانى البيض تغمر أسقامي
أبحرم حتى وهم حبك من رمى
بمهجته في ناره دون إحجام
وأنفق فيه قلبه وشبابه
فلم يَبْقَ إلا الجرح والشفق الدامي!
ومن عجب أحنو على السهم غائراً
ويسألني قلبي متى يرجع الرامي!
فيا لهفة لو كنت أدري بموعد
وراء الليالي أو رجاءً بالمأم!

ولو كان عندي غير زفرة آسف
وحسرة أشعار ودمعة أقلام
ولو كنت أدري كيف يصفو مغاضبٌ
كأن رضاه في ذرى الكوكب السامي
كأن ائتلاقَ النجم والنجم مُشرقٌ
ثناياه تبدو في عبوسةِ أيامي
كأن نسيمَ الليل يحمل طيبه
كأن اصطدام الموج معبودَ أقدام!
فيا أُملي النائي إذا كنتُ مذنباً
فقد تبتُّ عن ذنبي إليك بآلامي!
حبيتك، لا أدري الهوى ما وراءه
وما بعد سقمي فيك عاماً على عامٍ
جهاؤك نبراسي وروحك كعبتي
وعيناك وحيي في الحياة وإلهامي!

الصورة

يا رسمَ من أعطى الهوى	مفتاحَ قلبي المقفلِ
في حبه فني الصبا	وشباب أيامي بلي
يا ويح ما ضيعت فيه	من قليل مخجلِ
ماضي ضاع ولو قدرت	لجدت بالمستقبلِ
يا رسم! كم من ليلة	أبكي وأستبكيك لي
حتى رجعتُ مخادعاً	ومضيتُ جداً مضلّ
أرئو لدمعي باديأ	في وجهك المتهللِ
فأخال عينك هزّهما	شكوى الغريب المهمَلِ
فبكت وتلك دموعها	هذي تُسيل وذئ تلي!

رجوع الغريب

عادتْ لطائرها الذي غَنَّاها
وشدًا فهاج حَنِينُها وشَجَاها
أيُّ الحُظوظِ أعادها لوفِّيَّها
ونجِّيَّ وحدتها وإلفِ صباها
مشوبة التحنان تكم نارها
عبثًا وتأبى أن يبين لظاهها
يا إلفي المعبود! سرِّك ذائع
نار الحنين دفينها أفشاها

* * *

ماذا لقينا من لقاءٍ خاطفٍ
وعشية كالبرق حان ضحاها؟!
يا ويح هاتيك الثواني لم تقف
حتى نسيغ هناءةً ذقناها!
حتى يمتع باليقين مكذب
عينيه في رؤيا يضلُّ سناها

تمضي لها الأبصارُ مُشعلة الهوى

وتحول عنها ما تطيق لقاءها!

* * *

تخبو العواطفُ في الصدور وتنتهي

ويجف في زهرِ القلوبِ نداءها!

وأنا أحسُّ اليومَ بدءَ علاقةٍ

وعنيفِ ثورتها وحزٍّ مداها!

* * *

لم تُرو منكِ نواظري وخواظري

ورجعت أزكى مهجةً وشفاهًا!

مدَّ الخريفُ على الرياضِ رواقه

ومضى الربيعُ الطلقُ ما يغشاها

ما بالرياض؟! كآبةٌ في أرضها

وسحابةٌ تغشى أديمَ سماها!

جهدت حمائمُ أيكها وأنا الذي

شاكيتها فاغرورقت عيناها!

* * *

كيف السبيلُ إلى شفاء صباية
الدهر أجمع ما ييلُ صداها!!
وإلى نسائم جنة سحرية
قرّحتُ أجفاني على مغناها!
قضيتُ أيامي أضْمُ خيالها
وأضعتُ أيامي أقول عساها!

قميص النوم

يا ليلةً سنحت في العمر وانصرمت
هَلَّا رجعت؟ وهَلَّا عادَ أحبابي؟
يأليت شهدك إذ لم يبق لي أبداً
لم يبق في القلب تذكراً من الصاب
لم أنس مُهديتي جلبابها وعلى
جسمي من السقم منها أيُّ جلبابٍ
قميص يوسف رد العين مبصرة
ففاز بالنور ذاك المطرق الكابي
وأنت لو أن روحاً أزمعت سفراً
أعدتها وخيالُ الموت بالبابِ
فدُ خيالُ المنايا اليومَ عن رَجُلٍ
أنشبن في روحه أشباهَ أنيابِ
وإن عجزت فكن في الموت لي كفنأ
أمت وألقى إلهي غيرَ هيَّابِ

الغسل

يا حنّالاً كَيْدِ الآسِي الرُّؤُومِ
وشعاعاً يُشْهِى بَعْدَ الْغَيْصُومِ
أنا في بُعْدِكَ مَفْقُودُ الْمُدَى
ضالِّعٌ أَغْشُو إلى نورِ كَرِيمِ
أشترى الأحلام في سوقِ المني
وأبيع العمر في سوقِ الممومِ
لا تُقُلْ لي في غَدٍ مَوْعِدُنا
فاللَّهُ المَوْعُودُ لاءِ كَالنَّجُومِ!

* * *

أغداً قلت ؟ فعلمني اضطباراً
ليتني أختصر العمر اختصاراً
عَبَرْتُ بي لَشْوَةً مِنْ فَرْحِ
فَرَقَصْنَا أنا والقلبُ سُكَارَى
وعرانا طائف من خيل
فالسدفُ عِنا في الأمانِ لتبارى

سَنَدُمُ النُّورَ حَتَّى يَتَلَاشَى
وَنَدُمُ اللَّيْلَ حَتَّى يَتَسَوَّارَى !

* * *

انفردنا أنا والقلب عشيًا
ننسج الآمال والنجوى سويًا
فركبنا الوهم نبغي دارها
وطوينا الدهرَ والعالم طيًّا
فبلغناها وهللنا لها
ونزلنا الخلد فينا نديًا
ولقينا الحسنَ غصًا والصَّبَا
وتملَّينا الجلالَ الأبدِيًّا

* * *

قال لى القلبُ : أحقا ما بلغنا ؟
كيف نام القدر الساهر عنا ؟
أتراها خدعةً حاقت بنا ؟ !
أتراها ظنةً مما ظنَّنا ؟
قلتُ : لا تجزع فكم من مترلٍ
عزَّ حتى صار فوق المتمنى

إِذْنُ اللَّهِ بِهِ بَعْدَ النَّوَى

فَثَوِينَا وَاسْتَرْحْنَا وَأَمْنُنَا

* * *

يَا جَنَّانَ الْخُلْدِ قَدِمْتَ اعْتَذَارِي

إِذْ يَطُوفُ الْخُلْدُ سَقَمِي وَدِمَارِي

أَيُّهَا الْأَمْرُ فِي مُلْكِ الْهَوَى!

اعْفُ عَن لَهْفَةِ رُوحِي وَأَوَارِي

أَشْتَهِي ضَمَكَ حَتَّى أَشْتَفِي

فَكَأَنِّي ظَامِئٌ آخِذٌ ثَارِي!

غَيْرَ أَنِّي كُلَّمَا امْتَدَّتْ يَدِي

لِعِنَاقٍ خِفْتُ أَنْ تُؤْذِيكَ نَارِي!

* * *

أَيُّهَا النُّورُ سَلَامًا وَخَشُوعًا

أَيُّهَا الْمَعْبُدُ صَمْتًا وَرُكُوعًا

مَلَكَتْ قَلْبِي وَلَيْ رَهْبَةٌ

عَصَفْتُ بِالْقَلْبِ وَاللُّبِّ جَمِيعًا

رُبَّ قَوْلٍ كُنْتُ قَدْ أَعْدَدْتُهُ

لَكَ إِذْ أَلْقَاكَ يَا أَبِي أَنْ يَطِيعَا

وحبّيسٍ من عتابٍ في فمي
قد عصاني فتفجّرتُ دموعاً!

* * *

لذعتني دمعَةٌ تلفحُ خدّي
نبهتني من ضلالٍ ليس يجدي
واختفتُ تلك الرؤى عن ناظري
وطواها الغيبُ في سحريِّ بُردٍ
وتلفّتُ فلا أنت ولا
جنةُ الخلد ولا أطيافُ سعدٍ
وإذا بي غارقٌ في محنتي
وبلائي أقطعُ الأيامَ وخدي

* * *

هات قيثارى ودعني للخيال
واسقني الوهم ! وعللْ بالحال !
ودّع الصدق لمن ينشده
الحجى خصمي فاغمرْ بالضلالِ
وخُذْ الأنوار عني ربما
أجدُ الرحمةَ في جوفِ الليالي

خَلَّنِي بِالشَّوْقِ أَسْتَدِينِي غَدًا
فَغَدًا عِنْدِي كَأَبَدٍ طَوَالَ!

رثاء شوقي
(ألقيت على قبر فقيد الشعر)

قل للذين بكوا على (شوقي)
النادين مصارع الشُّهْبِ
والهفّاه مصر والشرْقِ
ولدولة الأشعار والأدبِ!
دياً تفرّ اليوم في حد
وصحيفة طُويت من الجِدِ
ومُسافرٌ ماضٍ إلى الخلد
سبّقتهُ آلاءٌ بلا عَدِ
هذا ثرى مصرَ الكريمِ، وكم
أكرمته وأشدّت بالذكرِ
يلقاك في عطف الحبيبِ فنم
في النور لا في ظلمة القبرِ!
كم من دفينٍ رحّت تحييه
وبعثته وكففت غرْبته

فاحلِّ عليه مُكرِّماً فيه
يا طالما قدَّستُ ثُربته
يا نازلَ الصحراءِ موحشةً
ريَّانةً بالصمتِ والعدمِ
سالتُ بها العبراتُ مجهشةً
وجرتُ بها الأحزانُ من قدمٍ!
هذا طريقُ قد أَلفناه
نمشي وراءَ مُشيعِ غالٍ
كم من حبيبٍ قد بكَّيناهُ
لم يُمنَحَ من خلدٍ ولا بالٍ
وكانَ يومَكَ في فجيئتهِ
هو أولُ الأيامِ في الشَّجنِ
وكأثما الباكي بدمعتهِ
ما ذاق قبلك لوعةَ الحزنِ!
فاذهبْ كما ذهبَ النهارُ مضى
قد شيعته مدامعُ الشفقِ

مَا كُنْتَ إِلَّا أُمَّةً ذَهَبَتْ
وَالْعَبْرِيَّةُ أُمَّةُ الْأُمَمِ
أَوْ شُعْلَةً أَبْصَارَنَا خَلَبَتْ
وَمَنَارَةٌ نُصِبَتْ عَلَى عِلْمِ
يَا رَاقِداً قَدْ بَاتَ فِي مَشْوَى
بُعِدَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَمَا بَعْدَهَا
أَيْنَ النُّجُومِ أَصَوِّغُ مَا أَهْوَى
شِعْراً كَشَعْرِكَ خَالِداً أَبَداً؟!
لَكِنْ حَزَنِي لَوْ عَلِمْتِ بِهِ
لَمْ يُتَّقِ لِي صَبْراً وَلَا جُهْداً
فَاعْذِرِي إِلَى يَوْمِ نَفَيْكَ بِهِ
حَقَّ النَّبُوءِ وَنَذَكُرُ الْمَجْدَا

هبة السماء

(ألقيت في حفلة تأبين المرحوم أحمد شوقي بك
بمسرح حديقة الأزبكية)

راحوا بأرواحٍ ظمأءُ	يتهافتون على الفناءُ
جفت حلقٍ بعدهم	لم تلق دونهم رواءُ
واها لكأس كالخلو	د ومنهل فيه الشفاءُ
ثمضي إليه فنسقي	ونعُبُ منه كما نشاءُ
فالיום إذ شطَّ المزارُ	بكم وقد عز اللقاءُ
وبخلتُم بخل الضنين	فحسبنا قطرات ماءُ
* * *	

أين الأمين على الإمارة	والحريصُ على اللواءُ؟!
قبس أضواء العالمين	كما تُضيء لهم ذكاءُ
ثم اختفى خلف الغيوب	مخلفاً ظلَّهم المساءُ
فكأنما هبة السماءِ	قد استردَّها السماءُ!
* * *	

جزعُ الرياض لطائر	غنى فأبدع في الغناءُ
حتى إذا خلب العقول	وقيل : سحرٌ لامراءُ!

ولى عن الأيك الفخو
فكأئله والسُحْب تطويه
دنيا من الأمل الجميـــــــــــــــــ
وراءها شفق من الذكرى
وئسائل الدُّنيا التي
عن أى سر طار عن
قم يا فقيد الشعر وائــــــــ
أمم يصبر بعضها
هذي الجموعُ الباكياتُ
قاسمتها أشـــــــــــــــــجائها
أو لَمْ تجدك لسانها الــــــــ
أو لَمْ تكن غريـــــــــدها
لَمْ لا توفِّيك الجميلَ

* * *

ومُنَعَّم بين القصور
ما باله حلّ الهموم
وينوء بالعيب الذي
ويح الذكاء وما يكلفه

ر به إلى عرض الفضاء
فــــــــــــــــيمعن في الخفاء
ل قد استبدَّ بها العفاء !
كجرح ذى دمــــــــاء !
ناطت به كل الرجاء
هذي الربى وعلام جاء ؟ !
ــــظُر أى حفل للرياء !
بعضاً وهيئات العزاء !
الساخطات على القضاء
ووفيت ما شاء الوفاء
شاكى إذا احتدام البلاء ؟
ونديها عند الصفاء ؟
وتستقلُّ لك الفداء ؟ !

* * *

قد استتم له الشراء
وجشَّم القلب العناء !
هو عن أذاه في غناء !
من الشَّمن الذكاء !

أضنى قواه ولم يدعْ	من جسمه إلا ذمًا
والمجد يوغل في حنا	يا روحه والمجد داء !
صرح من الأدب الصميم	له على الدنيا البقاء
الدهر يحمي ركنه	والفن في روح البناء

* * *

(شوقي) ! على رغم التفرد	والتفوق والعلاء
ذاك الرقاد بساحة	لك الرجال بها سواء
وبرغم ذهن كالفراشة	حول مصباح أضواء
مشواك لا تشكو السكون	ولا تمل من الثواء

هَجَاءُ أَعْمَى بِغِيْضِ زَوْجِ حَسَنَاءَ

يا جمال الصُّبَا وأنس النفوسِ
خَبِّرِينَا عَنْ زَوْجِكَ الْمُنْحَوَسِ!
حَدِّثِي أَنْتِ عَنْ عَمَاهُ "الْحِيسِي"
وصفي لي الغرامِ (بالتحسيسِ)
* * *

حدثينا عن اللهبِ المفلدي
وجمالِ يُصَيِّرُ الحُرَّ عَبْدًا
وجنونِ الأعمى إذا ما استجدى
وهو يعيشو لناره كالجوسِ
* * *

يا جمالاً في الترابِ يُلقى ويُرمى
يا لظلمِ الحظوظِ والحظِّ أعمى!
وبلائي أُنِي أَسْمِيهِ ظَلَمًا
وهو لفظٌ ما جاءَ في القاموسِ
* * *

آه من قسوة الطبيعة شقتُ
ظلمةً في مكان نورٍ ورقّتُ
دون قصدٍ لعينه فاستبقتُ
كوةً في فضائها المطموس!

* * *

كوةٌ تنفذ الحفيظة عنها
ويُطلُّ الدهاءُ والخبثُ منها!
طالعنا في طلعةٍ لم ترهنا
"كالفتيل" الحقير في (الفانوس)

* * *

كذليل الأبقار إذ ربطوه
وتراهم بخرقةٍ عَصَبوه
فإذا ما عصاهم ضربوه
وتمشَّى على غناء "الأدوس"

* * *

وتراه تقولُ يقطر بغضا
حيوانٌ يريد أن ينقضا

حسبك الله! عشت تنظر أرضا
فابق فيها! حُرمت نورَ الشموس!

الانتظار

(وقف الشاعر ينتظر تحت العاصفة والظلام والبرد)

لعينيك احتملنا ما احتملنا

وبالحرمين والذلّ ارتضينا

وهان إذا عطفت ولو خيالاً

وأين خيالك المعبود أيناً؟!

تعال! فلم يعد في الحي سارٍ

وهوَّمت المنازلُ بعد وهنٍ

وران على نوافذها ظلامٌ

وقد كانت تطلُّ كألْف عينٍ

تعال! فقد رأيتُ الكون يحنو

عليّ ويدرك الكرب الملمّا

ويجلو لي النجومَ فأزدرىها

وأغمض لا أريد سواك نجماً!

ومنتظرٌ بأبصاري وسمعي

كما انتظرتك أيامي جميعاً

وهل كان الهوى إلا انتظاراً
شتائي فيك ينتظر الربيعا
أرى الآباد تغمرني كبحرٍ
سحيق الغور مجهول القرار
ويأتمر الظلام عليّ حتى
كأني هابط أعماق غارٍ
وتصطبغُ العواطف ساخرات
وتطعنني بأطراف الحرابِ
وتشفقُ بعدما تقسو فتمضي
لتقرع كل نافذة وبابٍ
فصحت بها إلى أن جف حلقي
فحين سكتُ كلمني إبائي
وأشعري العذابُ بعمق جرحي
وأعمق منه جرح الكبرياءِ
ولما لم تفز بلكاك عيني
لحتك آتياً بضمير قلبي

فأسمع وقع أقدام دوانٍ
وأنصتُ مصغياً لحفيف ثوبٍ
وأخلقُ مثلما أهوى خيالاً
لناء صار من قلبي قريبا
أمدُّ يديَّ في هفٍّ إليه
أشاكيه بمحتسب الدموع
فيسبقني إلى لقاء قلبي
وثوباً يبرُدُّ في ضلوعي
فتصطبِّخ العواطفُ ساخراتٍ
وتطعنُنِّي بأطراف الحرابِ
وتشفق بعدما تقسو فتمضي
لتقرع كل نافذة وبابٍ

صلاة الحب

أحقا كنت في قربي لعلني واهمهم وهمما
تكلم سيد القلب وقل لي: لم يكن حلما
* * *

دنوت إلي مستمعا فبخت، وفرط ما بخت
بعادك والذي صنعا وهجرك والذي ذقت
وحبي! ويحبه حبي تبئك حيثما كنت
تكلم سيد القلب وقل بالله ما أنت؟!
* * *

أرى في عمق خاطرك جلالاً يشبه البحرا
والمح في نواظرك صفاء الرحمة الكبرى
* * *

وأنت رضي وتقبل وأنت ضني وحرمان
وفي عينك تقبل وفي البسمات غفران
* * *

وأنت تهلل الفجر وبسمته على الأفق
وحيثما أله النهر وحزن الشمس في الغسق
* * *

وَأَنْتِ حَرَارَةُ الشَّمْسِ وَأَنْتِ هِنَاءُ الظِّلِّ
وَأَنْتِ تَجَارِبُ الْأَمْسِ وَأَنْتِ بَرَاءَةُ الطُّقْلِ
* * *

وَأَنْتِ الْحَسَنُ مُمْتَعاً تَحْدِي حَصْنَهُ النُّجْمَا
وَأَنْتِ الْخَيْرُ مُجْتَمِعاً وَعِنْدَكَ عَرْشُهُ الْأَسْمَى
* * *

وَعِنْدَكَ كُلُّ مَا أَظْمَا وَرَدَّ الْقَلْبُ لَهْفَانَا
وَعِنْدَكَ كُلُّ مَا أَدْمَى وَزَادَ الْجَرْحُ إِثْنَانَا
* * *

وَعِنْدَكَ كُلُّ مَا أَحْيَا وَشَدَّدَ عَزْمَهُ الْوَاهِي
حَنَائِكَ نَضْرَةَ الدُّنْيَا وَقَرُبُكَ نِعْمَةَ اللَّهِ
* * *

وَفِيهِمْ هَوَاجِسُ الْقَلْبِ وَفِيهِمْ أَطْيَلُ تَسَالِي
أَحَبُّكَ أَقْدَسَ الْحَبِّ وَحُبُّكَ كَنْزِي الْغَالِي
* * *

سَنَاكَ صَلَاةَ أَحْلَامِي وَهَذَا الرُّكْنُ مُحَرَابِي
بِهِ أَلْقَيْتَ آلَامِي وَفِيهِ طَرَحْتَ أَوْصَابِي
* * *

هوى كالسحر صيّرني أرى بقريحة الشهب
وطهّـرني وبصّرني ومزّق مغلق الحجب!
* * *

سموت كأنما أمضي إلى ربّ ينــــادي
فلا قلبي من الأرض ولا جسدي من الطين!
* * *

سموت ودق إحساسي وجُزتُ عوالم البشر
نسيت صغائر الناس غفرت إساءة القدر!

مصافحة اللقاء

أهـاب بنا فلبّينـا	منادٍ ضمّ روحينـا
كأنـا إذ تصافحنـا	تعانقنـا بكفينـا
كأن الحبّ تيار	سرى ما بين جسمينـا
يؤجج في نواظرنـا	ويشعل في دمائينـا

مصافحة الوداع

وما زلت ضنيناً	يا أميري! أرف البين
في كفّي حيناً	أصغ لي! وانظر ودع كفك
والذي منها سقيناً	آه من يملك هذي
فشربنا ظمئنا	عللتنا بالأملاني
فوردنا طائعيناً	ثم دارت بالمنايينا
ريانة ضعفاً وليناً	آه من قاسية
حكّم الأقدار فينا	يا بناناً ساحراً قد
ظماناً جنت جنونا	شفتي موتورة
حملت ثأراً دفيناً	وكان الآن كفّي
عندها العمر سجيناً	تتمنأك حبيساً
راحتها وكراً أميناً	طائراً ألقى على
هادي النسر مينا!	وشعاعاً قدسيا

أغنية في هيكَل الحب

ولقينا في هواننا	كم تجرّ عنا هواننا
لم نذق فيها أماننا	وبلونا نار حـب
تدري كيف كاننا	وإذا حلّ الهوى هيهات
أصـلاها عواننا	فإذا ما ملك الأنفس
ولهب لا يـداني !	فهو نـصلٌ مستقرّ
ولم يـسهر سـوانا	يا حبيبي هداً الليل
ولا السـبح شـفانا	لا الدجى ضمّد جرحينا
ولا قاسـيه لاننا	لا الهوى رقّ على الشاكي
كما شاء رماننا	قد غدونا غرض الرامي
هيكـل الحـب كلاننا	وافني بالله نطرق
ونشكو من سقانا!	ساعة نبكي على الكأس

دعاء الراعي

عن الألمانية ... من أغاني هينه

(قصيدة رمزية)

يا أيها الحملُ الوديعُ أنا الذي
يحنو عليك. أنا الحبيبُ الراعي
كم ليلة والرعبُ يمشي في الدجى
والهولُ منتشرٌ على الأصقاع
أغفيت في كنفي وفي ظلِّ الكرى
كالطفلِ في أمنٍ من الأوجاع
ياربِّ! قد وهت العصا واستأثرت
غيرُ الليالي بالقويِّ الباع
يا ربَّ إن تك قد حكمتَ بفرقةٍ
وإذنتَ للراعي بوشك زماع
فانظر إلى الحملِ الوديعِ ووقَّه
شرَّ النفوسِ وفتنةَ الأطماع

نضّر له الدنيا ومد ربيعها
وانشره مؤتلقاً بكل شعاع
واجعل له الأيام ظلاً وارفاً
وخريراً أنهارٍ وخصباً مراعي!

التذكار

معربة عن "الفرد دي موسيه"

بي نزوع إلى الدموع الهوامي
غير أني أخافُ من آلامي
أيهذا المكان! يا غالي الترب!
ومثوى عبادتي واحترامي!
أنت مثوى الذكرى ومدفنها الغالي
القصيُّ الجهلُ في الأيام

* * *

هذه خلوتي فلا تمنعوني
ما الذي تحذرون يا خلالي
إنها عادي التي كنت أعتادُ
وأهوى في سالفِ الأزمانِ
أخذتني لذي الرحاب وقادت
قدمي في سبيلِ هذا المكان!

* * *

أنظروا هذه السفوح وهذا النبت
إذ قام مزهراً تياها
لكأني ما زلتُ تسمع أذني
في صموت الرمال وقع خطاها
وكان النجوى بكل ممر
طوقتي في ستره يمناها!

* * *

قد تراءى الصنوبر النضر إذ
أينع في قائم من الألوان
وتراءى لي المضيق البعيد
الغور يمتد في رخي المجاني
موحشات لكنما كن ألا
في ومهد الهنيء من أزماني

* * *

أنا ما جئتُها هنا أذكر الأشـ
جان في موطنٍ عرفت فيه هنائي

ذلك الغاب رائع الحسن
والصمت مثال الجلال والكبرياء
وفؤادي عاتٍ كرائع هذا الغاب
مستكبرٌ على البرحاء!

* * *

من يشأ أن يفيض يوماً بشكواه
فما هذا موضع الأحران
قل لشاكٍ هلاً مضيت لتجشؤ
عند مثوى ميت من الخلان!
كل شيء حيٌّ هنا وباتُ القبر
ينمو في غير هذا المكان!

* * *

طلع البدرُ يرتقي ذروة الأفق
ويجتازُ حالك الأسداد
يا أمير الظلام إنك تبدو
حائرَ الرأي، واضحَ الترداد

ثم تمضي مجاوزاً حجبَ الليلِ
وترمي بنورك الوقادِ

* * *

كلما شارف الثرى فيض نورٍ
مرسلٍ من جبينك الوضاحِ
وإذا الأرض قد تضيّعت منها
عن ثراها النديّ عطرُ الصباحِ
استشرت عطرَ القديم من الحبِّ
دفين العبير في الأرواح

* * *

أيهذا الوادي المحجب ما زرتك
حتى سألت عن أوصائي
إئن راحت لواعجي أين آلامي
اللواتي أهزمتني في الشباب
عاودتني طفولتي فيك حتى
خلتُ أني ما اجتزتُ يومَ عذاب!

* * *

يا خفاف السنين! يا صولة الدهر
قويا مثل الجبابر عاتي
كل ماضي صباة قد أخذتن
فمن مدمع ومن حسرات
ورحمتن لي أزاهر ذكرى
علقست في ذبولها بالحياة

* * *

فسلام مني على الأيام
كيف آست في النازلات الجسام
لم أكن أدري أن جرحاً بما
كابدت منه من فاتك الآلام
معقب لذة نفسي وإحساس
هناء لذي بعد التئام

* * *

فليبن عني السخيف من الرأي
وتنأى سفاسف الأقوال

وهمومٌ كواذبٌ كفت أثوابها
حُبٌّ عاشقين ضال
جعلوها مظاهراً لهواهم
والهوى الحقُّ ليس منهم ببال
* * *

إيه دانتى! أنت ذاك الذي قال
قديماً عن ذكرياتِ الهناء:
إنها إن مرّت على ذاكريها
زمن الحزن فهي أشقى الشقاء!
أي بؤسى أملت عليك مريـر
القولِ حقاً أسأت للبأساء
* * *

أو إن أقبل الدجى بعد إدبار
نهار صافي الضياء قضيتُهُ
تنكرُ النورَ في الوجودِ فيغدو
محضَ وهمٍ كأنه ما رأيتهُ

ذلك القول وهو جدّ عجيب
أيها الخالد الأسي كيف قلّته

* * *

قسماً بالطهور من لهب الحب
مضيئاً في القلب شبه المنار
ما عهدنا في قلبك الوافر الإيمـ

ـان هذا الظلال في الأفكار
لا أرى للهناء والله صدقاً
مثل صدق الهناء بالتذكـ

* * *

أو إن أبصر الشقي وميضاً
في رماد الهوى فقام إليه
باسطاً نحوه يديه بلهف
حارصاً أن يمرّ من كفيه
وبه من إشعاعه أثر البرق
إذا مرّ خاطفاً ناظريه

* * *

أو إن غاصت روحة في عبابِ
الذكريات التي طوَّها السنين!
وعلى مرآة مجرحة منها
جری دمه السخى الهتون ا
أو هذا السرور من ذكرِ الماضيِ
تسميه بالعذابِ المبين ا

* * *

إن تروى أدمعي فلا تـزجروني
ودعوني إني أحب الدموعا
لا تجفف أيديكم أدمعاً تنفعُ
قلباً لما يزلُ موجوعا
أدمعي سترٌ مسبلٌ فوق ماضٍ
قد تولى ما يستطيع رجوعا!

البحيرة

معربة عن لامارتين

من شاطئٍ لشواطئٍ جُدَدِ
يرمي بنا ليلٌ من الأبدِ
ما مرّ منه مضيّ فلم يعدِ
هيهات مرسى يومه لغدا

* * *

سنةٌ مضت! وختامُها حانا
والدهرُ فرّق شملنا أبدا
ناج البحيرة وحدهك الآنَا
واجلسُ بهذا الصخر منفردا !

* * *

قل للبحيرة تذكّرين وقد
سكن المساء ونحن بالبحرِ
لا صوت يسمع في الدنّى لأحدٍ
إلا صدى الجفافِ والموجِ

* * *

فإذا بصوتٍ غير معتادٍ
هزُّ السكون هتافه العذبُ
أصغى العبابُ ورجَّع الوادي
أصداءه وتناجت السحبُ
* * *

يا دهر في رفق ولا تدِرِ :
ساعاته في هينة وقفى
حتى تتاح هناءة العمرِ
وتطول لذتها لمقتطفِ
* * *

هلا التفتَ لذلك الكونِ
وعلمت كم في الناس من باقي
يدعوك خذني والأسى المضيئُ
خلِّ الممتع وامض بالشاكي
* * *

هذا النعيم وهاته المحنُ
يتنافسان الدهر إقلاعا
فبأي عدلٍ أيها الزمنُ
تشابهُ الحالان إسراعا

* * *

يا أيها الأبد السحيق أجبُ
وتكلمي يا هوة الماضي
ما تصنعان بأشهرٍ وحقبُ
ونعيم عمرٍ غير معاض

* * *

ناج البحيرة والصخورِ وغُدُ
فاستحلف الأغوار والغابا
قل صُنَّ ذكر غرامنا فلقدُ
صين الشبابُ عليك أحقابا

* * *

وليق يا هذي البحيرة في
حاليك ثائرة وهادئة

في باسق للماء متعطف
في رائعات الصخر نائتة

* * *

في عابر النسمات مرتجفا
في النجم فضض صفحة الماء
في الريح أن أنينه وهفا
في الغصن نفس حر أحشاء

* * *

في الجو معتبقاً برياك
خطرت ملاعبة رقيق صبا
في كل هذا هاتف باكي
سيقول : يا أسفا لقد ذهبنا

وداع المريض

(مهداة إلى س ...)

"مريض عزيز سهر الشاعر عند سريره يعنى به."
"وكان وداعه في الصباح فكتب يودعه بالقصيدة التالية"

فيم الغدو غداً وأين رواحي
ويح الصباح ! لقد مضى بصباحي
عصفت علينا غير راحة لنا
ياصفوة الأحباب ، أي رياح!
عبثت بمعبود العيون وصيرت
كالورس لوناً توأم التفاح
ذهبوا به كالورد جافاه الندى
ومضوا به شبحاً من الأشباح
يا هاتفاً باسمي فديت منادياً
رد النداء عليه حر نواحي!
يا آسي الآسي لمت جراحتي
وأسلت يوم نواك أي جراح!

طأطأت للبين المشتت هامتي
وخفضت للقدر المغير جناحي
أي الليالي العاتيات سهرتها
في أي آلام وأي كفافاح!
هدم الضنى العاتي قوي شكيمتي
وثني معاندتي ورد جماحي!
وطغى على الملك الموسد بيننا
في لطف زنبقة وضعف أقاح!
كيف المآب إلى مكان موحش
متجههم العرصات قفر السباح!
في كل ناحية خيال هائف
ومذكر بجبينك الوضاح
وموسد كالطيف صاح ليله
أمسيت أرعاه بجفن صاح

* * *

عاد الشقي إلى قديم شقائه
ومحا من الدنيا السعادة ماحي

ويح الحياة اليوم أين جهالها
وعلام إخفاقي بها ونجاحي
أنت الذي وهب الحياة لمت
في الأرض منفرد بغير طماح
أشرقت في ظلماتها وغمامها
وطلعت مثل البارق اللماح!

فرحة جديدة

أدركت عندك يومي الموعودا
ولقيت فيك مثالي المنشودا
وا فرحتي بك فرحة الطفل الذي
يلهو ويخلق كل يوم عيدا
وا فرحتي بك فرحة الطير الذي
ملاً الروابي المصغيات نشيدا
طربت لصدحته وصفق ظافراً
جذلان في عرض الفضاء سعيدا
في موكب من قلبه وحييه
من راح تحسبه العيون وحيدا
وا فرحتي بك فرحة الضال الذي
يطوي القفار اللافحات شريدا:
لاحت له بعد الهواجر أيكّة
غناء تبسط ظلها الممدودا

ما أعجب الدنيا التي بعث الهوى
وأحالتها روضاً أغر جديدا
شقى غرائبها وأعجبها فتى
يغدو لمهجته عليك حسودا
يتهالكان على جمالك صبوة
يتنافسان ضراعة وسجودا
يتنازعانك غيرة وتغضبا
كل يراك حبيب المعبودا
ما أعجب الإيمان يغمر خاطري
كالفجر قد غمر السماء وئيدا
مزقت شكي فاسترحت لأعين
علمني الإيمان والتوحيدا

استقبال القمر

أَقْبِلْ بِمُوكِبِكَ الْأَغْرُ
الْعَيْنِ بِعَدِكَ يَا قَمَرُ
تَمَضِي وَرَاءَ سَحَابَةٍ
وَأَنَا رَهَيْنُ كَابَةِ
كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا أَنَا
أَغْدُو لِقَدْسِكَ بِأَلْمَنِ
وَأَقُولُ صَبْرًا كُلِّمَا
رُوحِي وَرُوحُكَ رَجَمَا
مَهْمَا تَسَامِي مَوْضِعُكَ
فَأَنَا خِيَالُكَ أَتْبَعُكَ
قَمَرَ الْأَمَانِي يَا قَمَرُ
أَنْتَ الشِّفَاءُ الْمَدَّخِرُ
أَفْرِغْ خُلُودَكَ فِي الشَّبَابِ
أَسْفًا لَعَمْرٍ كَالْحَبَابِ

مَا أَظْمَأَ الْأَبْصَارَ لَكَ!
عَمِيَاءُ! وَالِدُنِيَا حَلَّكَ!
تَحْنُو عَلَيْكَ وَتَلْثُمُكَ!
بِخِوَاطِرِي أَتَوْهُمُكَ!
إِلَّا مَعْنَى بِالْخِيَالِ
وَأَزُورُ عَرْشَكَ بِالْخِيَالِ!
عِزَّ الْفِكَاكِ عَلَى الْأَسِيرِ
طَابَا عِنَاقًا فِي الْأَثِيرِ!
وَعَلَا مَكَائِكَ فِي الْوَجُودِ
ظَمَانَ أَرْشَفُ مَا تَجُودُ
إِنِّي بِهِمْ مَسْقَمُ
فَاسْكَبْ ضِيَاءَكَ فِي دَمِي
وَاخْلَعْ عَلَى قَلْبِي الصِّفَاءُ
وَالْكَأْسُ فَائِضَةٌ شِقَاءُ

* * *

خِذْنِي إِلَيْكَ وَنَجِّنِي
قَدْ حَيَّيْتُ رُتُوقَ فَاسِقِي
وَاهِبْ لَأَحْلَامِ طُوالِ
تَغْلُو عَلَى قَمَمِ الْجِبَالِ

مِمَّا أَعْيَانِي فِي الشَّرَى
قَدْ حَيَّيْتُ الشَّعَاعَ مَطَهَّرَا!
وَأَنَا وَأَنْتَ بِمَعْزِلِ
وَنَرَى الْعَوَالِمَ مِنْ عَالِ

نقريتي الجديدة

(إلى ممثلة فنانة)

لمن هاته الفتنة النادرة
وما هاته الأعين الساحرة؟
وما ذلك المرح القدسي
وما هاته الضحكة الطاهرة؟
تطوف مطاف الحنان العميم
وتسقط كالنعمة الوافرة
وتمتد مثل امتداد العباب
وترجع كالموجة الساخرة
وتنقش أصداءها في القلوب
وتبقي مدي العمر في الذاكرة
فيا رقةً سكبت في النفوس
كما تسكب الخمرة القاهرة
نسينا بك العالم الدنيوي
وأسمعنا نغم الآخرة

وياربةً من نواحي الألب
أطلت علي مهج شاعرة
حنينا الرؤوس لمجد الجمال
ولذنا بعرشك يا آسرة
(....) مثلت هذي الحياة
وصورت أدوارها الزاخرة
وحملت روحك أثقالها
وروحك كالريشة الطائرة
وكلفت قلبك خوض الجحيم
وقلبك كالجنة الناضرة
دفعت به في اللظى كالخليل
وعدت مباركة ظافرة
رجعت من النار يا قوتةً
مطهرةً حرّةً باهرةً
(....) إن كرمشك البلادُ
ودانت لمعبودةً قادرةً

فَوَاللّٰهُ مَا فَهَمْتُكَ الْعَقُولُ
وَلَا قَدَرْتُ قَدْرَكَ "القاهرة"
فَلِلشَّعْرِ عَيْنٌ يَرَاكَ بِهَا
بَغِيرَ عَيُونِ الْوَرَى النَّاطِرَةِ
يَرَى لَكَ حُسْنَ الشَّعَاعِ الْجَمِيلِ
أَغَارَ عَلَى الظُّلْمَةِ الْغَامِرَةِ
فَجَلَّلَ بِالسَّحْرِ هَذَا الدُّنْيَا
وَصَيَّرَهَا جَنَّةَ زَاهِرَةٍ
فَنُورٌ أَكْوَاخُهَا الْبَالِيَاتِ
وَهَلَّلَ فِي دَوْرَهَا الْعَامِرَةِ
رَسُولٌ يَجُوسُ خِلَالَ الدِّيَارِ
وَيَنْزِلُ كَالرَّحْمَةِ الزَّائِرَةِ
بَعَيْنٍ قَدْ اغْرُورِقَتْ
لَهَا مُقْلَةُ الْغَيْمَةِ الْمَاطِرَةِ
يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ إِنْسَانُهَا
وَمَهْجَتُهُ لِلْوَرَى غَافِرَةٌ

الفراشة

أجل! يعلم الحبُّ أني لظاهُ
وتدري الفراشة أنَّني اللهبُ
وأني بسدوتُ لها في الظلام
فرففتُ بأجنحةٍ تضطربُ
وبين ذراعيَّ سرُّ الحياةِ
وفي ناظريَّ بريقُ الشُّهبِ
دانت خطوةٌ ثم عادت إلى
مجاهلها من خفيِّ الحُجبِ!
وشتان بين السنا والظلام
لعابدةٍ للسناء عن كُتبِ!
وفي صدرها هفوةٌ للعناقِ
وفي قلبها جنَّةُ المغتربِ
يلوح لها شبحٌ للعذابِ
ويبدو لها الأبدُ المقتربُ

كأن اللظى قدحٌ من سلافٍ
لها فوقه وثباتُ الحبِّ
فراشةٌ روحى تعاليً وثوباً
ستلقين قلباً إليك يشبُّ
إذا ما امتزجنا احترقنا معاً
ونلنا الخلود بهذا العطب!!

إلى س ...

جئتُ أشكو لكِ رُوحِي وجَواها
وردت ظمأى وعادت بنصداها
آه من عينكِ! ماذا صنعتُ
بغريبٍ مستجيرٍ بحماها؟!
تبعته تقتفي أحلامه
كلّما أغفى أطلّلت فرآها
يا سقى الله "ليلي" أيكّة
وجزاها الخيرَ عَنّا ورعاها
وغذاها من أمانينا ومن
حبنا الشهدَ المصفي وصقاها
قربّي عينكِ مني قربّي!
ظلليني واغمريني بصفاهها
وأريني هداة البحر إذا
انبسط البحرُ جلالاً وتناهى

وأريني لجة السحر التي
ضلُّ في أعماقها الفكرُ وتاهَا
المحُ اللؤلؤُ في أغوارها
وأرى الطيبة تطفو في سناها
وأراها تُخبِّيُ الخلدَ لمن
باع دنياه وبالروح اشتراها!

* * *

نحن أرواحٌ حيارى افترقتُ
ثم عادت فتلاقت في شجَاهَا
سوف ينسى القلبُ إلا ساعةً
من رضا في وكر كالحاني قضاها
هتف القلب وقد حدثني
أي ماضٍ كشفت لي شفتاها
همستُ في خاطري فاستيقظتُ
روحي الحيرى وأصغت لنداها
فأنا إن لم أكن توأمها
فكأني كنت في الغيب أخاها

نحن أرواحٌ حيارى ثلثتُ
وانتشتُ سكرى على لحنِ أساهَا
وتعالى حدثيني ! حدثني!
أنت مرآة شجوني وصداها
فهيني ساعة الصفو التي
تقسمُ الأيامُ ما فيها سواها
ثم أمضي حياةٍ مرةٍ
صبحُها عندي سواءٌ ومساها!

نساء للشباب

وطنٌ دعا وفتى أجاب	بوركت يا عزم الشباب!
يا فتية النيل المسا	لم والكريم بلا حساب
جناته مـرآتكم	ولكم خلائقها العذاب
ولكم جمال الزهر رف	على الأمايلد الرطاب
ولكم فؤاد النهر رق	على المحاني والشعاب!
يمضي فيضحك للسهول	ولا يضمن على الهضاب
حتى إذا طغت الكوارث	واسستفزكم العذاب
أصبحتم كالغيل تحميه	اليوت بألف ناب
قل للشباب اليوم	يومكم الأغر المستطاب
اليوم يبدو حب مصر فلا خفاء ولا حجاب!	
إن كان إثماً يا شباب	فلا رجوع ولا متاب!
الله ينظر والليالي عندها لكم الحساب	
والعهد في القلب المصابر	والأمانة في الرقاب!
هاتوا الفدا الغالي لمصر	وأرخصوه كالتراب
المال ، والأرواح كل	ضحية ولها ثواب

في يوم الشباب

اليوم يومك في الشباب فناد
لا نوم بعد. ولا شهى رقاد
قل للذي يبغى الصلاح لقومه
بنيل صنع أو شريف جهاد
بالطب أو بالشعر أو بكليهما
كل الجهود فداء هذا الوادي!
لا خير في قلم إذا هو لم يكن
حرا طهوراً كالشعاع الهادي
لا خير في طب إذا هو لم يزُر
ظلم الحياة كفرحة الأعياد
يا أيها الوطن الجريح وجرحه
بصميم كل حشاشة وفؤاد
صبراً فنحن أساتك الرحماء في
البأساء قد جئنا بكل ضماد

قل للبناء المصلحين ألا . اخلقوا
شم الذرى ورواسخ الأطواد
جيلاً من النشء القوي إذا مشوا
رفعوا الرؤوس بعزة وعناد
لا خير في الأرواح تسكن منزلاً
متهدماً رثا من الأجساد
لا خير في الأرواح تسكن موطناً
متخادلاً لا يرتجى لجلاد
أبكت عيونكم الضعيف يصير في
ناب القوي فريسة استعباد
فتبينوا إذن الحقيقة واعلموا
أن الطبيعة هكذا من عاد
الجو ملك النسر يغشاه على
ما يشتهي والغاب للآساد
مهلاً بني قومي أتيت مذكراً
في ساحة مجموعة الأشهداد

واخرجلتنا مما نقدمه إذا
حان الحسابُ وجاء يومُ معادِ
أي الصحائف في غدٍ وحسابكم
في ذمة الأبناء والأحفادِ
أي البلاد هو السعيد وأهله
يتنابدون تنابذ الأضدادِ
كل يعيش لنفسه في أمةٍ
شقيت بطولِ تفرقِ الأفرادِ
فخذوا السبيلَ إلى الحياةِ تآلفاً
وتكاتفاً في رغبةٍ وودادِ
خير الصحائف ما كتبتَ سطورَه
بيد الكفاح الحر لا بمدادِ
صونوا البلادَ وأدركوا فلاحكم
كاد الحمى يغدو بغير عمادِ
حيران من مرضٍ إلى بؤسٍ إلى
كربٍ تمر به بلا تعدادِ
هذي دياركم وهذي شمسكم
طمعُ الغريب وحرقةُ الحسادِ

ومن المصائب في زمانك أن ترى
بلداً كثير مناهل الروادِ
والخير مدرارٌ عليه وربّه
جوعان محروم الرعاية صادِ!
والزراع نضر في الحقول وأهله
يتهيأون لمنجل الحصادِ....!
هذا زمانكم وذا ميدانكم
ماذا بكم من عدة وعتادٍ؟..
نبغي شداد القوم قد شحدوا
القوى في ليل أحداث نزلن شدادِ
ونريد شباناً بمصر استعصموا
ومضوا يصدون الغريب العادي
ونريد أطفالاً إذا ما أَرْضَعُوا
فرضاعهم وطنية بسهادِ
الطفل منهم مثل أمي أو أبي
شفتاه أول ما تقول بلادي..
يُغذون في الأرحام حب بلادهم
لتكون مصرأً صرخة الميلادِ

إلى روح الشاعر

ألقيت في حفلة الذكرى للشاعر المرحوم طانيوس عبده

بمعهد الموسيقى الشرقي يوم الثلاثاء

٢٠ فبراير سنة ١٩٣٤

موقفٌ حانَ فاغتنم	وتخير من الكلم
كلَّ لفظٍ أرقَّ من	ضحكة الزهر للديم
مستمَّد من الربِّي	مستعار من التَّسم
اجمع الآنَ طاقةً	غضة النور تبتسم
أهدِها روحَ شاعرٍ	خالِدٍ بالذي نظم

* * *

قلمي! ما الذي لديك	من الخير يا قلمي؟!
قم فذكر ونسج قومك	واخطب وقل لهم:
قل لأهل الغناء في كنف	المعهد الأشم
ذلك الشاعر الذي	بات في خاطر الظلم
هو منكم وقتُّه	علم الله فمنكم

* * *

كان لحناً فصار ذكراً
إنما الشعر مزهراً
وبأوتارهِ المسنى
هو نايٌ مُرجَّعٌ
هو قيثارُ الزمان
هو أنشودة الحياة
أيها المعهد الذي
كلُّ حزنٍ مذكورٍ
نظمتَه يدُ الأسى

* * *

وأناشيدكم ومما
هي أثباتُ أنفسٍ
وصباباتُ أعينٍ
وأغانيكم التي
هي آهاتُ شاعرٍ

* * *

ذلك الشاعرُ الذي

كما يُذكرُ الحلمُ
قد حكى قصةَ الأممِ
تتلاقى وتزدحمُ
لشجىٍّ ومما كنتم
ونجواه من قديمٍ
وفيضٍ من النغمِ
بلغ المجدَ واستتم
أشعل القلبَ فاضطربُ
وقعته يدُ السقمِ

* * *

صاغه الفنُّ من عظمٍ
بالمقاديرِ ترتطمُ
يشهدُ الليلُ لم تنمُ
هي في قمةِ القممِ
عرف الحُبَّ والألمُ

* * *

روحهُ الآن بينكم

لَكُنْ أَنِي أَرَاهُ حَيًّا
وَهُوَ فِي ذُرْوَةِ الشَّيْبِ
غَاشِيًّا كُلَّ مَتَدَى
كَلِمًا قَالَتْ شَعْرَهُ
دَافِقًا لَيْسَ يَنْتَهِي
بِأَذَلٍّ لِلصَّدِيقِ وَالْأَ

* * *

زَوْجِهِ وَالْبَنُونَ هُمُ
دَرَجُوا فِي ذُرَا الْعِلَا
نَشَأُوا فِي حِمَى الْعِفَافِ

* * *

حِينَ ظَنُّوا بِأَنَّ مَا
إِذَا شَكَ الضَّعْفَ سَيِّدُ
نَامَ فِي حَصْنِهِ الضُّعْفُ
وَإِذَا بِالطَّيُورِ قَدِ
شَيْبَةُ لَصٍّ مَخَادِعِ
وَإِذَا الْفَاقَةُ الْجَرِيئَةُ

وَأَلْقَاهُ عَنْ أَمَامِ
وَفِي خَفِيفَةِ الْقَدَمِ
عَالِي الرُّأْسِ مُحْتَرَمِ
غَمْرِ السَّهْلِ وَالْعِلْمِ
أَبْدَأَ سَيْلُهُ الْعَرَمِ
هَلْ كُلِّ الَّذِي غَنَمِ

* * *

مَجْدُهُ وَالرَّجَاءُ هُمُ
نَوَّرُوا فِي رُبَى النِّعَمِ
وَجَلُّوا عَنِ التُّهُمِ

* * *

أَمَلُوا فِي الزَّمَانِ تَمُ
الْبَيْتِ خَارَتْ بِهِ الْهَمَمُ
وَعَلَى صَدْرِهِ جَثَمُ
دَخَلَ الْمَوْتُ وَكَرَهُمُ
غَشَى الْبَيْتَ فَالْتَهُمُ
تَطَعَنَى وَتَنَتَقَمُ

صنعت في رجائهم
كأتون مستعر
من رأى البؤس إن عدا!
من رأى العفة العريقة

* * *

فعلقة الذئب بالغنم
غاضب ينثر الحمم!
من رأى الضنك إن هجم؟
بالدهر تصطدم؟!

أمّتي! ليس يهزم الفن
أمّتي! ليس يخذل الجود
أمّتي! أمّة العلاء

في أمّة الشّمم
في أمّة الكرم
وأبي الهول والهـرم

ساعة التذكار

أُقيت في حفلة الذكرى التي أقامتها جماعة الادب المصرى
بالأسكندرية لمرور عام على
وفاة المرحوم أحمد شوقي بك

شَجْنٌ على شَجْنٍ وحرقةٌ نارٍ
مَنْ مُسْعِدِي في ساعةِ التذكارِ
قُمْ يا أميرُ! أفضْ عليَّ خواطراً
وابعث خيالك في النسيم الساري
واطلع كعهديك في الحياة فراشةً
غراءَ حائمةً على الأنوارِ
يا عاشقَ الحريةِ الثكلى أفقْ
واهتفْ بشعرك في شباب الدارِ
يا مَنْ دعا للحق في أوطانهِ
ومضى ليهتفَ في ديار الجارِ
الشامُ جازعةٌ ومصرُ كعهدها
فهبُ الخطوبِ قليلةُ الأنصارِ

والحظُّ أظمارٌ كما شاءَ البلى
والعيشُ رثٌ والسنونُ عوارِ
* * *

عامٌ مضى يا للزمان وطَّيه
فينا ويا لسواخر الأقدارِ!
عامٌ مضى وكأنَّ أمس نعيه
يا ما أقلَّ العام في الأعمارِ!
أئنَّ الإمارة والأميرُ ودولة
مبسوطةُ السلطان في الأمصارِ
خمسون عاماً وهي وارفة الجنى
تحت الربيعِ دؤوبة الأثمارِ!
مدَّ الخريفُ على الرياض رواقه
ومضى الربيعُ الضاحكُ النوارِ!
* * *

هيهات أنسى قبلَ بينك ساعةً
جمعتُ صحابك في غروب همار

والشمس في سقم الغروب وأنت في
لون الشحوب معصفراً ببهار
منحت وقد ذهبت شعاعاً غارباً
كسناك طوافاً على السُّمارِ
تشكو لي الضعف الملمّ لعل في
طبي مقيلاً من وشيك عثارِ
وكشفت عن متهدّم جال الردى
متهجماً في صرحه المنهارِ
فرايت ما صنع الضنى في صورة
حالت، وخلي هيكلاً كإطارِ
ووجهت! الملح في الغيوب نهايةً
وأرى بعيني غاية المضمارِ
وأرى النبوغ وقد قهاوى نجمه
والعقرية وهي في الإدبارِ
أولم يكن لك من زمانك ذائداً
وثبات ذهن ماردٍ جبار؟

أَوَلَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْ حِمَامِكَ عَاصِماً
ذَاكَ الْجَسْبِئُ مَكْلَلاً بِالْفَارِ؟
وَلَيْتَ فِي إِسْرِ السِّدِّينِ رُثْيَهُمْ
وَاقَمْتَ فِيهِمْ مَأْتَمَ الْأَشْعَارِ
وَسُقَيْتَ مِنْ كَأْسٍ تَطُوفُ بِهَا يَدٌ
مَحْتَمِلَةٌ الْأَقْدَاحِ وَالْأَدْوَارِ
وَالدَّهْرُ يَقْذِفُ بِالنَّايَا دَقَقاً
فَمَضَيْتَ فِي مَتَدَفْقِ التِّيَارِ

* * *

فِي ذِمَّةِ الْأَجْيَالِ مَا غَنَّتْ بِهِ
قَيْشَارَةٌ سَحَرِيَّةُ الْأَوْتَارِ
صَدَحَتْ بِأَلْحَانِ الْحَيَاةِ وَوَقَعَتْ
أَنْغَامُهَا الْمَحْجُوبَةِ الْأَسْرَارِ
وَالْفَنُّ مَا حَاكَى الطَّبِيعَةَ آخِذاً
مِنْهَا وَمِنْ إِعْجَازِهَا بَغْرَارِ
مُسْتَرْسِلاً رَحْباً كَعَيْنِ ثَرَّةٍ
شَقَى السَّيُولِ سَحِيقَةَ الْأَغْوَارِ

متعالياً حتى الأشعة مشرقاً
متألقاً كالكوكب السيار
* * *

شوقي! نظمت فكنت براً خيراً
في أمة ظمأى إلى الأخيار!
أرسلت شعرك في المدائن هادياً
شبه النار يطوف بالأقطار
تدعو إلى المجد القديم وغابر
طيّ القرون مجلّ بوقار!
تدعو لمجد الشرق: تجعل حبه

نصب القلوب وقبلة الأنظار!
تبكي العراق إذا استُيخ ولا تضنّ
على الشّام بمدح مدرار
وترى الرجال وقد أهين ذمارهم
خرجوا لصون كرامة وذمار
فلو استطعت مددت بين صفوفهم
كفاً مضرجةً مع الأحرار
* * *

ما زلت تُبعثُ في قريضك ثاوياً
أهـ ماضياً حَفِلاً بكلِّ فخرٍ
حتى اتُّهمتَ فقالَ قومٌ : شاعرٌ
ناجى الطلولَ وطاف بالآثارِ!
فجلوتَ ما لم يشهدوا، ورسمتَ ما
لم يعهدوا من معجز الأفكارِ!
شيخٌ يدبُّ إلى الأصلِ وقلْبُهُ
وجنائُهُ في نضرة الأسحارِ
ويحسُّ تبريحَ الصبابةِ واصفاً
مجنونَ ليلَى في سحيقِ قفارِ
ويروح يبعثُ كليوباترا ناشراً
تلك العصور وطيفها المتواري!
ويرى الحياةَ الحبَّ والحبَّ الحياةَ!
هما شعارُ العيش أيُّ شعارِ

دين الأحياء

ألقيت في حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة
لذكرى العام الأول على وفاة المرحوم أحمد شوقي بك

دينٌ ... وهذا اليومُ يومُ وفاءٍ
كم منّةٌ للميتِ في الأحياءِ!
إن لم يكن يُجزَى الجزاءَ جميعه
فلعلّ في التذكار بعضَ جزاءِ
يا ساكنَ الصحراءِ منفرداً بها
مستوحشاً في غربةٍ وتنائي
هل كنتَ قبلاً تستشفّ سكونها
وترى مقامك في العراءِ النائي
فأتيتَ ... والدنيا سرابٌ كلها ..
تروى حديثَ الحبّ في الصحراءِ
ووصفتَ قيساً في شديدِ بلائه
ظمآن يطلب قطرةً من ماءٍ
ظمآن حين الماءِ ليلى وحدها
عزت عليه ولم تُتح لظمائه!

هيمان يضرب في الهواجر حالماً
بظلال تلك الجنة الفيحاء!
فإذا غفا فلطيفها، وإذا هفا
فلوجهها المستعذب الوضاء
يا للقلوب لقصة بقيت على
قدم الدهور جديدة الأنباء
هي قصة الطيف الحزين، وصورة
القلب الطعين، مجللاً بدماء
هي قصة الدنيا، وكم من آدم
منا له دمع على حواء
كل به قيس إذا جن الدجى
نزع الإباء وباح بالبرحاء
فإذا تداركه النهار طوى المدا
مع في الفؤاد وظن في السعداء
لا تعلم الدنيا بما في قلبه
من لوعة ومرارة وشقاء

كلُّ له «لِلي» ومن لم يلقها
فحياته عبثٌ ومحضُ هباءِ
كلُّ له «لِلي» يرى في حبها
سرَّ الدُّنَى وحقيقةَ الأشياءِ
ويرى الأمانى في سعي غرامها
ويرى السعادةَ في أتمِّ شقاءِ
الكونُ ف إحسانها، والعمرُ عند
حنانها، والخلدُ يومُ لقاءِ
يا للقلوبِ لقصةَ محزونةٍ
لم تُروَ إلا رُوحَتِ بكاءِ
خلدتُ على الدنيا وزادت روعةً
مما كساها سيدُ الشعراءِ
خلدتُ على الدنيا وزادت روعةً
من جودة التمثيل والإلقاءِ
من فنِّ (زينبها) ومن (علامها)
زينِ الشبابِ وقُدوةِ النبغاءِ

الأجنحة المحترقة

يا أمتى كم من دموع في مآقينا
نبكى شهيدك أم نبكى أمانينا؟
يا أمتى إن بكينا اليوم معذرة
في الضعف بعض الماسى فوق أيدينا
واهأ على السرب مختلاً بموكبه
وللنسر على الأوكار غاديننا
قالوا الضباب فلم يعبا جابرة
لا يدركون العلا إلا مضحينا
والمانش يعجب منهم حينما طلعا
على غواربه الحيرى مطلينا
فاستقبلتهم فرنسا في بشاشتها
تجزى البسالة ورداً أو رياحيننا
قالوا النسور فهب القوم وادّكروا
نسراً لهم ملأ الدنيا مياديننا

وهلّل السين إذ هلّت طلائعنا
طلائعُ المجد من أبناء وادينا
حان الأمان ووافي السربُ فافتقدوا
نسرَيْنِ ظنوهما قد أبطآ حيناً
لكنه كان إبطاءَ الردى فهما
لَمَّا دعا المجدُ قد خَفَا ملبينا
فليبك من شاء وليُشبع محاجرهُ
ولينتحبُ ما يشاء الحزن باكِنا
يبكى الحبيب وتبكي فقد واحدها
من لا ترى بعده دنيا ولا ديناً
هُنيهة ثم يسلو الدمعَ ساكبه
لا يدفعُ الدمعُ شيئاً من عوادينا
فكلما حلَّ رزءٌ صاحَ صائحنا:
فداك يا مصر لازلنا قرايينا
فداك يا مصر هذا النجم منطفئاً
والنسر محترقاً والليث مطعوناً!

عتاب

هجرتِ فلم نجد ظلاً يقينا
أحُلماً كان عطفك أم يقينا؟
أهجرأ في الصبابة بعد هجرِ
أري أياماً لا ينتهيها
لقد أسرفت فيه وجرتِ حتى
على الرَّمقِ الذي أبقيتِ فينا
كأنَّ قُلُوبَنَا خُلِقَتْ لأمرِ
فمذْ أبصرنَّ مَنْ هَوَى نسينا
شُغْلَنَ عن الحياةِ ونَمِنَ عنها
وبِتْنِ بَمَنْ نَحْبُ موكلينا
فإن ملئتِ عروقٌ مِنْ دماءِ
فإنَّا قد ملأناها حينئذ!

أصوات الوحدة

يا وحدتى جئت كى أنسى وها أنذا
مازلت أسمع أصداءً وأصواتا
مهما تصاممتُ عنها فهي هاتفة
يا أيها الهاربُ المسكينُ هيهاتاً!
جرّت على الأمانى من مجاهلها
وجمّعتُ ذكراً قد كُنَّ أشتاتاً
ما أسخفَ الوحدةَ الكبرى وضيعَها
إذا الهواتفُ قد أرجعنَ ما فاتنا
بعثنَ ما كان مطويّاً بمرقدِه
ولم يزلنَ إلى أن هبَّ ما ماتنا
تلفتَ القلبُ مطعوناً لوحده
وأين وحدته؟ باتتُ كما باتنا!
حتى إذا لم يجدُ رِيّاً ولا شعباً
أفضى إلى الأمل المعطوبِ فاقتاتنا!

الختام

(من شعر الصبا)

عجبا لقلبٍ هيض منك جناحهُ
وجرى به نصلُ الندامة يذبحُ
مضى الحمامُ يدبُّ فيه فإن جرتُ
ذكراك طار إليك وهو مجنحُ
لهفى على الناقوس بين جوانحي
وعلى بقية هيكلٍ لا تصلحُ
لا فرق بين أنينه ورنينه
وصداه في وادي المنيّة أوضحُ
يا قلب! صهبا الهوى وبساطه
وكؤوسه المتجاوبات الصُّدَحُ
وقفْ على متنقلين على الهوى
يغنون من لذاته ما يسنحُ

متبدلين موائد وأحبه
ما خاب من حبٍّ فآخرُ يفلح
فالحبُّ آسـيه وراء عـلـيله
فيهم، وبلسمه على ما يجرح
يا قلباً! ويح ثباتنا ماذا جنى
أترى شعاعاً في البقية يُلمح!

* * *

يا أيها الحبُّ المقدسُ هيكلاً
ذاق الردى من عابديك مسبحُ
كثرت ضحاياه وطال قيامه
وصيامه فمضى رضائك منحُ
يا دوحة الأرواح يُحمد عندها
فيءٌ ويُعبد زهرها المتفتح
أينال ظلك والرعاية عابثُ
بجلالك البادي وآخر يمزحُ
ويبيت يجرمه قتلُ صبايةٍ
قضى الحياة إلى ظلالك يطمحُ

ليلي! حبيبك كالحياة وذقتُ في
ناديك كأساً بالأمان تطفحُ
فتكسرتُ قدح المني ورجعتُ من
سقم الهوى وهزاله أترنحُ
نزل الستار على الرواية وانقضتُ
تلك الفصول وفُضَّ ذاك المسرحُ

الدكتور زكي مبارك

في سنتريس وفي الأزهر وفي باريس
(أُقيت في حفلة تكريمه بمسرح الميمرا بالقاهرة)

تحت عين الصباح والأنوارِ
ورقيق الأنساء والأسرارِ
في همى سنتريس شبّ غلامٌ
شاعريُّ الكلام والأنظارِ
أزرق العين هادئ هداة البحر
بعيد الرضى! بعيد القرارِ!
ساهم يلمح السحاب في الأفق
بعين عميقة الأغوارِ

* * *

شبّ في جيرة النسائم والزهرِ
وفي صحبة الغدير الجاري
ونضير الحقول والعشب المخضّل
يكسو شواطئ الأنهارِ

ومصيحاً إلى غناء السواقى
شاكيات سواخر الأقدار
باكيات على الصبا والأمانى
والهوى والنوى وبُعد المزار
غير أن الذي شكاه خطبه الأهـ
ل وأمسى حديث جارٍ وجار
إنّ ذاك الفتى الوديع الطهور الـ
قلب في رقة النسيم السارى
مفرّجاً بالعصا! فلو خلف سور
لتخطى شواهد الأسوار
ولأجل العصا سطا على الأفرع
الخضراء زانت بواسق الأشجار
ولأجل العصا سطا على خشب
البيت، طموحاً حتى لباب الدار
ولو أنّ العصي عزّت عليه
لتمنى حتى عصا التسيار

* * *

إن تلك العصا لرمزٌ على القوة
في قلب مـباردٍ جبارٍ
لا يرى القرية الصغيرة كفواً
لكبار الآمال والأوطار
ساخراً من هـدوئها مستعداً
لصراع الخطوب والأخطار
أئن يمضي؟! للأزهر الشامخ
الرأس، القوي الباقي على الأدهار
مطلع عبده وسعداً ورهط
المجد والبأس والعلا والفخار
* * *

فرح الأهل بالغلام الذي صار
حديثاً في ندوة السُّمارِ
عمَّموه وقفطنوه فأمسي
أمل القوم، فارس المضمارِ
ومضى يطلب العلوم وحيداً
موحشاً قلبه، غريب الدارِ

ناظراً في هوامشٍ تَأْكُلُ العَقْدَ —
 — لَ وَتُبْلَى نَوَاضِرَ الْأَبْصَارِ
 لا يَبَالِي الطَّوَى ولا يَحْفَلُ الْأَقْدَارُ
 جَاءَتْ بِكُلِّ أَمْرٍ ضَارِي
 لا يَبَالِي غَدَاةً يَصْغَى إِلَى الشَّيْءِ —
 — خِ وَلِلشَّيْخِ هَالَةٌ مِنْ وَقَارِ:
 حَصِيرٌ مُمَزَّقٌ أَمْ حَرِيرٌ
 مَقْعَدٌ لِلْمَجَاهِدِ الصَّبَّارِ
 آهٍ مِنْ هَاتِهِ الشَّدَائِدِ فَهِيَ النِّ —
 — آر تَبْلُو الْقُلُوبَ فِي الْأَخْيَارِ
 إِنَّ قَلْبَ الْعَظِيمِ يَا قُوَّةً تَسْ —
 — مَوْ سَمَوْا وَتَزْدَهَى بِالنَّارِ!
 أَيُّ شَيْءٍ فِي الدَّهْرِ كَالْأَلَمِ الْجَبَّارِ
 يَجْلِسُ ضَمَائِرَ الْأَحْرَارِ؟!

* * *

عَجَبِي مِنْ «مَجَاوِرٍ» ضِيقٍ بِالْأَزْ
 هَرٍ وَاحِدَةٍ النُّفُوسِ الْكِبَارِ!

ثم أمسى مطربشاً واكتسى البند
_____ لة ما بين ليلة ونهار
ثم ضاقت بجمه مصر فاشتا
ق لغير الأوطان في الأمصار
ضمّ أشياءه إليه، وأضحى
في سفين تجوب عرض البحار
ثم أمسى مبرنطا يقصد السيـــــــــــــــــد
_____ ن ويغزو مدينة الأنوار

* * *

والذي يبعث السرور ويدعو
كلّ نفسٍ للزهو والإكبار
رجلٌ ما ازدهته فتنةً باريـــــــــــــــــد
_____ س وما في باريس من أسرار
ظلّ في ذلك الحمى مصريا
عربيّ الحياة والأفكار
كلما هبّت الغوايى عليه
ضاق ذرعاً بالغادة المعطار

يزفر الزفرة العتيقة ترمى
من لظاها فحم الدُّجى بشار
يذكر النيل، والأحبة بالنيل
لـ ويشدو برائع الأشعار!

* * *

كرّموا نابغكمو واعرفوهم
فضياغ النبوغ في الإنكار
فزكى مبارك شعله في
مصر تهدى شباها كالمنار
قسماً يتاح لي الغار كَلَّلْ
تُ بكفى جبينه بالغار!

عـلى البـحر

(من شعر الصبا قاله الناظم في الثالثة عشرة من عمره)

يا غاية القلب الحزين	هل أنت سامعة أنيني
وكعبلة الألم الدفين	يا قبلة الحب الخفي
والأفق مغبر الجبين	إني ذكرتـك باكيـا
تغرب شبه دامعة العيون	والشمس تبدو وهي
ومـوج البـحر دوي	أمسيت أرقبها على صخر
يهيج ثائره جنوني	والبحر مجنون العباب
فإذا غضبت .. فمن يقيني؟!	ورضاك أنت وقايـتي

كلانا

(من شعر الصبا)

كلانا عليلٌ فلا تجزعي
ودمُوعك تسبقه أدمعِي
وإن كانَ بين ضلوعك نارٌ
فنار الصبابةِ في أضلعي
وإن كانَ نجمٌ هنالك غابَ
فنجمٌ هنائي لم يطلع ..

ليالى القاهرة

الديوان الثانى للشاعر

* صدرت الطبعة الأولى من «ليالى القاهرة» عام ١٩٥٠ كما سبق أن أوضحت.

الإهداء

«إلى صديقي ع.م.

الذي ندى الزهر الذابل من خمائل
الماضي، وأنبت في روض الحاضر زهوراً
ندية مخضلة بالأمل والحياة ..
إليه أقدم ما أوحى به إليّ» ..

إبراهيم ناجي

كلمة

الشعر عندي هو النافذة التي أطل منها على الحياة،
وأشرف منها على الأبد
وما وراء الأبد
هو الهواء الذي أتنفسه
وهو البلسم داويت به جراح نفسي عندما
عز الأساة
هذا هو شعري.

أ. ن

تقديم

بقلم حضرة صاحب المعالي
إبراهيم دسوقي أباطه باشا

يَسْمُونَ بالأدب الجديد وتارةً

يننون للأدب القديم رواقاً

هؤلاء هم أصحاب المدرسة الحديثة، تتسم بطابع الجدة والطرافة،
وبالأسلوب الأنيق والعبارة السهلة، وهي تحتفل بالفكرة أكثر مما تحتفل
باللفظ، وتعنى بالموسيقى والرنين، قبل عنايتها بالصياغة والصنعة.

ولقد طلعت هذه المدرسة بآثرها الفنية القيمة، التي تميز النفوس هزاً،
وتخاطب العاطفة والعقل في آن، ولقد استطاعت أن تتجه بجمهرة القراء إلى
أهدافها في ميادين الخلق والابتداع. وصاحب هذا الديوان من أقطاب هذه
المدرسة وكبار أساتذتها. استمع إليه وهو يقول:

إن خاني اليوم فيك قلت غداً

وأين منى ومن لقاك غداً

إن غداً هوة لناظرها

تكاد فيها الظنون ترتعد

أطل في عمقها أسائلها
أفيك أخفي خياله الأبد
يالامس الجرح ما الذي صنعت
به شفاه رحمة ويد
ملء ضلوعي لظى وأعجبه
أنى بهذا اللهيب أبرد

فالتعبير عن الغد المجهول بالهوة العميقة، وعن اضطراب الشاعر في أوهام الغد
بالظنون المرتعدة، مع سهولة القافية واستقرارها، هذا هو نهج المدرسة الحديثة
وسنتها المرسومة، وإلى القارئ هذه الأبيات أيضاً تنهض دليلاً قاطعاً لا يشوبه
شك، يؤكد ما أريد أن يرسخ في الأذهان، من أن المدرسة أكسبت الشعر
المعاصر ثروة فكرية جديدة.

ألمى محاذني إليك وكفرا
هبنى أسأت ألم يحن أن تغفرا
ظمان لو باع الأحبة قطرة
بالعمر والدنيا جميعا لا شترى
أخفى جراحك واستعز بفتكها
غريدك الشادى الملق في الذري

يرنو إليك على البعاد ويعتلى
ويجره الجرح المميت إلى الثرى
حتام كتمان وطول تجلدى
يا أيها الجاني علىّ وما درى
ومتى المآب إلى رحابك مرة
لأريك جرحى والدّمّ والخنجرا
وللشاعر أيضاً في ملحمة السراب:
لا القوم راحوا بأخبار ولا جاءوا
ولا لقلبك عن ليلاك أنباء
جفا الربيع ليالينا وغادرها
وأقفر الروض لا ظل ولا ماء
يا شافى الداء قد أودى بى الداء
أما لذا الظمأ القتال إرواء
ولا لطائر قلب أن يقر ولا
لمركب فزع في الشط إرساء
عندى سماء شتاء غير ممطرة
سوداء في جنبات النفس جرداء

خرساء آونة، جرداء آونة
وليس تخدع ظني وهي خرساء
وكيف تخدعني البيداء غافية
وللسواقي على البيداء إغفاء
أنتِ ناديت أم صوت يخيل لي
فلي إليك بأذن الوهم إصغاء

هذه نماذج لم أعمد إلى اختيارها، وإنما صادفتني وأنا أقلب صفحات الديوان، وسأشفعها بنماذج أخرى أبرز فيها أهداف المدرسة الحديثة في الشعر، وأظهر ما يصور هذه الأهداف، تلك النزعة الاستقلالية في التعبير والمعنى، مما أثار حولها اللغط الكثير، لأنها كما قلت خرجت بأجواء من المعاني لا عهد لقارئ الشعر القديم بها، فالتعبير عن معاني القطيعة بالطائر الذي لا يقر، وبالمركب الفرع الذي تتناوشه الأعاصير.. إلخ. خروج على المؤلف في أسلوب النظم، ولقد لقيت المدرسة الحديثة على هذه المحاولات الموافقة جزاء سنمار، فكان عجباً حينما احتدمت المعركة بين القديم والجديد، في مطالع النهضة الادبية الحديثة، أن تجد الداعين إلى هذه النهضة يحطون في غير هوادة أو رفق، على أولئك الذين أخذوا بأسبابها، وساروا في طريقهم قدما، يحثون خطاهم، ويستشيرون من حولهم، بما ينشرونه في الصحف أو يلقونه في

المجتمعات، من نتائج المواهب والملكات .. ظل أبناء المدرسة الحديثة في طريقهم لا يلوون على شيء ناسين أو متناسين الضجة الهائلة التي انبعثت بها أقلام هؤلاء السادة الكاتبين، وأخذت تعربد على آثارهم الفنية في الشعر، في نقد يتجافى عن أسلوب النقد الصحيح.

من هؤلاء الشعراء الذين استهدفوا شعر هؤلاء الكاتبين، شاعرنا الكبير الدكتور إبراهيم ناجي، صاحب الشعر الذي قدمت، وصاحب هذا الديوان الفخم (ليالي القاهرة) الذي أقدمه إلى قرائه المعجيين العديدين في سائر أقطار الضاد، ويبدو لي أن البواعث التي دفعت إلى الهجوم على أساتذة هذه المدرسة، تتجمع في نطاق الحرية التي انطلقت بمواهبهم إلى الآفاق الرحبية، التي أطلوا منها على الأجواء البعيدة عن المعاني والأخيلة مع خلق بعض الأوزان التي لم يسبق أن نظم غيرهم منها ... فمن هذا قصيدة «عاصفة روح» التي استهلها الدكتور ناجي:

أين شط الرجاء	يا عباب الهموم
ليلتي أنواء	وفاري غيوم

* * *

أعولي يا جراح	اسمعي السديان
لا يهيم الرياح	زورق غمضان

* * *

اسـخري يا حياة قهقهـي يا رعوـد
الـصبا لـن أراه والهـوى لـن يعـود

فهذا الوزن لا يوجد له نظير في أوزان البحور المعروفة، وربما كان اعتماد الشاعر فيه على السماع والإيقاع.

والدكتور ناجي، بحق في طليعة أساتذة هذه المدرسة، فحظه من الثقافة الغربية حظ موفور، وإنك لتلمح في قصائده ومقطوعاته أثراً ملحوظاً جاء وليد القراءات الواسعة التي بصرتة بمذاهب التجديد والابتكار، فهو حين يكتب، يتطلع إلى الأجواء العالية، التي حلق فيها مع شعراء الغرب محتفظاً بذاتيته ولونه الخاص وطبيعة الشرقى المصرى، فقد وصف الحياة كما هي في الشارع والمرقص، ومشاهد الطبيعة ومجاليها. وفي هذا خروج بالشعر عن دائرة الكلاسيكية المتحفظة إلى الشعب.

وإن الخصائص والسمات التي يتميز بها هذا الديوان من الإيماء عن المعنى بالصورة والإيماء عن الصورة بالرمز، ووحدة القصيدة واعتمادها على الجرس والموسيقى لتبدو فوق المعانى الخلابة العميقة، واضحة جليلة في قصائده (ليالى القاهرة) و(الأطلال) و(السراب) ففيها خوالج نفسية صادقة، وانطباعات ذهنية، ولمحات فنية، ومعرفة دقيقة بأسرار النفس، ومكونات الوجدان.

يقول في قصيدته (ليالى القاهرة) التى بدأها بالحديث عن ظلام مصر
في سنوات الحرب وما أفاضه على نفس الشاعر من ظلال سجلها في ملحمة
هذه المختلفة الضروب والإيقاع:

لقد أقفر المحراب من صلواته
فليس به شاعر ساهر بعدي
وقفنا وقد حان النوى أى موقف
نحاول فيه الصبر والصبر لا يجدى
كأن طيوف الرعب والبين موشك
ومزدحم الآلام والوجد في حشد
ومضطرم الأنفاس والضيق جاثم
ومشتبك النجوى ومعتنق الأيدى
مواكب خرس في جحيم مؤبد
بغير رجاء في سلام بـرد
فيا أيكّة مدّ الهوى من ظلالها
ربيعا على قلبى وروضا من السعد

تقليصت إلا طيف حب محير
على درج خابي الجوانب مسود
تردد واستأني لوعد وموثق
وأدبر مخنوقاً وقد غص بالوعد
وأسلمني لليل كالقبر بارداً
يهب على وجهي به نفس اللحد
كأن على مصر ظلاماً معلقاً
بآخر من خابي المقادير مربد

قصدت من إيراد هذه الأبيات، والأبيات التي أسلفت، أن أشير إلى ما
أجملته آنفاً من خصائص هذا الشعر، فالحركة النفسية، والصورة، والانطباعات
الذهنية، ورسم المشاهد التي تتجاوب معها نفس الشاعر تجاوباً صادقاً عميقاً.
كل أولئك يتجلى للقارئ في وضوح وبروز. وهو حينما يتداعى من معاني
الظلمة إلى معاني النور، يشرق في نفسه الأمل ويضطرب بين جوانحه الرجاء،
وقد ودع كآبة الليل ووحشته، واستقبل النور في أحلامه ومباهجه.

لمابست بك الأيام وافرحتهاء
أنت الأماني والفنى والحياة

فليذهب الليل غفرنا له

ما دام هذا الصبح عقيب دجاءه

وهناك ظاهرة تسيطر علي هذا الشعر من ألفه إلى يائه، تلك هي أنك لا تستطيع أن تلمح فيه ظلاً لشاعر غير الدكتور ناجي، فهو بذاتيته وطابعه وطريقة تفكيره وألوان عاطفته، ونوازع شعوره، لاني شعر الحب فحسب، بل أيضاً في المناسبات والمداعبات، ومن ذلك هذه الأبيات الطريفة التي يهجو فيها شاعراً:

أيها الحى وماضراً الورى لو كنت متا
أو شعر ذاك لا بل حجر نحت نحتا
تلقم الناس وترميهم به فوقاً وتحتا
صحت من يأسى لما بركيك الشعر صحتا
آه يا قاتل يا سفاك حتى أنت حتى

وقد بلغ صاحب الديوان القمة في ملحمة (الأطلال) وهي كما يقول، قصة حب لاثنين صار أحدهما أطلال جسد والثاني أطلال روح.

يا غراما كان منى في دمي
قدراً كالموت أو في طعمه
ماضينا ساعة في عرسه
وقضينا العمر في مآتمه

ما انتزاعى دمعة من عينه
واغتصابى بسمه من فمه
ليت شعري أين منه مهربي
أين يمضى هارب من دمه

هذه العاطفة المحتدمة المتأججة تنبض في كل ما يصادف قارئ الديوان من قصائده ومقطوعاته، بغض النظر عن الموضوع، فهو شاعر لا يكتب إلا ما يتحرك له حسه، ويفيض به خاطره، فالشعر عنده عاطفة نارية، تتشكل في الأسلوب الذى يلائمها، والقلب الذى يتساق معها .. ومن هنا أخذ بعضهم على الدكتور ناجى، أنه ينحرف في أسلوبه عن جادة الأسلوب العربى الصحيح، من حيث إحلال الألفاظ في غير معانيها.

وهو مأخذ مردود. فاللفظ الواحد عند الشاعر، يدور على أكثر من معنى .. والشاعر مسوق بعاطفته نحو موضوعه، وهى التى تلون أساليبه، ولها من قوتها الحارقة ما تستطيع بها أن تسم الألفاظ بأبعد معانيها. ولغة الشعر، غير لغة القاموس والشاعر يتأثر وينفعل، ثم يعمد إلى تصوير مرئياته في حرية لا تتاح لغيره، لأنه ينقل عن ذات نفسه ما يتخلق فيها من معان مجنحة، بعيدة على حد تصوير الشعر، فيختار لها ألفاظاً لا يقرأها القاموس، ولا يستسيغها قلم الكاتب، وذلك هو مفترق الطريق بين الشاعر الذى يستشرف إلى الآفاق الجديدة، وبين الشاعر الذى لا يجرى إلا في غبار القدامى ...

وهكذا كانت المدرسة الحديثة في الشعر، جديدة بأن تثير حولها هذه الصيحات العالية التي أشفقنا على شعرائنا المجددين منها، ثم تخففنا من هذا الإشفاق شيئاً فشيئاً حينما وجدناهم يواصلون الزحف نحو أهدافهم، حتى بلغوها، وأخذوا يوقعون على قيثاراتهم أجمل الألحان وأبدعها ...

وإنني لأحب هذا الشاعر كل الحب، ولا أعتقد أن جبي طغى على تقديرى، فهو شاعر رقيق، رشيق، أنيق، تصل معانيه إلى قلبك، قبل أن تصل ألفاظه في طلاوة وسهولة وعذوبة، وقد جمعت ديباجته بين ميزة القديم والحديث، وامتاز شعره بروعة الابتداء وجودة المقطع، وطالما سمعته شاعراً في المحافل، فوالله ما سمعت مثله يجمع الرقة إلى الجزالة، والطلاوة إلى الفحولة والضخامة، فهو لا يترقب لفظاً قد استدعاه من بعد، ولا يكابد عناء في الوصول إلى معنى استعصى عليه، مع السلامة من التكلف، والبراءة من التعقيد، والبعد عن التشادق والتعقر والتنافر، وشعره مطبوع على الطرافة والابتكار، ولو كان الشعر مما يؤتد به، لكانت قصائده نعم الإدام لطالبي الأدب، والثقافة، والذوق العربي السليم، ولقد وضعت ديوانه بين يدي دهر، لأتمثل ببعض قصائده، فكنت أقرأها معجباً (مترنماً)، وقد أكبر بعضها، فأقرأها واقفاً عند الوثبات التي أراها تتخلل شعره، وتأخذ بلب القارئ وتفتنه، وتسحر فكره سحراً. فكان يقع اختياري على إحدى قصائده معتقداً

ألمأ أجمل مأ فى الءىوان؁ ثم أألو ءىرها؁ فأقول «بل هءه» ثم أمضى فى القراءه فأقول «بل هءه»؁ وهكءا مررت بالءىوان بل مر بى ولم أنه.

والشعر؁ سحر وفئنه؁ وقد افئئنت به؁ وفه ءىال؁ وفى الءىال تسلىه ولئه؁ وهو موسىقى؁ وفى الموسىقى طرب؁ وتروىح وبهءه؁ وهو مناجاه تتصل بالروح فئستولى على الشهور؁ وتملك الوجدان.

وأعئقه أن الءى لا يهئز لءىء الشعر؁ جاهل أو بلىء؁ أما الجاهل؁ فلا شىأن لنا به؁ وأما البلىء فله عءره؁ لأنه لم يءلق نفسه على ألا يلوم ءىره؁ ووىل للشءى من الءلى.

وقءىماً كان الشاعر؁ يضرم حرباً عواناً؁ يئىر عجاجها؁ وىروى لهىبها؁ ومن أجل بىء من الشعر؁ كانت ءءق الأعناق؁ أو ءتصل الأرزاق؁ أو يزول الجرح وىقضى بالموت أو يؤذن بالفرح؁ وترى أثر الشعر فى كءاب الأءب وءارىء العرب؁ وقد رأىناه يزءهر ثم يءبو نوره؁ وىسمو وىروج؁ ثم ءنفق سوقه؁ ولكن ءألقه كان يصاحب ءائماً يقظه العرب؁ وءساىر فءضئه فءضئهم؁ فءسىران ءائماً ءنباً إلى ءنب؁ وقد آن لمصر أن ءصغى لشعرائها وءشءعهم فىشءعوها؁ وءنصفهم فىنصفوها؁ وىشءءوا همئها؁ وىقووا عزىمئها فءسرع ءطاهما إلى المءء؁ وءئبء إلى المكان اللائق بها ءء شمس الله المشرقة.

ولا يفوئنى قبل أن أءئم هءه الكلمه العاجله؁ أن أشىر إلى ما يؤكء ما ءهبت الىه من أن هءا الءىوان الضءم الفءم (لىالى القاهره) الءى ىمئل

نهضة الشعر المعاصر وتطوره جديد في أخيلته ومعانيه وأساليبه، ذلك أن سمة الشاعر الجديد عندى، هو ما يثير في نفسى عند قراءته إحساساً خاصاً، يجعلنى أجدول معه فى أودية سحيقة من صنع مواهبه وحدها ثم يظل معى، يسمعنى همهمة قلبه، وحديث عقله فى موضوعات النفس والحياة، حتى يخيل إلى أن كل صلة لى، بأى شاعر سواه قد انقطعت.

وقد كان هذا شأنى مع صاحب (ليالى القاهرة) فهو شاعر نسيج وحده، فى معارضه الفنية ولوحاته الملهمة، التى يطالعها القارئ فى (ليالى القاهرة) و (الأطلال) و (السراب) وغيرها من دعاباته ووطنياته ومراثيه. وسيقتنع القارئ بما اقتنعت به من أن هذا الديوان، نبت طيب، أخرج عطاءه واستوى على سوقه، وقد كانت أزهاره ورياحينه تنقص روضة الشعر الحديث لتنفحها بأريجها الفريد، ولونها الزاهى الجديد.

ليالي القاهرة

"كان الظلام العصيب المخيم على القاهرة في سنوات الحرب الأخيرة، ظلاماً متجاوباً مع قتام في النفوس وحلوكَة تجثم على الصدور، وقد مرت بالشاعر انطباعات من ذلك الضنك الشامل فسجلها صوراً في هذه الملحمة المختلفة الضروب والإيقاع"

١

في الظلام

أليلاً ما أبقى الهوى في من رشِدٍ
فرَّدِي على المشتاق مهجته ردي
أينسى تلاقينا وأنت حزينَةٌ
ورأسك كابٍ من عيَاءٍ ومن سهدٍ
أقول وقد وسدته راحتي كما
توسدَ طفلٌ متعب راحة المهد ..
تعالِي إلى صدرٍ رحيبٍ وساعدٍ
حبيبٍ وركنٍ في الهوى غير منهـدٍ
بنفسِي هذا الشعر والحُصل التي
تفاوت على نحرٍ من العاج مُنقـدٍ

ترامتُ كما شاءت وشاء لها الهوى
تميل على خدٍّ وتصدفُ عن خد
وتلك الكروم الدانيات لقاطفٍ
بياضُ الأمانى من عناقيدها الربْدِ
فيالك عندي من ظلامٍ محبب
تألق فيه الفرق كالزمنِ الرغدِ
ألا كلُّ حسنٍ في البريةِ خادِمٌ
لسلطانة العينين والجيدِ والقَدِّ
وكلُّ جمالٍ في الوجودِ حيالُه
به ذلةُ الشاكي ومرحمةُ العبدِ
وما راع قلبي منك إلا فراشة
من الدمع حامت فوق عرشٍ من الوردِ
مجنحةٌ صيغت من النور والندى
ترفُّ على روضٍ وتهفو إلى وردِ
بها مثل ما بي ياحبيبي وسيدي
من الشجن القتال والظماً المردي
لقد أقفر المحرابُ من صلواته
فليس به من شاعرٍ ساهرٍ بعدي

وقفنا وقد حان النوى أي موقف
نحاول فيه الصبر والصبر لا يجدي
كأن طيوف الرعب والبن موشك
ومزدحم الآلام والوجد في حشد
ومضطرم الأنفاس والضيق جاثم
ومشتبك النجوى ومعتق الأيدي:
مواكب خرس في جحيم مؤبد
بغير رجاء في سلام ولا برد
فيأيكمة مد الهوى من ظلالها
ربيعاً على قلبي وروضاً من السعد
تقلصت إلا طيف حب محير
على درج خابي الجوانب مسود
تردد واستأني لوعد وموثق
وأدبر مخنوقاً وقد غص بالوعد
وأسلمني لليل كالقبر باردا
يهب على وجهي به نفس اللحد
وأسلمني للكون كالوحش راقدا
تمزقني أنيابه في الدجى وحدي

كَأَنَّ عَلَى مَصْرِ ظَلاماً معلقاً
بآخِرٍ مِنْ خَيَالِي المقاديرِ مَرَبِّدٌ
رَكُودٌ وإِهْمامٌ وصَمْتُ ووحشة
وقَدْ لَفَّهَا الغَيْبُ المحجَّبُ فِي بُرْدِ
أَهْذا الرِّبيعِ الفُحْمِ والجنَّةِ التي
أَكادُ بِهَا أُسْتَفُّ رَائِحَةَ الخلدِ
تَصِيرُ إِذَا جَنَّ الظَّلامُ وَلَفَّهَا
بِجَنَاحٍ مِنْ الأَحْلامِ والصَّمْتِ مُمْتَدٍّ
مِبَاءَةً خَمَارٍ وَحَانُوتٍ بَائِعٍ
شَقَى الأَمَانِي بِشَتْرِ الرِّزْقِ بالسَّهْدِ
وقَدْ وَقَفَ المَصْبَاحُ وَقْفَةً حَارِسَ
رَقِيبٍ عَلَى الأَسْرَارِ دَاعٍ إِلَى الجَلْدِ
كَأَنَّ تَقِيّاً غَارِقاً فِي عِبَادَةٍ
يَصُومُ الدَّجَى أَوْ يَقْطَعُ اللَّيْلَ فِي الزَّهْدِ
فِي أَحَارَسِ الأخْلَاقِ فِي الحَيِّ نَائِمٌ
قَضَى يَوْمَهُ فِي حُومَةِ البُؤْسِ يَسْتَجِدِي
وَسَادَتُهُ الأَحْجَارُ والمُضْجَعُ الثَّرِي
وَيَفْتَرِشُ الإِفْرِيزَ فِي الحَرِّ والبَرْدِ

وسيارة تمضي لأمر محجب
محجة الأستار خافية القصد
إلى الهدف الجھول تنهب الدجى
وتومض ومض البرق يلمع عن بُعد
متى ينجلي هذا الضنى عن مسالك
مرنقة بالجوع والصبر والكد
ينقب كلب في الحطام وربما
رعى الليل هرّ ساهر وغفا الجندي
أيا مصر ما فيك العشيّة سامر
ولا فيك من مصغ لشاعرك الفرد
أهاجرتي، طال النوى فارحمي الذي
تركت بديدة الشمل منتثر العقد
فقدتك فقدان الربيع وطيبه
وعدت إلى الإعياء والسقم والوجد
وليس الذي ضيعت فيك بهين
ولا أنت في الغياب هينة الفقد

* * *

بعينيك أستهدي فكيف تركتني
بهذا الظلام المطبق الجهم أستهدي
بورديك أستسقي فكيف تركتني
لهذي الفيا في الصم والكُثب الجرد
بجبك أستشفى فكيف تركتني
ولم يبق غير العظم والروح والجلد
وهذي المنايا الحمر ترقص في دمي
وهذي المنايا البيض تختال في فودي
وكنْتُ إذا شاكيتُ خفتِ محملي
فهان الذي ألقاه في العيش من جهد
وكنْتُ إذا انهار البناء رفعتَه
فلم تكن الأيام تقوى على هدى
وكنْتُ إذا ناديتُ لبيتِ صرختي
فوا أسفاً كم بيننا اليوم من سدّ
سلام على عينيك ماذا أجتنا
من اللطف والتحنان والعطف والود
إذا كان في لحظيك سيفٌ ومصرع
فمنك الذي يُحيى ومنك الذي يُودي
إذا جرّداً لم يفتكاً عن تعمد
وإن أغمداً فالفتك أروع في الغمد

هنيئاً بقلبي ما صنعتِ ومرحبا
وأهلاً به إن كان فتكك عن عمدي
فإني إذا جنّ الظلام وعادني
هواك فأبديتُ الذي لم أكن أبدي
وملتُ برأسي كايّا أو مواسيا
وعندي من الأشجانِ والشوقِ ما عندي
أقبلُ في قلبي مكاناً حللته
وجرحاً أناجيه على القرب والبعدِ
ويادارَ من أهوى عليك تحية
على أكرم الذكرى على أشرف العهدِ
على الأمسياتِ الساحراتِ ومجلس
كريم الهوى عف المآرب والقصدِ
تنادمنا فيه تباريح معشر
على الدم والأشواكِ ساروا إلى الخلدِ
دموعٌ يذوب الصخرُ منها فإن مضوا
فقد نقشوا الأسماءَ في الحجرِ الصلدِ
وماذا عليهم إن بكوا أو تعذبوا
فإن دموع البؤسِ من ثمن المجدِ ..

أنوار

طابت بك الأيام وافرحتهاه
 أنت الأماني والغني والحياه
 فليذهب الليلُ غفرنا له
 مادام هذا الصبحُ عقي دجاء
 يا من غَفَتْ والفجر من دارها
 شعثُ في الآفاق أهى سناه
 قد طرق الباب فتى متعباً
 طال به السير وكلت خطاه
 نَقْل في الأيام أقدامه
 يبغى خيلاً ماثلاً في مناه
 عندك قد حطَّ رجال المنى
 وفي حمى حسنك ألقى عصاه
 كم هدأ الليل وراى الكرى
 إلا أخوا شهد يغنى شجاء

ناداك من أقصى الربى فاسمعي
لمن على طول الليالي نداءه
نادى أليفاً نامَ عن شجوه
عذبٌ تجنيه عزيزاً أناه
أحبك الحبَّ وغنى به
عفاً الأماني والهوى والشفاه
وإنما الحبُّ حديثُ العلى
أنشودةُ الخلدِ ونحن الرواه ..

أحلام سوداء

ربّ ليل قد صفا الأفقُ به
 وبما قد أبدع الله ازدهرُ
 وسرى فيه نسيمٌ عبقّ
 فكأن الليلَ بستانٌ عطرُ
 قلتُ: يارب جمّلتَه
 ولن هذي الثرياتُ الغررُ...؟
 فعرا الأفقَ قِمامٌ وبَدَتْ
 سحبٌ تحبّو إلى وجه القمرُ
 كلما تقربٌ تمثدُّ له
 كأكفٍ شرهاتٍ تنتظرُ
 صحتُ بالبدر: تنبه للندُرُ
 أدرك الهالة حفت بالخطرُ
 لا تُبِحْ مائدة النور لهم
 لا تبجها لسوادٍ معتكرُ
 قهقهة الرعد ودوي ساخرًا
 فكأن الرعدَ عريداً سكرُ

قمت مذعوراً وهمت قبضتي ...
ثم مُدَّتْ، ثم رُدَّتْ من خَوَرٍ
لهف القلب على الحسن إذا
قهقه الغربان والذئب سخر
تحتمي الوردة بالشوك فإن
كثر القطاف لم تُغنِ الإبر
آه من غصن غني بالجنى
ومن الطامع في ذاك الثمر
آه من شك ومن حب ومن
هاجسات وظنون وحذر
كست الأفق سوادا لم يكن
غير غيم جاثم فوق الفكر
طالما قلت لقلبي كلما
أن في جنبي أنين المحتضر
إن تكن خانت وعقت حينا
فأضفها للجراحات الأخر

الميعاد الضائع

«في ليلة من ليالى القاهرة العصبية، وقفت تنتظره، ولكن حال بينهما
القدر، وأقبل هو بعد ذهابها، فتخيل فزعها، ووحدها، وحاجتها إليه،
فجاءت هذه القصيدة عرضاً لتلك الخواطر».

يا من طواها الليلُ في بَيدائه
روحاً مفزعةً على ظلماته
تتلفسّتين إلى في أنحائه
لهف الفؤاد على الشريد التائه
إن تظمئى لى كم ظمئتُ إليك
جمع الوفاء شقيةً وشقياً
يا منيتي قست الحياة عليك
وجرت مقاديرها الجسام علياً
أسفاً عليك وأنتِ روحٌ حائرُ
والكون أسرارٌ يضيق بها الحجبى
تجتاز عابرةً ويسرعُ عابرُ
وتمر أشباحُ يواريتها الدجى

في وجنتيك توهج وضرامُ
وبمقلتيك مدامعٌ وذهولُ
وكنذا تمرُّ بمثلِكَ الأيامُ
مجهولةٌ وعذابها مجهولُ
وليتِ قبل لقائنا يا جنتي
لم تظفري مني بقولٍ مسعدٍ
وكعادة الحظ الشقيَّ وعادتي
أقبلتُ بعد ذهاب نجمي الأوحدي
تتعاقب الأقدار وهي مسيئةٌ
كم عَقْنَا ليلٌ وخانَ نهارُ
وكأنما هذا الفضاءُ خطيئةٌ
وكان همسَ نسيمه استغفارُ
وكأنه أحزانُ قومٍ ساروا
هذي مآتمهم وثمَّ ظلالُها
عفتِ القصور وظلت الأسوارُ
كمناحة جمدت وذا تمثالُها
ران السواد على وجوه الدور
وسرى إلى نحيبها والأدمعُ
وكأنني في شاطئ مهجورٍ
قد فارقته سفينةٌ لا ترجعُ

حملتُ لنا أملاً فلما ودَّعْتُ
لم يبقَ بعدَ رحيلها للناظرِ
إلا خيالُ سعادةٍ قد أقْلَعْتُ
ووداعُ أحبابٍ ودمعُ مسافرِ

اثنان في سيارة

العمرُ أكثره سدى وأقله
صفو يتاح كأنه عمران
كم لحظةٍ قصرت ومدت ظلها
بعد الذهاب كدوحة البستان
ويعر في الذكرى خيالُ شبابها
فكان يقظتها شبابُ ثانٍ
من ذلك الطيف الرقيق بجاني
كفاه في كفى هاجعتان
لكأنا والأرض تُطوى تحتنا
نجمان في الظلماء منفردان
لكأنا والريحُ دون مسارنا
خطان في الأقدار منطلقان
إني التفتُ إلى مكانك بعدما
خليته فبكيتُ سوءَ مكاني

هل كان ذاك القربُ إلا لوعةً
ونداءً مسغبةً إلى حرمانِ
حُمى مقدرة على الإنسانِ
تبقى بقاء الأرض في الدورانِ
وكأنما هذى الحياةُ بناسها
وضجيجها ضربٌ من الهذيانِ

لقاء في الليل

«كان اللقاء في ظلمات القاهرة الحالكة أيام الغارات وقد تم هذا اللقاء تحت الفزع والظلمة والخوف».

قالت تعال فقلت ليك	هيهات أعصي أمر عينك
أنا يا حبيبة طائر الأيك	لم لا أغنى في ذراعيك..
أفديك مقبله على جزع	بسطت إلي يمين مرتجف
وبها ارتعاشة طائر فزع	من قلبها تسرى إلى كتفي..

شجبت كلون المغرب الباكي

وتألقت كالنجم عيناها

فتلفت كحبيس أشراك

وحكى اضطراب الموج فهداها

قلت اهدئي لِمَ ثورة الندم

كفّاك ترتجفان يا أملّي

وأخذت أذفي بردها بفمي

لو تنفعن حرارة القبل

وجذبتها بذراعها نمشى

نمشى وما ندري لنا غرضاً

إفان قد فرّاً من العشّ

يتبادلان سعادةً ورضاً

يا لحظةً ما كان أسعدها وهناءةً ما كان أعظمها

مر الغريبُ فباعدت يدها وخلا الطريقُ فقربتُ فمها

مرت بنا سيارةٌ ومضتُ فضاحةٌ خطافة النور

كشفت لعينينا وقد ومضتُ

ظلمين مقتربين في السورِ

ضحكت لظلينا وقد عجتُ

مما يخالُ فؤادُ مدعورِ

وكان ضحكها وقد طربتُ

قطراتُ ماءٍ فوق بلورِ

عوذّتها من شر أمسيةٍ

تعيابها وتضلُّ أبصارُ

وكواكبٌ ليست بمجديةٍ

ظلمٌ مكدسةٌ وأحجارُ

عشرتُ بها فرفعتها يدي
جسماً يكاد يشفُ في الظلمِ
ويرفُ مثل الزهر وهو ندي
ويخفُ مثل عرائس الحلمِ
وكأنني ما يسوء خلي
وحياتي انجابت حوالكها
أرمي الطريق بناظري رجلٍ
وأنا لها طفلٌ أضاحكها
ملكتها الدنيا بما وسعتُ
وأنا أهامسُها بأسراري
وأسرُّها بحكاية وقعتُ
ورواية من نسج أفكارى
وإذا الطريق يسير منعطفاً
وإذا رياحٌ تضرب السدفاً
وكان منها منذراً هتفاً
بلغ المسيرُ نهايةً، فقفاً

يا توأما من صدرى انثُرْ عَا
يامن دعا قلبي له فسعى
لم أيها الداعي هواءك دَعَا
والدهر يأبى أن نظل معا
انظر ذراعى اللذين هما
قد طوقاك مخافة البين
أقسم بأنك عائدٌ لهما
إني لمدودُ الذراعين

ختم الليالى

الليالى! يا ما أمر الليالى
 غبت وجهك الجميل الحياء
 أنت قاسٍ معذبٍ ليت أنى
 أستطيع الهجران والتعذيبا
 إن حبي إليك بالصفح سباق
 وقلبي إليك مهما أصيبا
 يا حبيبى كان اللقاء غريبا
 وافترقنا فبات كل غريبا
 غير أنى أستنجد الدمع لا
 ألقى مكان الدموع إلا لهيبا
 آه لو ترجع الدموع لعينى
 جف دمعى فلست أبكى حيبا

الأطلال

«هذه قصة حب عائر، التقيا وتحابا ثم انتهت القصة بأنها هي صارت أطلال جسد، وصار هو أطلال روح، وهذه الملحمة تسجل وقائعها كما حدثت»

يا فؤادي رحم الله الهوى
كان صرحاً من خيالٍ فهوى
اسقني واشرب على أطلاله
وارو عني طالما الدمع روى
كيف ذاك الحب أمسى خبراً
وحديثاً من أحاديث الجوى
وبساطاً من ندامي حُلِم
هم تواروا أبداً وهوَ انطوى ..

* * *

يا رياحاً ليس يهدأ عصفها
نضب الزيت ومصباحي انطفأ
وأنا أقتات من وهم عفا
وأفي العمر لناسٍ ما وفى

كم تقلبتُ على الخنجره
لا الهوى مال ولا الجفن غفا
وإذا القلبُ على غفرانه
كلما غارَ به النصلُ غفا

* * *

ياغراماً كان منى في دمي قدراً كالموت أو في طعمه
ماضينا ساعةً في عرسه وقضينا العمر في مآتمه
ماانتزاعي دمة من عينة واغتصابي بسمة من فمه
ليت شعري أين منه مهرى أين يمضي هارباً من دمه

لست أنساك وقد أغريتني
بفمٍ عذب المنادة رقيق
ويد تمتد نحوى كيد
من خلال الموج مُدَّتْ لغريق
آه يا قبله أقدامي إذا
شكت الأقدام أشواك الطريق
وبريقاً يظماً الساري له
أين في عينيك ذياك البريق

* * *

لست أنساك وقد أغريتني
بالذرى الشم فأدمنتُ الطموحُ
أنت روحٌ في سمائي وأنا
لك أعلو فكأني محضُ روحُ
يا لها من قممٍ كُنَّا بها
نتلاقى وبسرَّيتنا نبوحُ
نستشف الغيبَ من أبراجها
ونرى الناسَ ظلالاً في السفوح

* * *

أنتِ حُسنٌ في ضحاه لم يزل
وأنا عندي أحزانُ الطفُّلُ
وبقايا الظل من ركب رحلُ
وخيوط النور من نجمٍ أفلُ ..
ألمح الدنيا بعيني سئم
وأرى حولي أشباحَ المللُ
راقصاتٍ فوق أشلاء الهوى
معولاتٍ فوق أجداث الأملُ

* * *

ذهب العمر هباءً فاذهي
لم يكن وعدك إلا شبحاً
صفحة قد ذهب الدهر بها
أثبت الحبُّ عليها ومحا
انظري ضحكي ورقصي فرحاً
وأنا أهملُ قلباً ذُبِحاً
ويراني الناس روحاً طائراً
والجوى يطحنني طحنَ الرحى!

* * *

كنت تمثالَ خيالي فهوى
المقادير أرادت لا يمدى
ويحها لم تدبرِ ماذا حطمتُ
حطمتُ تاجي وهدتُ معبدي
يا حياةَ اليأس المنفردِ
يا ياباً مابه من أحدٍ
يا قفاراً لا فحات مابها
من نجى .. يا سكونَ الأبد ..

* * *

أين من عيني حبيب ساحر
فيه نبل وجلال وحياء
وائقُ الخطوة يمشي ملكاً
ظالمُ الحسنِ شهيدُ الكبرياء
عَبَقُ السحرِ كأنفاس الربى
سأهمُ الطرف كأحلام المساء
مشرقُ الطلعة في منطقهِ
لغةُ النور وتعبيرُ السماء

* * *

أين مني مجلس أنتِ به
فتنةٌ تَمَّتْ سناءً وسنى
وأنا حب وقلب ودم
وفرّاش حائر منك دنا
ومن الشوق رسول بيننا
ونديمٌ قدّم الكأس لنا ...

وسقانا. فانتفضنا لحظةً

لغبارِ آدمي مَسْنَا!

* * *

قد عرفنا صولة الجسم التي

تحكم الحيَّ وتطفئ في دماه

وسمعنا صرخةً في رعدِها

سوطُ جلادٍ وتعذيبُ إله

أمرتنا فعصينا أمرها

وأبينا الذلَّ أن يغشى الجباه

حكم الطاغى فكنا في العصاه

وطردنا خلفَ أسوارِ الحياه

* * *

يا لمنفين ضلًّا في الوعودِ

دميا بالشوكِ فيها والصخورِ ..

كلما تقسو الليالي عرفًا

روعة الآلام في المنفى الطهورِ ..

طردا من ذلك الحلم الكبير
للحظوظ السود والليل الضير
يقبسان النور من رويهما
كلما قد ضئت الدنيا بنور

* * *

أنت قد صيرت أمري عجا
كثرت حولي أطيأ الرب
فإذا قلت لقلبي ساعة
قم نغرد لسوى ليلي أبي
حجب تأبي لعيني ماربأ
غير عينيك ولا مطلبأ
أنت من أسد لها لا تدعى
أنني أسدت هذي الحجبأ

* * *

ولكم صاح بي اليأس انتزعها
فيرد القدر الساخر: دعها

يا لها من خطة عمياء لو
أنني أبصر شيئاً لم أطعها
ولـيَ الويل إذا لبيتها
ولـيَ الويل إذا لم أتبعها
قد حنّ رأسي ولو كلّ القوى
تشتري عزّة نفسي لم أبعها

* * *

يا حبيباً زرت يوماً أيكه
طائر الشوق أغني ألمي
لك إبطاء الدلال المنعم
وتجني القادر المحتكم
وحنيني لك يكو أعظمي
والثواني جمرات في دمي
وأنا مرتقب في موضعي
مُرْهَفُ السمع لوقع القدم

* * *

قدم تخطو وقلبي مشبه
موجة تخطو إلى شاطئها
أيها الظالم بالله إلى كم
أسفح الدمع على موطئها
رحمة أنت فهل من رحمة
لغريب الروح أوظامئها
يا شفاء الروح روحي تشتكي
ظلم آسئها إلى بارئها ..

* * *

أعطني حريري أطلق يدي
إنني أعطيت ما استقيت شي
آه من قيدك أدمى معصمي
لم أبقيه وما أبقى علي
ما احتفاظي بعهود لم تصنها
وإلام الأسر والدنيا لدي
ها أنا جفت دموعي فاعف عنها
إنها قبلك لم تُبذل لي

* * *

وَهَبَ الطَّائِرَ عَنْ عَشْكَ طَارَا
جَفَّتِ الْغَدْرَانُ وَالْثَلْجُ أَغَارَا
هَذِهِ الدُّنْيَا قُلُوبَ جَمَدَتْ
خَبَتْ الشَّعْلَةُ وَالْجَمْرُ تَوَارَى
وَإِذَا مَاقَبَسُ الْقَلْبِ غَدَا
مَنْ رَمَادٍ لَا تَسْلَهُ كَيْفَ صَارَا
لَا تَسْلُ وَاذْكُرْ عَذَابَ الْمُصْطَلَى
وَهُوَ يَذْكُرُهُ فَلَا يَقْبِسُ نَارَا

* * *

لَا رَعَى اللَّهَ مَسَاءً قَاسِيَا
قَدْ أَرَانِي كُلَّ أَحْلَامِي سُدَى

وَأَرَانِي قَلْبَ مَنْ أَعْبَدَهُ	سَاخِرًا مِنْ مَدْمَعِي سُخْرَ الْعِدَا
لَيْتَ شَعْرِي أَيْ أَحْدَاثَ جَرَتْ	أَنْزَلْتَ رَوْحَكَ سَجْنًا مَوْصَدَا
صَدِئْتُ رَوْحَكَ فِي غِيْهِهَا	وَكَذَا الْأَرْوَاحُ يعلوها الصَّدَا

* * *

قد رأيتُ الكونَ قبرا ضيقا
خيم اليأسُ عليه والسكوتُ
ورأتُ عيني أكاذيبَ الهوى
واهياتٍ كخيوطِ العنكبوتِ
كنت ترثي لي وتُدري ألمي
لو رثي للدمعِ تمثالُ صموتِ
عند أقدامك دنيا تنتهي
وعلى بابك آمالٌ تموتُ
* * *

كنت تدعوني طفلا كلما
ثار حي وتددتْ مُقلبي
ولك الحق لقد عاش الهوى
في طفلاً وغمًا لم يعقلِ
وأرى الطعنة إذ صوبتها
فمشت مجنونة للمقتلِ
رمتِ الطفلَ فأدمتْ قلبه
وأصابت كبرياءَ الرجلِ
* * *

قلت للنفس وقد جُزئنا الوصيда

عَجَلِي لا يَنْفَعُ الْحَزْمُ وَئِيْدَا

ودعى الهيكلَ شَبْتُ ناره

تَأْكُلُ الرُّكْعَ فِيْهِ وَالسَّجُودَا

يَتَمَنَّى لِي وَفَائِي عَوْدَةً

والهوى المجروح يَأْبَى أَنْ نَعُودَا

لِي نَحْوَ اللَّهَبِ الذَّاكِي بِهِ

لَفْتَةُ الْعُودِ إِذَا صَارَ وَقُودَا

* * *

لست أنسى أبدا	ساعة في العُمُرِ
تحت ریح صفقتُ	لا رتقصاص المطرِ
نوحنت للذكرِ	وشكت للقمرِ
وإذا ما طربستُ	عربدت في الشجرِ

هاك ما قد صبت الريح بأذن الشاعرِ
وهي تغري القلبَ إغراءَ النصيحِ الفاجرِ

أيها الشاعر تغفرو

تذكر العهد وتصحو

واذا ما التام جرح

جد بالتذكار جرح

فتعلم كيف تنسى	وتعلم كيف تمحو
أو كل الحبيب	في رأيك غفران وصفح
هناك فانظر عدد	الرميل قلوباً ونساء
فتخير ما تشاء	ذهب العمر هباء
ضل في الأرض الذي	ينشد أبناء السماء
أي روحانية تُعصر	من طين وماء

أيها الريح أجل لكما

هي حبي وتعلاتي ويأسي

هي في الغيب لقلبي خلقت

أشرقت لي قبل أن تشرق شمسي

وعلى موعدها أطبقت عيني

وعلى تذكارها وسدت رأسي

جئت الريحُ ونادته شياطينُ الظلام ..
أختاماً كيف يحلو لك في البدء الختام
يا جريحاً أسلم الجرحَ حياً نكاه
هو لا يكي إذا الناعي بهذا نبأه
أيها الجبار هل تُصرعُ من أجل امرأه ..
يا لها من صيحةٍ ما بعثتُ

عنده غير أليم الذكرِ
أرقت في جنبه فاستيقظتُ
كبقايا خنجرٍ منكسرٍ
لمع النهر وناداه له
فمضى منحدرأً للنهرِ
ناضب الزاد وما من سفرٍ
دون زادٍ غير هذا السفرِ

* * *

يا حبيبي كلُّ شيءٍ بقضاء
ما بأيدينا خلقنا تعساء

ربما تجمعنا أقدارنا

ذات يوم بعد ماعز اللقاء

فإذا أنكر خِلَّ خله

وتلاقينا لقاء الغرباء

ومضى كلُّ إلى غايته

لا تقل شئنا وقل لي الحظَّ شاء

* * *

يا مغني الخلد ضيعت العمرُ

في أناشيد تُغني للبشرُ

ليس في الأحياء مَنْ يسمعنا

مالنا لسننا نغني للحجرُ

للجمادات التي ليست تعي

والرميمات البوالي في الحُفرُ

غناها .. سوف تراها انتفضتُ

ترحم الشادي وتبكي للوترُ

* * *

يا نداءً كلما أرسلته
رُدَّ مقهوراً وبالحظ ارتطم
وهتافاً من أغاريدِ المنى
عاد لي وهو نواحٍ وندم
رُبَّ تمثالٍ جمالٍ وسنا
لاح لي والعيشُ شجوةً وظلم
ارتمى اللحن عليه جاثياً
ليس يدري أنه حُسْنٌ أصم

* * *

هدأ الليل ولا قلب له
أيها الساهرُ يدري حيرتك
أيها الشاعر خذ قيثارتك
غن أشجانك واسكب دمعك
رُبَّ لحن رقصَ النجم له
وغزا السُّحْبَ وبالنجم فتك
غنه حتى نرى سِثْرَ الدجى
طلع الفجرُ عليه فانتَهك

* * *

وَإِذَا مَازَهَرَاتُ دُعُورَتْ
وَرَأَيْتَ الرَّعْبَ يَغْشَى قَلْبَهَا
فَتَرَفَّقَ وَاتَّسَدَ وَاعْرِفَ لَهَا
مِنْ رَقِيقِ اللَّحْنِ وَامْسَحْ رَعْبَهَا
رَبَّمَا نَامَتْ عَلَى مَهْدِ الْأُسَى
وَبَكَتْ مُسْتَصْرِخَاتٍ رَبِّهَا
أَيُّهَا الشَّاعِرُ كَمْ مِنْ زَهْرَةٍ
عَوَّقَتْ لَمْ تَدْرِ يَوْمًا ذَنْبَهَا

ذات مساء

وانت حيناً معاً مكائاً قصياً
نتهادى الحديث أخذاً ورداً
سألتني مللتنا أم تبدلت سوانا هوى عنيفا ووجداً
قلت هيهات! كم لعينيك عندي
من جميل كم بات يهدى ويسدى
أنا ما عشت أدفع الدين شوقاً
وحنيناً إلى حاك وسهداً
وقصيداً مجلجلاً كل بيت
خلفه ألف عاصف ليس يهدأ
ذاك عهدى لكن قلبك لم يقض ديون الهوى ولم يرع عهداً
والوعود التي وعدت فؤادى
لا أراي أعيش حتى تُؤدّي

رواية

نزل الستار ففيم تنتظرُ
خلت الحياة وأقفر العمرُ
لم يبقَ إلا مقفر تعسُّ
تعوى الذئاب به وتأتمر
هو مسرح وانقض ملعبه
لم يبقَ لآعين ولا أثرُ
ورواية رويت ومجزها
صحباً مضوا وأحبةً هجروا
عبروا بها صوراً فمد عبروا
ضحك الزمان وقهقهه القدرُ

يأس على كأس

(١)

أصبحتُ من يأسى لو أن الردى

يهتف بي، صحت به هيّا

هيا فما في الأرض لي مطمح

ولا أرى لي بعدها شيئاً

ماذا بقائي هاهنا بعدما

نفضتُ منه اليومَ كفيّا

أهرب من يأسى لكأسى التي

أدفن فيها أملى الحيّا

يا أيها الهارب من جنّتي

تعال أو هاتِ جناحيّا

نبكى شبائنا ونبكى المنى

وترقّى بسين ذراعِيّا

(٢)

إني على يأسى وكأسى كابي
وعلى سراي عاكفٌ وشرابي
ولقد فرغتُ من التعلل بالمني
إلا وميضاً في الرماد الخابي
رمقاً يعللني بأنك عائد
يوماً لقلبي قبل يوم ذهابي
حتى إذا الأقدار شئن وعدت لي
راجعتُ نفسي واتهمتُ صوابي
أرى شروقك في أفول مغاربي
وأشمُ عطرَكَ في ذبول شبابي!

(٣)

هات اسقني واشربْ على سر الأسي
وعلى بقايا مهجةٍ وشجاها
مهلاً نديماً! كيف ينسى حبَّها
مَنْ ينشدُ السلوى على ذكراها

ما زالت تسقيني. لتسيني الهوى
حتى نسيتُ، فما ذكرتُ سواها
كانت لنا كأسٌ وكانت قصة
هذا الحباب أعادها ورواها
الآن غشاها الضبابُ وها أنا
خلف المآسى والدموع أراها
غالَ الزمانُ ضبابها وحبابها
وتبخرتُ أحلامُها ورؤاها
أحببتها وطويت صفحتها وكم
قرأ اللبيبُ صحيفةً وطواها
تلك الوليدة لم تُطْلُ بشراها
لما تكذتْ طأ الثرى قدماها
زفَّ الصباح إلى الرمال نداءها
وسرى النسيمُ عشيّةً فنعاها

عاصفة روح (الزورق يغرق والملاح يستصرخ)

أَيْنَ شَطِّ الرَّجَاءِ يَا عُبابَ الْهَمِّومِ
لَسِيْلَتِي أَنْسَوَاءِ وَهَمَّارِي غِيْومِ
* * *

أَعُوْلي يَا جَرَّاحُ اسْمَعِي الْـدِيَّانُ
لَا يَهْمُ الرِّيحَاحُ زورْقُ غَمِّـضْبَانُ
* * *

الْبَلْبَلَى وَالثَّقُوبُ فِي صَمِيمِ الشَّرَاغِ
وَالضُّنَى وَالشَّحُوبُ وَخِيَالُ الْوَدَاغِ
* * *

اسْـسُخْري يَا حِيَاةُ قَهْقَهِي يَا رَعْوَدُ
الـصَّبَا لـلنَّ أَرَاةُ وَالْهَوَى لـلنَّ يَعْوَدُ
* * *

الْأَمَّانِي غَمْرُورُ فِي فَمِ الْبَرْكَانِ
وَالـدَجَى مَخْمُورُ وَالرَّدى سَكْرَانُ
* * *

راحـتِ الأيـامُ	بابتـسام الثـغـورُ
وتـولى الظـلامُ	في عنـاق الصـخورُ
* * *	
كـان رؤـيا منـامُ	طيفـك المـسحورُ
يـا ضفـاف السـلامُ	تحت عـرش النـورُ
* * *	
اطـحنـي يـا سـنين	مزقـتي يـا حـرابُ
كـل بـرق يـبينُ	ومـضه كـذابُ
* * *	
اسـخري يـا حـياهُ	قهقهـتي يـا غـيوبُ
الصـبا لـن أراهُ	والهـوى لـن يـؤوبُ

كبرياء

١

نداءك يا فؤاد كفى نداءً
أما تنفك تسقيني الشقاء
أنا ظمآن لم يلمع سراب
على الصحراء إلا خلت ماء
وأنت فراش ليل كل نور
تبعث وكل برق قد أضاء
فؤادي قل لها لما افترقنا
على شجن وما نرجو اللقاء
حببتك ما شدوت إليك شعرا
ولكني اعتصرت لك الدماء
إذا أنا في هواك أضعت روحى
فلست أضيع فيك دمي هباء
غرامك كان محراب المصلى
كأنى قد بلغت بك السماء

خلعتُ الآدمية فيه عني
ولكن ما خلعتُ به الإباء
فلم أركع بساحته رياءً
ولا كالعبد ذلاً وانحناءً
ولكني حيثُك حبٌّ حُرٌّ
يموت متى أراد وكيف شاء

٢

وحبيب كان دنيا أملى	حبه المحراب والكعبة بيته
من مشى يوماً على الورد له	فطريقى كان شوكا ومشيتُهُ
من سقى بماءٍ ظامئاً	فأنا من قدح العمر سقيتُهُ
خفق القلب له مختلجاً	خفقة المصباح إذ ينضب زيتُهُ
قد سلاى فتكرت له	وطوى صفحة حبي فطويتُهُ

٣

أقبلتُ للنيل المبارك شاكياً
زمنى وقد كثرتْ على همومي

ومسحتُ كفى والجبين بمائه
على أهدي ثورة المحموم
وجلست أنثر جعبة معمورة
بالذكرياتِ جديدها وقديم
لهفى لحب مات غير مدئسٍ
وشباب عمر مرّ غير ذميم
خان الأحبة والرفاق ولم أخن
عهدي لهم وصفحْتُ صفحَ كريم
أخيفني العشبُ الضعيفُ أنا الذي
أسلمتُ للشوك الممضُ أديمي
وإذا ولى قلبي يصدق مكانه
شعبي وتنفق كبرياء همومي
إني لأحمل جمعتي متحدية
زمني بها وحواسدي وخصومي
أحنى لعرش الله رأسا ما انحنى
بالذلّ يوماً في رحابٍ عظيم

اذكـرى

اذكـرى ذاك المـساءَ	كيف كنا سـعداءَ
لم يـدعْ عـندي هـمًّا	ومحـا عـنك الشـقاءَ
مـلاً الـدنـيا صـفاءَ	عـندما شـئتِ وشـاءَ
أحـسن الـدهـرِ إلـينا	بعـدما كـان أسـاءَ
كـلـمـا أقـبلت السـحب	فـظلـلـن السـماءَ
قائـمـات غائـمـات	يـتـهـادـين بـطـواءَ
لـاح نـجـمٌ مـن بـعيد	فـتـجـلـسـى وأضـواءَ
وتـصـدّى قـمـرٌ راح	عـلـى الأـرضِ وجـاءَ

رسائل محترقة

ذوت الصبابة وانطوت

وفرغت من آلامها

لكنني ألقى المنايا	من بقايا جامها
عادت إليّ الذكريات	بحشدها وزحامها
في ليلة ليلاء أرّ	قني عصب ظلامها

هدأت رسائل حبها

كالطفل، في أحلامها

فحلفت لا رقدت ولا	ذاقت شهى منامها
أشعلت فيها النار ترعى	في عزيز حطامها
تغتيال قصة حننا	من بدئها لختامها
أحرقتها ورميت قلبي	في صميم ضرامها
وبكى الرماد الآدمي	على رماد غرامها

الغريب

يا قاسي البعد كيف تبتعدُ
إني غريب الديار منفردُ
إن خائني اليوم فيك قلت غداً
وأين مني ومن لقاكَ غدُ
إنَّ غداً هوةٌ لناظرها تكاد فيها الظنون ترتعدُ
أطل في عمقها أسائلها أفيك أخفى خيالة الأبدُ
يالا مس الجرح ما الذي صنعتُ
به شفاة رحمةً ويدُ
ملء ضلوعي لظى وأعجبه
أني بهذا اللهب أبتردُ
يا تاركى حيث كان مجلسنا وحيث غناك قلبي الغردُ
أرنبو إلى الناس في جموعهم
أشقتهم الحادثات أم سعدوا
تفرقوا أم هم بها احتشدوا
وغوروا هابطين أم صعدوا

إني غريبٌ تعالَ يا سَكْنِي
فليس لي في زحامهم أَحَدُ

بعد الفراق

١

أجل! أهواك أنتِ منى حياتي
وأنتِ أحبُّ من بصرى وسمعى
وهل أنساكِ كلاً لست أنسى
هوى قد كان إلهامى ونبعى
لبستُ من التصبر عنكِ درعاً
فها أنا تنزعُ الأيامُ درعى
وها أنا لا أداري عنكِ سرّاً
عرفتِ محبتى ورأيتِ دمعى
تلاشتِ قوتى وغداً فؤادى
كأن خفوقه خلجاتُ نزعِ
أبشّره فيرقص في ضلوعى
وأنظر سوداً أيامى فأنعى
وقد نضب الخيالُ وغاض طبعى
ومات على حياض اليأس زرعى

أَجْرَجْرُ وَحَدَتِي فِي كُلِّ حَشْدٍ
وَأَحْمَلُ غُرْبَتِي فِي كُلِّ جَمْعٍ

٢

مَزَقَّتْهُ فَصَارَ وَاللَّهِ لَا يَقْدِرُ حَتَّى أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ رَفَقًا
لِجَلَّةٍ بَعْدَ لَجَّةٍ كُلَّمَا صَارَعَ رُدَّتْ لَهُ أَمَانِيهِ غَرَقَى
فَلِيَقْ بَعْدَ فِيلِقٍ حَجَبَ الشَّمْسِ وَلَمْ يُبْقِ لِلنَّوَاطِرِ أَفَقًا
وَسَنَانَ الْغُرُوبِ تَغْزُوهُ حَمْرًا

وَسَنَانَ الْعَذَابِ تَطْعَنُ زُرْقًا
وَجِيُوشَ الظَّلَامِ تَزْحَفُ زَحْفًا
وَتُقَالُ الْأَقْدَامُ تَسْحَقُ سَحَقًا ..

المصائب

«خرج الشاعر من مصر مريضاً، ورجع إليها مكسور الساق
يحمل عكازتين، فلما أشرفت السفينة على بورسعيد استقبل
الشاعر مصر بهذه الأبيات».

هتفتُ وقد بدتُ مصرٌ لعيني

رفاقى! تلكَ مصرُ يا رفاقى

أدفعنى وقد هاضتُ جناحى

وتجذبنى وقد شدتُ وثاقى

خرجتُ من الديار أجرُّ همِّى

وعدتُ إلى الديارِ أجرُّ ساقى

في الأوتوجراف
من ن إلى هـ

طلبتِ الكتابةَ يا جنتي
وماذا تريدان أن أكتبَا
وما في الجوانحِ خافٍ عليكِ
وقلبك يعلم ما غيَّبَا
سأكتبُ أنكِ أنتِ الربيعُ
وأنتِ أنضرُّ ما في الربيعِ
وأنتِ أنتِ الجمالُ الفريدُ
وفجرُ الشبابِ وحلمُ الصَّبَا
أهْلُلُ باسمكِ عندَ الصباحِ
وأطوى على ذكركِ المغربَا ..

شكوى الزمـن

ياويلتا من عمرى الباقي . هذا سواد تحت أحداق
هذا بياضُ الشيبِ واعجبي من مغرب في زى إشراق
ويلي على كأسٍ معربةٍ
وعلى دم في الكأسِ مهراقٍ
وعلى سرابٍ خادعٍ وعلى متألق اللمحات براق
طاف الزمان به على نفرٍ مالوا بهاماتٍ وأعناق
صُرعوا وأنت تظنهم سَكروا
ماتَ الندامى أيها الساقى
يا دهرُ لم أشكُ الكلالَ ولا
ملكْتُ خطوبُ الدهرِ إرهابي
عذبتُ أيامي بعفتها
وقتلْتُها بصفاءِ أخلاقي
يا كم غرستُ وكم سقيتُ وكم
نضرتُ من زهرٍ وأوراقٍ

ما حيلتي والأرض مجدبة
سيان إقلالى وإغداقى
أين الذين رفعتُ فأنحدروا
وبنيتهمُ بنيانَ خلاقٍ
إن الوفاءَ بضاعة كسدتُ
ومآلُ صاحبها لإملاقٍ
إن كنت لم أغنم فقد ظفروا
منى بمغفرتى وإشفاقى
لكنى والجرح يُلهب لى
حسّى ويكوى كى إحراقٍ
هيهات أنسى أنهم عبثوا
ووفيتُ لم أعبثُ بميثاقى

كل السورى

كل السورى يدعون حبك
أنا الوحيد الذى أحبك
صدرك فيه اضطراب شوق
يقزع قرع العباب جنبك
فكيف تخلص به مكانى
وئسكن الغادرين قلبك
لما اعتقنا على اشتياق
لمست بالساعدين خطبك
تعال لا تعذر لذنبي
بقدر حبي غفرت ذنبك
* * *

طال على المتعب الطريق
بلا حبيب ولا صديق
قد بعث الشاطئ المرجى
والموج لا يرحم الغريق

في واضحِ النورِ جنحُ ليلٍ
وفي الرحابِ الفساحِ ضيقُ
يا أرجوانَ الغروبِ مهلاً
ولتتأدَّ أيها العقيقُ
صبغتَ عمرى فصرتُ أمشي
على دمائي التي أريقُ ...

* * *

يا مسرحاً والفصولُ تتري
عليه مالى بك اغترارُ
فلا بخيرٍ ولا بشرٍ
ولا طـوال ولا قصارُ
ماخنتُ عهدى لمن تولّى
كلاً ولاخانى اصطبارُ
أين الليالى التي تُسرُّ
بلا لقاء ولا مزارُ
كم قلتُ ذا مشهدٍ يمرُّ
ولم أقـلْ إنه سـتـارُ

إن كان للمشجيات رسم
إني تماهها المقام
بلا دموع ولا شكاة
قد جمد الدمع والكلام
يا طالب الحزن في المآقى
لا تنشد الدمع في الرخام
وخذه من أخرس مريـر
من شفة دمعها سجام
فهل فمٌ قد بكى بكائي
من ذا رأى دمة ابتسام

راقصة

عجياً لعارية كساها	الفنُّ حسناً رائعاً
سمراء وشتها بنائثه	بياضاً ناصعاً
شبه الفرائد قد كسين	في الغمام براقعاً
من أي وديان الظباء	ملاعباً ومراتعاً؟

من عبقر، ومن الألب، ومن فنونهما معاً
تبدین ریان الثدي لنا وخصراً جائعاً
وثرین کوناً يشبه الكون الرحیب الواسعاً
متغایر الإبداع مختلف المحاسن جامعاً
لك خفة البطل المجلى مقبلاً أو راجعاً
متمهلاً للخصم متهداً، وحيناً للقاء مُسارعاً

الصنم الجميل

يا قلبي الشاكي المعذب هذه الشكوى لِمَا
حان الفرار وآن للمسجون أن يتنفس
حان الحساب وآن للموتور أن يتكلم
يا طفلي النواح آن اليوم أن تتعلم
أسفى لغالي الدمع تبذله لمرتخص الدُمى
أفنيته ورجعت حتى من دموعك معدما
فإذا افتقدت الدمع عز فتبكين تبسما
تبكي على العرش المصوغ من المدامع والدمما
تبكي على الصنم الجميل يكاد أن يتهكما
تبكي تراب الأرض مصبوغاً بألوان السما

الليل في فينسيا

يا ربّ ما أعجبَ هذي البلادُ
لا ليلَ فيها! كل ليلٍ صباحُ
وكل وجه في حماها ضامدُ
ومصرُ لا تُبستُ إلا الجراحُ

شكوك

يا رامي السهم يدري أين موضعه
منى ويعلم ما داريت من ألم
رمى في ساحة موسومة بدم
منقوشة بندوب الحب والندم
لا يخدعك منها وهى صامته
صمت القبور فراغ الموت والعدم
فكم شفاء جراحات إذا انطبقت
جرح الإباء عليها غير ملتئم
فيم انتقامك من قلب عصفت به
لم يبق من موضع فيه لنتقم
وفيم لذعة سخط من جوى برم
ترمي بجمرته في جوف مضطرم!

النسيان

حان الشفاء فودّع الألما
واستقبل الأيام مبتسما
ضيف من السلوان حلّ بنا
حذب اليدين مبارك قدما
أو ما ترى الضيف الذى قدما
يطوى الغيوب ويذرغ الظلما
في كفه كأس يقدمها
تمحو العذاب وتغسل الندما
فاشرب ولا ترحم ثالتها
لهفى عليك شربت أى ظما
فيض من النسيان يغمرنى
إلى لأحمد سيّله العرما
مستسلما للموج يغمرنى
فرحان حين أعانق العدا

المساء

يا غلة المتلهف الصادي
يا آيتي وقصيدتي الكبرى
ماذا تركت لدى من زاد
إلا استعادة هذه الذكرى
يا للمساء العبقري وما
أبقى على الأيام في خلدي
شفتاك شفا لوعة وظما
وجمالك الجبار طوغ يدي
نمشي وقد طال الطريق بنا
ونود لو نمشي إلى الأبد
ونود لو خلّت الحياة لنا
كطريقنا وغدت بلا أحد
نبنى على أنقاض ماضينا
قصرًا من الأوهام عملاقًا

ونظّلُ نَسْجُ مَنْ أمانينا
وشياً من الأحلامِ برّاقا
وأظّل أسقيها وتملاً لي
من مورد خلف الظنون خفي
حتى إذا سكوت من الأملِ
وترنحت مالت على كتفي
حلفت بأني مغتدٍ معها
حيث اغتدت وهوى في دميها
فمسحت بالقبلات أدمعها
وطبعتُ ميثاقي على فميها

عذاب

ألمى محاذنبي إليك وكفراً
هبنى أسأتُ ألم يحسن أن تغفراً
روحي ممزقةً وأنت تركتها
لمخالب الدنيا وأنياب الورى
روحي ممزقةً ولو أدركتها
جمعت من أشلائها ما بُعْثراً
أوليس لي في ظل حبك موضع
أحبو إليه وأرتمى مستنصرًا؟
ما كنت أصبرُ عن لقائك ساعةً
كيف اصطباري عن لقائك أشهرًا
من بدّل الشجر الجميل عبوسة
ومضى إلى وجه السماء فكدرًا
يا هاته الأقدار! عينك لا ترى
تحت الدجى سأمًا ممتنع الكرى

ظمآن، لو باع الأحبة قطرة
بالعمر والدنيا جميعاً لا شترى
أنخفى جراحك واستعز بفتكها
غريدك الشادى المخلق في الذرى
يرنو إليك على البعاد ويعتلى
ويجره الجرح المميت إلى الشرى
قد عاش وهو معذب يابائه
ولقد يلقى يومه مستكبراً
حتام كتمان وطول تجلدى
يا أيها الجانى على وما درى
ومتى المآب إلى رحابك مرة
لأريك جرحى والدماً والخنجر

ملحمة السراب

١

السراب في الصحراء

السراب الخوون والصحراءُ
والحيارى المشردون الظماءُ
وليالٍ في إثرهن ليالٍ
سنة أقفرت وأخرى خلاءُ
قل زادى بها وشح الماءُ
وتولى الرفاقُ والخلصاءُ
كيف للنازح الحبيب ارتحالى
وجناحى السقم والبرحاءُ
وجراحى المستترفات الدوامى
وخطاى المقيّدات البطاءُ
أدركى زورقى فقد عبث اليمُّ به والعواصفُ الهوجاءُ
والعبابُ العريضُ والأفقُ الموحشُ واللائهايةُ الخرساءُ
أفقٌ لا يُحدُّ للعين قد ضاقَ فأمسى والسجن هذا الفضاءُ

سهرتُ ترقبَ الصباخِ وعينُ النجمِ كلَّتْ وما بها إغفاءُ
عجبي من ترقبي ما الذي أرجو ولما يُعدُّ لقلبي رجاءُ
وأنا مُرهِفُ المسامعِ فيه
لى إلى كلِّ طارقٍ إصغاءٌ

* * *

التقينا كما التقى بعد تطوافٍ على القفر في السرى أنضاءُ
قطعوا شوطهم على الدم والشوك وراحوا على اللهب وجاءوا
في ذراعىٍّ أو ذراعيك أمنٌ وسلامٌ ورحمةٌ ونجاءُ
وعلى صدرك المذبذب أو صدرى حصنٌ وعصمةٌ واحتماءُ
كم أناديك في التنائى فترتدُّ بلا مغنم لى الأصداءُ
وأناديك في دمائي فتنساب على حسرةٍ لدى الدماءُ
وأناديك في التدانى وما أطمع إلا أن يستجابَ النداءُ
باسمك العذب إنه أجمل الأسماء مهما تعددت أسماءُ
لفظة لاتبين تنطلق الأقدارُ عن قوسها ويرمى القضاءُ

* * *

وهى بين الشفاه نائٍ وتغريد وطيور وروضة غناءُ
وهى فى الطرس قصة تُذكر الأحباب فيها وتُحشد الأنباءُ
صدفةً ثم وقفة فاتفاق فاشتياق فموعد فلقاءُ

فقليل من السعادة لا يكمل فيه ولا يطول الهناءُ
فحنين فلوعة فاحترق فجحيم وقوده الشهداءُ

* * *

ما بقائي وأجل العمر ولى
وانتظاري حتى يحين الشتاءُ
يطلع الفجر مرهقاً شاحباً النور
عليه الكلال والإعياءُ
وبنفسى دب المساء وحلّ الليل من قبل أن يحين المساءُ

* * *

زرتني كالربيع في موكب الزهر له روعة وفيه رواءُ
ولك الوجه أومض الحسن فيه
والتقى السحرُ عنده والذكاءُ
وشحوب كظل خمر وللندمان تجلو شحوبها الصهباءُ
ولك الجيد أتلعاً أودع الصانع فيه من قدرة ما يشاءُ
قدّ من مرمر وشعشعه الفجر بورد وصب فيه الضياءُ
وأنا الطائر الذى تصطبى نفسى السماوات والذرى السماءُ
راشنى صائد رمانى فأدمانى وولّى الجانى وعاش الداءُ

مرحبا بالهوى الكبير، فإن يبقَ وإن تسلمى يطبُّ لى البقاءُ
فهو القمة التى تمزم الموتَ ولا يرتقى إليها الفناءُ
مر يومى كأمنه مسرحاً تُعرض فيه الحياة والأحياءُ
آدم كالقديم قلباً وتفكيراً ولكن تُبدل الأزياءُ
لم يحل طبعه ولا ذات يوم

لبستُ غير نفسها حواءُ
والنصار المعبود قدسٌ وقربانٌ وربُّ والشهرة الجوفاءُ
والخطام الفانى عليه اقتتالٌ

والأمانى بريقها إغراءُ
وسفين تمر أثر سفين

والرياحُ اللذات والأهواءُ
والغيوب المحجبات رحاب

تعبت فى رموزها الحكماءُ
عندها المرفأ المؤمل والشط

المرجى والصخرة الصماء ...

مر يومى كأمنه وأتى ليل بهيج تُزف فيه السماءُ

قد جلت فيه عرسها، كل نجم

قدح يستحم فيه الضياءُ

لم تزل تسكب السلاف وللأقداح فيها تجدد وامتلاءُ

لم تزل .. حتى هوّـم الحان نعيان وأغفى البساط والندماتُ

غير نجم في جانب الليل يقظان، له روعة بها وجلاءُ

ذاك نجم الحبيب مني له الشوق ومنه الوميض والإيماءُ

كم أغنيه بالحنين كما غنّت على فرع غصنها الورقاءُ

وذراعى في انتظار، وصدري

فيه بالضيف فرحة واحتفاءُ

موقداً للغريب نارَ ضلوعى

فعسى للغريب فيها اهتداء ...

* * *

لم خليتني وباعدت مسراك ومالى إلى ذراك ارتقاءُ

بالذى فيك من سنا لا تدعنى

فيم هذا المطال والبطاءُ

ما ترانى وقد ذهبت بحظى

أخطأتني من بعدك النعماءُ

وانتهى بعدك الجميل فلا فضل لمسدٍ ولا يدٌ بيضاءُ
ومشى الحسنُ في ركابك والإحسان طرا والغرة السمحاءُ
حسناً كانت يدُ الدهر عندي
فانطوت بانطوائك الآلاءُ

السراب على البحر

لا القوم راحوا بأخبارٍ ولا جاءوا
 ولا لقلبك عن ليلاك أنباءُ
 جفا الريح ليالينا وغادرها
 وأقفر الروض لا ظل ولا ماءُ
 يا شافي الداء قد أودى بي الداء
 أمّا لَذَا الظمّ القُتال إرواءُ
 ولا لطائر قلب أن يقرّ ولا
 لمركب فزع في الشط إرساءُ
 عندي سماءُ شتاءٍ غير ممطرة
 سوداء في جنبات النفس جرداءُ
 خرساء آونة هوجاء آونة
 وليس تخدع ظني وهْيَ خرساءُ
 وكيف تخدعني البيداء غافية
 وللسواقي على البيداء إغفاءُ

أنت ناديت أم صوت يُخيل لي
فلي إليك بأذن الوهم إصغاءُ
ليك لو عندي رُوحِي ما تطير به
وكيف ينهض بالمجروح إعياءُ

* * *

تفرق الناس حول الشط واجتمعوا
لهم به صخب عالٍ وضوضاء
وآخرون كسالى في أماكنهم
كأنهم في رمال الشط أنضاء
هم الورى قبل إفساد الزمان لهم
وقبل أن تتحدى الحب بغضاء
ضاقت نفوسٌ بأحقاد ولو سلمت
فإنها كسماء البحر روحاء..
تألفت شمس ذلك اليوم واضطربت
كأنها شعلٌ في الأفق حمراء
طابت من الظلّ ، ظل القلب ناحية
لنا، وقد صليت بالحرّ أنحاء

مالي بهم، أنت لي الدنيا بأجمعها
وما وعت ولقلي منك إغناء
لو أنه أبدّ مازاد عن سنة
ومدة الحلم بالجفنين إغفاء
أرنو إليك وبى خوف يساورني
وأثني ولطرفي عنك إغضاء
إذا نطقتُ فما بالقول منتفع
وإن سكتُ فإن الصمت إفشاء
وأيماء لفظة فالريح ناقلة
والشط حاك لها والأفق أصداء
ياليل! من علم الأطيّار قصتنا
وكيف تدري الصبّا أنا أحباء
لما أفقنا رأينا الشمس مائلة
إلى المغرب وما للبين إرجاء
شابت ذوائب، وانحلت غدائرها
شهباء في ساعة التوديع صفراء

مشى لها شفق دامٍ فخصبها
كأنه في ذيول الشَّعْرِ حناءُ
* * *

يامن تنفس حر الوجد في عنقي
كما تَنفسُ في الأقداح صهباءُ
ومن تنفستُ حر الوجد في فمه
فما ارتويتُ وهذا الري إظماءُ
ما أنت عن خاطري بالبعد مبتعد
ولن تواريك عن عيني ظلماءُ ..

السراب في السجن

يا سجينَ الحياة أين الفرارُ
أوصد الليل بابه والنهارُ
فلمنَ لفتةٌ وفيم ارتقابُ
ليس بعد الذي انتظرتَ انتظارُ
والتعلاتُ من هوى وشباب
قصةٌ مسدل عليها الستارُ
ما الذي يبتغي العليل المسجى
قد تولى العُواد والسمازُ
طال ليلُ الغريب وامتنع الغمضُ وفي المضجع الغضا والنارُ
* * *

وهَب السجن بابه صار حرًّا
لكَ لاحائل ولا أسوارُ
وعفا القيد عنك كفا وساقا
فإذا الأرض كلها لك دارُ

أين أين الرحيل والتسيارُ
بعدتْ شقةً وشطَّ مزارُ
والخطى المثقلات باليأس أغلالٌ لساقيكَ والمشيب عثارُ
ما انتفاع الفتى إذا عفت الجنة واجتاحت دوحها الإعصارُ
عشتُ حتى أرى خمائلَ حبي
تتهاوى كشامخٍ ينهارُ
تحت عيني ويدبل الحُسنُ فيها
ويموت الريعُ والأنوارُ
ما انتفاع الفتى بموحشٍ عيشٍ
بقيتْ كأسه وطاح العقارُ
وبقاء البساط بعد الندامى
كأس سمٍّ بها يدور البوارُ
ما انتفاعي وتلك قافلةُ العيش وفي ركبها اللظى والدمارُ
الدمار الرهيبُ والعدمُ الشامل واللفحُ والضنى والأوارُ
يا ديارَ الحبيبِ هل كان حلماً
ملتقى دون موعد ياديارُ؟

يا عزيز الجنى عليك سلام
كيف جادت بقربك الأقدار
بورك الكرم والقطوف وأوقات
كأن العناق فيها اعتصار
كلما أطلقته كفى استردته
كما يحفز الغريم الشار

آمال كاذبة

لا البرءُ زار ولا خيالك عادا
ما أكذبَ الآمال والميعادا
عجباً لحبك يا بخيلةً كيف يخلقُ
من جوائح عابدٍ حُسّادا
إني لأهتف حين أفتش المدى
وأرى الجحيم لجاني مهادا
آها على الرأس الجميل سلاً وأغفى
مطمئناً لا يحسُّ سهادا
فُرشتُ له الأحلام واحتفل الهدوء
به ومدّ له الجمال وسادا
يا حبها ما أنت ما هذا الذي
جمعَ الغريب وألفَ الأضدادا
كم أشرئب إلى سماك بناظري
مستلهما بك قوةً وعمادا

ولكم أبيت على السامة طاوياً
في خاطري شبحاً لها عوادا
فأراك تعبت بي كطفل في السماء
يُصرفُ الأقدار كيف أرادا
ولقد أقول هوى كما بدأ انتهى
فإذا الهوى وافى النهاية عادا
مات الرجاء مع السماء وإنما
كان الممات لحبنا ميلادا
ماذا صنعت بناظرٍ لا ينثني
متطلعا متلفتا مرتادا
وأنا غريبٌ في الزحام كأنني
آمالُ أجفان حُرمنَ رقادا
ولقد ترى عيني الجموع فما ترى
دنيا تموجُ ولا تحسُّ عبادا
فإذا رأيتك كنت أنت الناس والأعمار والآباد والآمادا
وأراك كل الزهر كل الروض أنت لدى كل خميلة تنهادي

البعث

يا جمالا وجلالا يتدفق
بهر النور عيوني فترفق
رجع البلبل أم عاد الريع
حين تدنو إنني لا أستطيع

* * *

أيها الورد الذي طاف بنا
لا أراك الله حالي وأنا
أيها الطل الذي بلّ انعما
أطأ الشوك ويغزوني الظما

* * *

يا أمانيّ وحي وخيالي
لا أراك الله حالي والليالي
لا تضع لحظة فالعمر ضاع
كاسفات ليس فيهن شعاع

* * *

قد بلوت الويل فيها لا بلوتا
وأنا أبداً يومي بالمساء

وعرفت الضيق ضيق القلب حتى

لم أجد في الكون ثقباً من رجاء

* * *

لا وربِّي ليس في الدنيا ختامٌ
حين يغدو البعثُ نجوى من حبيبٍ
حين يستيقظ قلبٌ من منامٍ
والمنادي أنتَ والحبُّ المجيبُ

المنصورة

بأيّ معجزة في الحب نتفقُ
يا قلبُ لا يتلاقى الفجرُ والغسقُ
يا قلبُ إنّنا لقينا اليومَ معجزةً
تكاد في ظلمات الليل تأتلقُ
ظللتُ أسأل نفسي كيف تعشقها
بقية من بقايا العمر تحترقُ
وافيتها وقلولُ النور دامية
تطفو وترسب أو تعلو فتعتلقُ
لم أدرِ حين تبدّت لي إذا شفقي
أبصرته أم على المنصورة الشفقُ؟
يامن منحت الأمانى البيض معذرة
إني بهذي الأمانى البيض أختنقُ
أين الهدوء المرجى في جوانبها
إني رجعتُ ويلي كله أرقُ

أقبلتُ أنشدُ أماً في هواك هـا
فلم أنل وتولى قلبي الفرقُ
لا بالقلوب ولا بالأرواح يا أُملي
إنّا بشيء وراء الروح نعتقُ
ويحي على كفك البيضاء إذ بُسطتُ
عند السلام وويحي حين تنطبقُ
هل يسمع النيلُ إذ سرنا بجانبه
والموج مجتمع فيه ومفترقُ
صوتاً تماوج في روعي فجوابه
من جانب القلب موجّ راح يصطفقُ
تظل تنهب أذني من أطايه
كأنها من خفايا الغيب تسترقُ
يا جنةً من جنان الله أعبدُها
لن تبعدي ولديّ السحر والعبقُ

وقفه على دار

قف يا فؤاد على المنازل ساعا
فهنا الشبابُ على الأُحبة ضاعا
وهنا أذلّ إباءه متكبرٌ
أمرتُ عيونُ قلبه فأطاعا
أحسستُ بالداء القديم وعادني
جرحُ أيّمتُ لعهدِه إرجاعا
ومضى مع الأمل الزهولُ كأنما
طارَت بلبّي الحادّثاتُ شعاعا
كثرتُ على متاعبي فمحووني
ومحوونَ حتى السقم والأوجاعا
يامن هجرتِ لقد هجرتِ إلى مدى
فإلى اللقاء ولن أقول وداعا

الراهبة الباكسة

يا ربة الحسن الذى تصبو له
مهجُ العباد وترتجيه جميعا
الحسنُ من حق الورى وحملته
متأبيا مستخفيا ممنوعا!
في الدير مشواه وفي جنح الدجى
يتحدر الحسنُ الشهيدُ دموعا
تتحرق الدنيا عليك وربما
أوقدتِ نفسك في الظلام شموعا

من ن إلى ع

١

يا شطر نفسي وغرامي الوحيد
ما شئت يا ليلى لا ما أريد
يا من رأت حزن العميق البعيد
داويت لي جرحي بجرح جديد
هتكت عن روحى خفى النقاب
فلم يزل ياليل هذا الحجاب
حتى مشت كفاك فوق العذاب
ياليل إلى لـشقى سعيد
عمري سراب في بقايا سراب
وكل أيامى المواضى اغتراب
فالיום ياليل طاب المآب
في ظلك الرحب الجميل المديد
فليذهب الماضى البعيد السحيق
فيه صريع للبلأى لا يفيق
في جدث يزداد ضيقا وضيق
في كفن قرّبه الشباب الشهيد!

ويوم لقياك على سلم
 في جانب مكتتبٍ مظلم
 يا عذبة العينين والمبسم
 وغضة الحسن الشهي الفريد!
 في لحظة يقفزُ فيها دمي
 وتعقد الدهشةُ فيها فمي
 من أي كونٍ جئتِ لم أعلم
 يا نفحة من نفحات الخلود

* * *

هيا! أجل هيا إلى أين؟
 حيث نحكي حلمَ روحينا
 حيث نروى سرَّ قلبينا
 فإن فرغنا من حديث نعيدا
 أي مكان بهواننا يضيّق؟
 فامضِ بنا، إن زحامَ الطريق

في ظل حيننا رحيب طليق
وكل طيب ركن في الوجود
من أنت؟ لا أدري، ولا من أنا
فيا إله الحب ماذا اسمنا
إننا حبيبان وذا حيننا
إننا وليدان، وهذا وليد

* * *

ومجلس قد ضمنا فيه الزحام
رفاً على قلبين فيه السلام
ترمقنا فيه ظنون الأنام
ولا تخلينا عيون الحسود!
وحين ودعت خلال الجموع
مشى على إثرك قلبي الوجيع
مشى به الحب، وكيف الرجوع!
وفي ضميري هاتف: هل تعود!!

شعر الرثاء

رثاء الهمشري

الشاعر النابغ الذي انطفأ

نجمه في نضارة الشباب.

لا تجزعوا للشاعر الملهم

ما مات لكن صار في الأنجم

ما كان إلا زائراً عابراً

لأى سر جاء لم نعلم

والآن قد رُدَّ إلى سره

في قدس ذاك الفلك الأعظم

الآن قد رُدَّ إلى ربه

فتى إلى الخلد مشوق ظمى

الآن قد أصبح في قربه

فتى لآفاق السما يتمى

كان فراشاً حائراً في الدنى

في نورها أو نارها يرمى

فإن نجا من نارها مرةً

فمن هيب النفس لم يسلم

* * *

لا تجزعوا للشاعر الملهم

بضرورة الأيام لم ينعم

مرّ بهذا الكون في لحظة

طالت كعمر الأبد الأعظم

أى جلال فاتمه وصفه

وأى حسن فيه لم يرسم

فإن يكن ردّ إلى حضنه

فعودة المغرم للمغرم

ورجعة القلب إلى صدره

بالعطف في أحنائه يرقى

لا تجزعوا للشاعر الملهم

ولله ما نام مع النجوم

ولم ينل منه أكل البلى

وإنما غاب إلى موسم

المرحوم الدكتور عبدالواحد بك الوكيل
وزير الصحة

هي صفحة طويت وحن ختام
آسى الأساة على ثراك سلام
لهفى عليك تسلمتك يد البلى
وانفض عنك إلى النشور زحام
الحفل منتظم تكامل عقده
أين العشى خيالك البسام
يتلفتون به كأنك عائد
هيهات في ريب المنون كلام
لا صحو من سنة المنون وإنما
سهر الخلود عليك حيث تنام
يا أيها الآسى العزيز بمضجع
نأى له الإكبار والإعظام

أنتَ الطيب وقد بلوت حياته
ومجاهلها الأوجاع والأسقام
جلت الحياة له حقيقتها فما
في ظلها لُبْسٌ ولا أوهام
وله مع القدر الرهيب وقائع
وله مع الموت الملم صدام
ووراء ذلك قوة أزلية
خرساء عنها ما أميط لثام
أى الأساة هو المدل بفنه
سبحان من تُحنى لديه الهام
بلد على بلد كأنك ضارب
في الأرض ما يدرى لديه مقام
فرجعت من حمى الحياة لمثلها
حمى تهد الصرح وهو مقام
سفر على سفر فهذى رقدة
شُفَى الغليل بها وطاب أوام

يلقى الغريب على جوانبها العصا
وتقر فيها أعين وعظام
رقد الصغير إلى الكبير مجاورا
وتعانق الأحباب والأخصام
هجعوا إلى يوم النشور وهكذا
هجعت هنالك ألفة وخصام

رثاء المرحوم الشاعر محمد الهراوى

ألقيت في حفلة تأبينه

ها هنا حفلٌ وذكرى ووفاءٌ

لبنا أنت ملهى الأصدقاء

يا لها من غربة مضنية

ليس تنجيب وأيام بطاء

ذهب الموت بأعلى صحاب

وثوى في التراب أوفى الأوفياء

لست أنساك وقد أقبلت لى

تشتكى غدر صديق قد أساء

آه من جرح ومن قلب على

ألم الجرح انطوى مر الإباء

كلما آلمك الجرح فأحسست به لطفته بالكبرياء

أيها الشاكي من الدهر استرح

كلنا يا أيها الشاكي سواء

الجراحات التي عانيتَها
لم تدعْ أرواحنا إلا ذمَاء
برم العيش بها لم يشفها
وتولى الدهر سَأْمَانً وجاء
أذن الموت لها فالتأمتْ
وشفاها بعدما استعصى الشفاء
لست أرثيك أُيرثي خالداً
في رحاب الخلد موفور الجزاء
كيف أرثيك أُيرثي فاضل
عاش بالخيرات موصول الدعاء
إنما الدنيا هي الخير على
قلة الخير وقحط العظماء
إنما الدنيا فتى عاش لكم
باذلاً من قوته حتى الفناء
فإذا مات فقد عاش بكم
فهو بالذكرى جدير بالبقاء

ذلك الشاعر قد واساكم
وبكى آلامكم كلَّ البكاء
ذلك الشاعر قد غنَّاكم صادقاً في أيكم بشرى الهناء
وأولو الشعر المصاييح التي
حطمتهم رياحُ الصحراء
خلدت أنوارهم رغم البلى
وبها المدح في الليل استضاء
سوف يفنى القول إلا قولهم
ويعت الناس إلا الشعراء
عدَّ إلينا نسمة حائرة
ذات نجوى وحنين وولاء
ثم حلقَ بجناحين إلى
عالمٍ نحن له جدُّ ظمء
طرَّ مطار النسم واترك قَدَمًا
ثقلت بالشوك في أرض الشقاء

تكریم

حضرة صاحب المعالی إبراهيم باشا عبدا لهادی
(وزیر الصحة)

نخذ من طیب الحی رأى النادی
واسمع إلى غرید هذا الوادی
إنی عن الفتین قمت وإنه
شرف بلغت به أجل مراد
أنا لا أوافی اليوم حقك وحده
لكن أؤدي فیک حق بلادی
یا عائداً تحذو السلامة ركبہ
بورکت فی الغیاب والعواد
مصر التی بك فی اشتداد کروبها
عرفت فتی الفیان یوم جهاد
رفت علیک قلوبها وتطلعت
وهفت إلیک منابر الأعواد

أى المحامد فيك لم ترفعُ به
رأساً ولم تتحدَّ كلَّ معادى
وطنية ملء الفؤاد وهممة
علوية من حكمةٍ وسدادٍ
فلو أن أعواد المنابر قد مشت
لمشت لإبراهيم عبد الهادى
أنا ما التفت إليك إلا عادنى
طيف يراوح خاطرى ويغادى
طيف من الماضى الكريم وصفحة
(أخذتُ لها عهداً على الآباد)
إني به مترنم وبكل ما ازدانت به تلك الصحيفة شادى
أيام يجمعنا الشباب وكلنا
بالروح والدم والجوارح فادى
السجن مثل الأسر مثل النفى
مثل القتل، تلك قضيةُ استشهاد

المرحوم الدكتور على باشا إبراهيم
في يوبيله الفضلى

إليك أزف في اليوم السجل
تحيات الزميل إلى الزميل
تحيات يرف عليك منها
ندى الأسفار في ظل الخميل
سلاماً للإمام على جتنا
إليه بالعشير وبالقبيل
نباع منه فنا عبقرينا
وعقلا في العقول بلا مثيل
تلفت يا على تجذ وفاء
وما احتاج الوفاء إلى دليل
أقول لحاسب الستين مهلا
وقعت على الحساب المستحيل
إذا أحصيت للأجسام عمرا
فكيف تعد أعمار العقول

ولو أن الألى أنقذتَ جاءوا
يؤدون القديم من الجميل
ولو أن الألى علمتَ جاءوا
يؤدون القليل من القليل
ولو منحوك عمرهم جميعاً
وما هو بالكثير ولا الجزيل
إذن لرأيتَ عمركَ عمرِ نجمٍ
له في اللانهاية ألف جيل
بربك كم وصلتَ حياة قوم
وكم حاربتَ من داء وبيل
وكم أنقذتَ من أسر المنايا
وكم نضو شفيتَ وكم عليل
إذا ما الموتُ أبدى ناجذيه
إذا انطفأتْ عيونٌ في الذبول
إذا غامت محارها ظمأً
كما غامت نجومٌ في الأفول

فما هو غير أن أقبلتَ حتى
تبدل كل أمر مستحيل
كأنك لمع برقٍ في الأعلى
يحيى مقدم الغيث الهطول
كأنك واحةٌ في القفر لاحتُ
رأها أعين الركب الكليل
كأنك جنة في اليد تندى
بعذب الماء والظل الظليل
ولو أيامك العصماءُ جاءت
بكل أغرٍّ مزدانٍ حفيل
إذن لطلعن في الظلمات بيضا
من الغرر اللوامع والحجول
ولو أن المآثر ذات قول
لقلتُ تكلمي وصفي وقولي
أضفها فهي أعمار أضيفتُ
وما تدري لماضيك النيل

تعال أذع لنا سر الفحول
ودع صمت الحيّ أو الخجول
سلالة عبقر وعشير جن
بعدتم في الحياة عن الشكول
فما للشيب من باب إليكم
ولا للضعف يوماً من سبيل
لقد جهل الألى حسبوك شيخاً
فلا تقبل حساباً من جهول
أعيد صباك كيف يكون شيخاً
شعاع سلافة وسنا شمول
وما ظفروا بأثبت منك عوداً
ولا أقوى وأصلب في الحمول
ولا ظفروا بأصفى منك روحاً
كأن مزاجها من سلسبيل
أرى سحر الشباب عليك غضا
وقالك الله أنفاس الأصيل

تعالى الله كم من معجزات
معلقة يا صبعك النحيل
محيل القسوة الكبرى حنانا
ورافعها إلى فن جميل
معارك من دم أم ساح حرب
أسنتها منغمة الصليل
يسير الموضع الجبار فيها
بكفك سير مطواع ذليل
معارك كم كسبت بها حياة
وما لك في المواقع من قتيل
تقسمك الورى قوما فقوما
ومالك بالورى ضجر الملول
تقضى في مسائك ألف أمر
وتقطع في همارك ألف ميل
وإما سرت عن حفل قصير
فعن وعد بمؤتمر طويل

وَأَنْتَ أَبٌ لِّذَا وَأَخٌ لِّهَذَا
وَمِنْكَ لِمَنْ رَجَاكَ يَدًا خَلِيلَ
* * *

نَبِيَّ الطَّبِّ أَدْرَكْنَا إِذَا مَا
تَطَلَّعْتَ الْعَيُونَ إِلَى رَسُولِ
فَكَمْ فِي مِصْرَ أَجْسَامٍ مَرَضَى
بِأَرْوَاحِ كَاشِحَاتِ الطَّلُولِ
فِيهَا أَسَفًا إِذَا تُرِكَتْ فَظَلَّتْ
فَرَائِسُ لِلدَّعَى وَلِلدَّخِيلِ
عَلَى لَقْدٍ مَلَكْتَ عَصَاةَ مُوسَى
فَقُمْ وَاضْرِبْ بِهَا أَفْعَى الْخُمُولِ
أَقُولُ لِأَعْيُنِ الطَّبِّ الْحَيَارَى
وَقَعْتَ مِنَ الْفَخَارِ عَلَى سَلِيلِ
أَبَا حَسَنِ سَلِمْتَ عَلَى الْيَالَى
وَعَشٍ مُتَعَتَ بِالْعَمْرِ الطَّوِيلِ

المرحوم أنطون باشا الجميل
في حفلة تكريمه بمتزل صاحب المعالي
إبراهيم دسوقي أباطه باشا

كيف أنسى زمناً كنت به
من أخ أغلى وأسمى من أب
ضقت ذرعاً بزمانى وكذا
ضأقت الأيام والآلام بي
رائحاً في لجة طاغية
غاديا في عاصف مضطرب
قد تغشاني ظلام لا أرى
فيه مفداى ولا منقلي
صامداً للظلم والظلم له
معول يهدمني عن كذب
وأنا أدفعه عن منكبي
بيدي حتى تهاوى منكبي

وتماسكت فلم يبق سوى
كبرياء هي درع لئلا
هتفت بي النفس فلنمض إلى
ذلك الورد الكريم الطيب
إن أنطون وما أعظمه
طاهر القلب نيل المشرب
كأس ود لم ترنق أبداً
وصفت كالذهب المنسكب
ونداماه على طول المدى
رفقة حفوا به كالحبيب

* * *

مكتب لا بل بساط عامر
بالمعالي ياله من مكتب
مكتب قد صيغ من عالي
المساعي ونيل الدأب
مكتب يزهي بجراً ماجد
ثابت الرأي سني المأرب

صائد الدر تراه غارقا في
صحف أو غائصا في كتب
مصغيا في حكمة أو مطرقا
في وقار سامعا في أدب
فإذا أدلى برأى تلقاه
راح يدلى بالعجيب المطرب
مستفيضا ببيان جامع
سحرُ جو وجلال العرب
ذاك أنطون وما أروعاه
صفحة لا تنتهى من عجب
قطراتُ خُسبٍ من عرق
وهى لو حققتها من ذهب
أسعد الأيام يوم ضمّنى
بك في دار كآفاق الشهب
كرمتُ من شرف وارتفعتُ
بالعلا، وآزّنت بالحسب

لدسوقي وما أنسى له

إنه مثلك في الفضل أبي

كيف أنسى فضله وهو الذي

زاد عني عاديّات الحقب

أنتمما للمجد دخر فابقيا

للمعالي، واسلما للأدب

عبد الحميد بك عبد الحق
في حفلة تكريمه بدار الأوبرا

١

أنت فوق التكريم فوق الشاء
جلّ ما قد أدت عن إطرأ
يا عظيم الشؤون جلت شؤون
أنت منها في الذروة الشماء
يا عظيم الأوقاف جلت أمور
عرّفتنا مواقف العظماء
لم نكرمك للوزارة والمنصب والمجد والسناء والرواء
نحن قوم فهم بالرجل الكامل يمضى للأمر دون التواء
الرحيب الصدر القوى على الخطب
السريع الهدم السريع البناء

قد رأيناك كالمنار المعلى	مثلا للقوى في الأقوياء
ورأيناك في الرجال فريداً	فاقتفينا خطاك أيّ اقتفاء
وحبناك ما بنا من نفاق	لاولا في قلوبنا من رياء

* * *

أَيُّ وَرَبِّي لِأَنْتَ مِنْ صُورِ الْمَاضِي وَمَجْدِ الْجُدُودِ وَالْآبَاءِ
وَجَلَالِ الصَّعِيدِ وَالْمُلْكِ فِي الْوَادِي عَزِيزِ الْبَنُودِ ضَافِي الْلُؤَاءِ
قَدْ يَنَامُ التَّرَاثُ جِيلاً فَجِيلاً غَافِيَا فِي مَجَاهِلِ خَرَسَاءِ
وَتَنَامُ الرُّوحُ الْعَرِيقَةُ فِي الْمَجْدِ لِتَبْدُو فِي طَلْعَةِ سَمَرَاءِ
فَتَرَاهَا مِصْرِيَّةَ السَّمْتِ وَالْقُوَّةِ وَالْعِزِّ وَالْحِجَى وَالْمِضَاءِ
قِسْماً قَدْ غَفَا الْجَلَالُ لِيَصْحُو

مِنْ جَدِيدٍ فِي وَجْهِكَ الْوَضَاءِ
أَيُّهَا الْكُوكَبُ الدَّعُوبُ عَلَى الدَّهْرِ
بَلَا فِتْرَةَ وَلَا إِبْطَاءِ
تَصْنَعُ الْخَيْرَ وَاضِحاً شَبَهَ نَجْمِ
سَاكِبِ نُورِهِ بَعْرُضِ الْفَضَاءِ
وَتُؤَدِّيهِ خَافِيَا مِثْلَ نَجْمِ

مُسْتَرِ خَافٍ خِلَالِ السَّمَاءِ
غَيْرَ أَنَّ النُّفُوسَ تَعْلَمُ مَسْرَاهُ وَإِنْ كَانَ مُمَعْنَاً فِي الْخَفَاءِ
وَعَظِيمِ الْفِعَالِ يَجْمَلُ بِالْإِفْصَاحِ عَنْهُ كَالسَّيْفِ غِبّاً الْجَلَاءِ

ما جمال الربيع في الروض إن لم
يشد طير في الروضة الغناء
ما جمال السماء والبدر إن لم
يشد سارٍ في الليلة القمراء؟
واضياع النبوغ في مصر إن لم
تحدث منابر الخطباء
واضياع النبوغ في مصر إن لم
يك تخلّده على الشعراء
طاقة الشعر طاقة الورد معنى
جلّ قصداً وقلّ في الإهداء
لست تجزى به أقلّ الجزاء
فتقبله آيةً من وفاء

* * *

كيف ننسك والعفاة على بابك حشدٌ يموج بالبأساء
الشريد الطريد والعامل المرهق يشقى من صبحه للمساء
وبيوت هي العريقة في الأمجاد صارت عريقةً في الشقاء

لم تطقْ أن ترى دموع اليتامى تتراعى على أكف السخاءِ
والأيامى كالكأس بعد الندامى

ذكرتُ حظها من الصهباءِ

وقف الدهر دونهم: كل باب

طرقوا صُمتً عن ذليل النداءِ

غير باب من المروءات سمح

لك، ماردٌ مرةً ذليل نداءِ

انظر الحفل، داوياً بالبدعاءِ

وانظر البحر زاخراً بالنداءِ

أنت ورد النبوغ جادت به الدنيا لقومٍ إلى المعالى ظمء
كلما أطلعتْ لهم عبقرى جعلوا منه معقداً للرجاءِ

حمدوا فيك يومهم واطمأنوا

مشرئين للغد المترائى

كيف ننسك في المحاماة حراً

طاهراً ذيله عفيف الرداءِ

وقف المجلس الحئير يوماً

مرهف المسمعين بالإصغاءِ

إذ يرى فيك نائباً وخطيباً
دامغاً بالحقيقة البيضاء
مفعماً مفعماً قويا جريئاً
ماحقاً للخصوم والأعداء

عبد الحميد بك عبد الحق

٢

في وزارة الأوقاف

قل لوزير الحق وهو الذى

قد استقامت في حجاه الأمور

خذ من مقالى ذمة إننى

عنهم إلى ساح المعالى سفير

يا جاعل الأوقاف في عهده

مدينة والقصر فيها قصور

ونابشاً فيها الكنوز التى

مرت عليها بالعفاء العصور

نبشت فيها عبقرياتها

منقياً عن كل قدر خطير

فكل ما قيل ومالم يُقْل

عن فضلك الجم الغفير الوفير

مما جرى في شفةٍ عاجزاً
وما توارى في حنايا الصدور
من حق عبدالحق في عدله
له - وإن يَأبى - إليه المسير
تحيّة للأصل مردودةً
وباقةً قد قُدمت للوزير
سبحان ربى قد رأينا الدجى
يجلوه في عهدك صبحٌ مسير
ماشيتَ هذا العصرُ في سيره
والعصر يعلو بجناح النسور
مازلتَ بالأوقاف حتى رأت
محطّمَ القيد وفادى الأسير
كم عيروها بسلحفاها
فلينظروها بجناح تطير
يا نابشاً فيها كنوز الحجي
من كل وهاج قليل النظر ..

من ذهب الدار وآياتها
فتى كبير القلب صافي الضمير
له معاني البحر في هدأة
وفيه روح كانسباب الغدير
خذ من سجاياه ومن علمه
ما يهب الورد وتطوى البحور ..

عبد الحميد عبد الحق

في وزارة الأوقاف

٣

عِشْ مديداً وجدِ واعلُ والمعْ كفرقدِ

لو رأى الحق عبده	وهو بالحق يهتدي
وعلى الحق رائحا	وعلى الحق يفتدي
بسطة التاج باليد	قائلا قم تقلد
قم تقلد	يا أميري وسيدي
ويامعان رُكع	وتسابع سجد
بائع الحق عبده	والبرايما بمشهد

* * *

انظر الساس داويا	بالنداء المردد
انظر البحر زاخرا	بالشباب المجند
حمدوا فيك يومهم	مشرئين للغد
عش مديدا لتبتي	كل صرح ممدرد
فلك الرأي قاطعا	ما به من تردد

يهـدأ السـيف في القـراب
ولـك السـيف سـاهـرا

*

*

*

ويـشـوي بـمـرقـد
يـقـظـا غـير مـغـمـد

خـذ يـانـا نـظـمـتـه
مـا بـه مـن تـزلف
خـالـد أنـت بـالـعلـى
فـتـقـبـل علـى المـدى

شـبه عـقـد مـنـضـد
جـل شـعـري ومـقـصـدي
والـفـعـال المـسـدـد
كـل شـعـر مـخـلـد

عزيز أباظة باشا
في حفلة تكريمه بمنزل صاحب
المعالي دسوقي أباظة باشا

غيث على القفر حيّانا وأحيانا
يا شاعرَ الجيل كان الجيل ظمآنًا
كنا نعيش من الدنيا على عدة
نبني من الأمل الموعود دنيانا
فالآن قد حققت ما كان منتظرًا
منها وإن لمعت بالوعد أحيانا
جاءت بأروع من هز البيان ومن
أعاد مجد القوافي مثل ما كانا
ريحانة النيل هزت نفسها طربًا
وقدمت لأمير الشعر ريحانا
ماذا نقول ونبدي بعدما سبقت
لك الشهادة من تكريم مولانا

أَقَمْتَ مِنْ عِبْقَرِي الشَّعْرَ بَرَهَانَا
وَقَبْلَهَا كُنْتَ لِلْأَخْلَاقِ عَنَوَانَا
بَآيَتَيْنِ: وَفَاءَ لِلَّتِي ذَهَبْتَ
وَأَنْتَ مَنْ حَفِظَ الذِّكْرَى وَمَنْ صَانَا
إِنَّ الَّتِي نَضَرْتَ عَيْشَا نَعَمْتَ بِسَةِ
وَصِيرْتُ بَيْتَكَ الْمَعْمُورَ بِسِتَانَا
لَوْ لَحْظَةٌ نُحَوِّ ذِيَاكَ الضَّرِيحَ رَنْتُ
عَيْنَاكَ، تَلَقَّ الْهَوَى لَمْ يَخْتَلَفْ شَانَا
وَأَيَّةُ مَنْ وَفَاءَ لَالِي سَسَجَبْتُ
عَلَيْهِمْ حَادِثَاتُ الدَّهْرِ نَسِيَانَا
عَهْدُ الرُّشِيدِ وَعَهْدُ الْمَجْدِ فِي زَمَنِ
بِهِ تَوَطَّدَ مَلِكُ الْعَرَبِ سُلْطَانَا
وَعَهْدُ بَغْدَادِ حَيْثُ الْعَيْشُ مُؤْتَلَقُ
يَهْفُو خَمَائِلَ أَوْ يَهْتَزُّ أَفْنَانَا
جَلُوتُهُ وَهُوَ فَتَاكَ بِجَعْفَرِهِ
وَالسِّيفُ يَقْطُرُ بَغْضَاءً وَعَدْوَانَا

يا للطلاء الذي يكسو النفوس لكم
كسي النفوس من التزييف ألوانا
تلك الطبيعة لاشيء يغيرها
ينام فيها خيالُ الفتك وسنانا
الحرص يوقظه والمجد يوقظه
والويل إن وثب الوسنان يقظانا

* * *

جوزيت عن لغة الفصحى وأمتها
عمرًا مديدًا وتكریمًا وإحسانا

أغنية.. أنتِ

أنتِ إنِ تؤمني بحبي كفاي
لا غرامي ولا جمالك فاني
أجذب الهجرُ خاطري وخيالي
وأجفُّ النوى دمي ولساني
فتعالِي روى الظما في عيوي
واجنوبي لقطرةٍ من حنانِ
طال والله في تنائك ذلي
ووقوفي على ديارِ الهوانِ
أي روح أحسُّه أي سرُّ
في جناحك كلما ظللاني
أي روح أحسه أي سحر
سكبت في هاته العينانِ
لكأن الرميم ما تبعثانِ
وكأن النشور ما تسكبانِ

وكأني مخلقٌ في سماءٍ
ومطلٌّ منها على الأكوانِ
مستعزٌّ بما مُنحتُ قوًى
أجمعُ الكونَ كلُّه في عنائي

الإبراهيميات

«لصاحب المعالي دسوقي أباطة باشا فضل على الأدب والأدباء، فهو أبو النهضة الأدبية الحاضرة ما في ذلك من منازع، هذا فوق فضله على ناظم هذا الديوان، الذي يجد أنه في الأبيات القليلة التالية لا يعبر إلا عن جزء ضئيل مما يعتلج في خاطره من الشكر والمحبة وعرفان الجميل».

١

في حفلة تكريم معالي الباشا في دار الأوبرا ..

بمناسبة الإنعام بالباشوية على معاليه

منى نلتها كانت لأنفسنا منى

تلفت تجد مصرأ بأجمعها هنا

وما بعجيب موطن البدر في العلى

وما بجديد أن يرى الأفق مسكنا

ولكن قلب الحر تعروه نشوة

فيثني على الآلاء وضاحه السنا

إذا أخذ البدر المنير مكانه

وملك آفاق السما وتمكنا

إذا الملك المحبوب قدر سيِّداً
وعن رأيه في الفضل والنبل أعلننا
فمن ثقةٍ ممن يحب ويحبي
وإيمان قلب باتٍ بالحق مؤمنا
سلاماً عليك النيل أنت ربيعه
وإنك مُغْنِيهِ وفي ذاتك الغنى
فذلك تكريم الربيع لروضةٍ
جلاها الأباطيون وارفقة الجنى
أجل! روضةٌ صارت لكلٍ عظمة
وللفضل والآداب والعلم موطننا
وميدان سباقين للمجد والعُلى
إذا اشتجرتْ أخرى الميادين بالقنا
من الأدب العالي إذا راح سيِّدٌ
غداً آخرٌ نحو اللواء فما وني

* * *

عصى القوافي سار نحوكَ مسرعاً
ولِّبَاكَ من أقصى الفؤاد وأذعنا

وأنت الذي فكَّ القيودَ جميعها
عن الشعر تأبى أن يُهان فيسجننا
إذا المعدن الصافي دعا الشعرَ مرة
بذلنا له من أجود الشعر معدنا

* * *

دسوقي إذا أقللتُ فاقبلُ تحيّي
فما أنا شاديهم ولا خيرهم أنا
ولكنني صوتُ المحبين كلهم
ومن روضك الغالي وبستانهم جنى
فراشٌ على مصباحِ مجدِكَ حائمٌ
وأي فراش من جلالك مادنا
وإني صدى الهمس الذي في قلوبهم
فدعني أقمُ عما يَكُونُ معلنا

في جامعة أدباء العروبة

يا ربعا جَمَّلَ اللهُ به
 روضة الدنيا ووقاها الخريف
 وشعاعا مدَّه اللهُ على
 هذه الأمة من مُدُنٍ وريف
 أيها النعمة لا حدَّ لها
 نحن من نعماك في ظلِّ وريف
 يا شريفَ النفس والقلب لنا
 فيك صافي القول والشعر الشريف
 يا أبا الرقة لا تعدلها
 رقة الوالد ذي القلب العطوف
 رقة تنزل من عليائها
 كشعاع البدر بالضوء اللطيف
 يتمنى الشعر فيه غاية
 وهُوَ عنها عاجز الباع ضعيف

كلما حاولها أعجزه
قصر الطرف عن الصرح المنيف
أيها المصباح صرنا حوله
كفراش حام بالنور يطوف
زيها الأيك غدونا حوله
نسماً في الأيك موصول الحفيف
أنا من غناك عنهم فاستمع
من أغاريد الربى نجوى الأليف

في ندوة الباشا

وزير الطيب الحر الجليل

تقبله هوى حرا نبلا

يقيم على الحوادث لا ييالي

ويأتى في العوادي أن يملا

ولا يدري الزمان له اختلافا

ولا يدري الرياء له سبيلا

على الأدب الرفيع ووارديه

بسطت الخير والظل الظليلا

وما للقائلين عليك فضل

فقد جئنا نردك لك الجميلا

قطفت لك القوافي طوق شعري

فعذرا إن قطفت لك القليلا

وددت بأن أطيل لك القوافي

فيمنعني حياؤك أن أطبلا

وزيرى الطيب الحر الجليلا
وقفتُ عن الرفاق هنا رسولا
أعيد لك الذي يطوي فؤادي
وفخراً أن أعيد وأن أقولا
أقول لجهل معنى المعالي
إلام يظل جاهلكم جهولا
دسوقي لا الوزارة قربتنا
ولا قامت على صلة دليلا
عشقنا فيك أخلاقاً وفضلاً
تقبله هوى حُرّاً نبيلاً

تعزية لمعالي الباشا في بعض السراة الأباطيين

إن السراة الأباطيين قد عظموا
 عن طرق ند وعن تحليق أضداد
 تخطف القدرُ الجاري أحاسنهم
 بصير في المنايا أو بنقاد
 كم صحت والعينُ تُذري الدمعَ في أسف
 على الجواهر في كف الردى العادي
 ألا رقي للأباطيين تحفظهم
 على الحوادث من أنظار حساد!

في منزل الشاعر وكان الباشا قد تنازل بتشريفه

بأى لفظ يفيك شعري
شرفت قدرى وزنت دارى
أما كفى برك المواسى
فزدتني روعة المزار
أقسمت بالشمس في ضحاها
أقسمت بالبدر بالدرارى
بفضلك الماحق الديداجى
كأنه واضح النهار
فيك من البحر كل معنى
فمن سمو إلى وقار
وأنت صدر العباب رحبا
وبسمة الشط والمنار

كأن هذا الجميل يترى
من طيب غاد ولطيف سارى
موج من البر ذو اتصال
بلا هدوء ولا قرار
غمرتنى بالجميل حتى
لجت قوافى فى العشار
أنقذنى البحر غير أنى
غريق فضل بلا قرار
كنت ندى فى رياض عيشى
وكنت غيثا على القفار
لقيت ضنكاً من الليالى
فمن غمار إلى غمار
قد طال عتبى على الليالى
وطال للراحم انتظارى
صفحت عن كل ما أساءت
حق لها الليلة اعتذارى

في حفلة الربيع التي أقامتها جامعة أدباء العربسة

أمير الفضل فضلك بيت شعر
 غلاك نسجنَ معناه الرفيعا
 إذا كان الضياءُ نسيجَ فنٍّ
 سناه يملأ الكونَ الوسيعا
 فحولك حيثما تمشى وتسعى
 قصيدٌ عامرٌ غمرَ الربوعا
 تكلم حيثما تمضي مينا
 وما عرفَ البيانَ ولا البديعا
 حبتُ سناك أتبعه بشعري
 وفخرأ أن أكونَ له تبعاعا
 مدحتك جهدَ مقدرةِ القوافي
 فضقتُ بها مقصرةً جميعا
 أعصاني مغردةً بنفسي
 معودةً هنالك أن تطيعا!

أقول لها وقد كلت قصورا
رويدك، واهدئي لن نستطيعا
يراك الناس حيث ترى عظيماً
كريمًا في تسامحه وديعا
وأنت النهر دفاقاً قويا
إذا ما هم لم يملك رجوعا
يفيض على الربوع جلالاً نعي
ويغشى من حوائلها المنيعا

مظلمة

أنا لا أظنّ، وكل شيء مستمد من جلالك
 في قائم محلولك سُدّت عليّ به المسالك
 إن لم تضعني في سناك جدت حظي في ظلالك
 إن لم تضعني في يمينك فالتفت لي في شمالك
 الرأي رأيك ليس في الأوقاف شيء غير ذلك
 يا أحكم الحكماء لا يُفتى وفي الأوقاف مالك

شكر واعتذار

أبي! أخى! كعبة آمالنا
أكرمتني أكرمك الله
أعجب ما في الشكر أني امرؤ
بيانك عندك يعصاه
يا من يرى القلب وشكواه
ويعلم الشعر ونجواه
كم شاعر منطقته خانة
فاغرو رقت بالشعر عيناه
ما أكرم الخلق وأسماه
وأعذب الطبع وأصفاه
إنك فردّ دون ثانٍ ولن
يُرى لهذا النبل أشباه
عفوك عن حال فتى متعبٍ
بات على الأشواق جنباه

طال به الليل على حيرة
وامتد كال موجة يغشاه
يسأل الليل على طولهِ
عن ذلك الليل وعقباه
والنور أين النور؟ هل غاله
ماح مَحَى الفجر وأخفاه؟
قد كدت لولا ثقةً لاهى
وخشية الله وتقواه
أقول جَفَّ البرُّ لا ديمةُ
تَهْمِي ولا المزنَةُ ترعاه
حتى رأيتُ الخير في طلعةٍ
تحمِلُ لي الخير وبشراه
في لمعةٍ تومض في فرقِدٍ
في فلكٍ أنت محياه
حمدتُ ربِّي وعرفت الرضى
يا رحمةَ الله ونعماه

جلالة الملك عيد الميلاد الملكي السعيد

يوم أغرُّ على الزمان مكرَّم
أنواره وحى وأنت الملهم
إني ليغريني سنك فأُقدمُ
وأراه يخطف ناظري فأحجمُ
واخجلتُ مما يقدم ناظم
ماذا يغرد في علاك وينظمُ
مهما يطاولك البيان فإنه
متضائل أبداً وقدرك يعظمُ
ويخال وصافُ العظام أنه
ند لها فإذا به يتعلمُ
وإذا المجلى في الحمى متعثرُ
وإذا العثار عن الضمير يترجمُ
وإذا رنا لك ناظر متطلع
ألفيت حيرة لحظه تتكلمُ

ولقد يريد لك الهتافَ فينثني
على الفصاحة لم يساعفه الفمُ
تلك الحناجر قصرت أو عبرتُ
لحن قصاراه تعيش وتسلمُ
ملك الملوك تحيةً من صُدِّحِ
منح الربيع غيره فتنسموا
الأيك مدَّ ظلاله فتوسموا
وغدوا إلى أفنانه فترغوا
إن طاب لي زمن فهدي ساعتي
أو موسم يرجي فهذا الموسمُ
قل للأسارير العوايس أشرقى
ما من عشيرتنا الذي يتجهمُ
اليوم بالملك المعظم نقسمُ
أن الخطوبَ تخيلٌ وتوهمُ
الكون مختال الجوانح منتشٍ
والدهر أيامٌ نواضرُ تبسمُ
ولك البيان من الصميم نرفه
النور معنى والكلام الأنجم ..

في عيد التتويج

عيد الخلاص ووجهك الضاحى معاً
بوركت إشراقاً وبورك مطلقاً
يا مالكا تاجين تاج الشمس
ضاحية وتاجاً بالقلوب مرصعاً
انظر إلى الشعب العظيم تجمعاً
كالسيل عَجَّ عجاجه وتدفعاً
ما أعظم الحب الصحيح وأروعاً
لا كاذباً فيه ولا متصنعاً
قد كان حباً ثم صار شريعةً
غراء تنتظم المدائن أجمعاً
انظر إلى ابن الشعب في عيد المنى
في شاهقات الدور يبغي موضعاً
عجبا لذيتك المطل بموقفٍ
كم يحبس الأنفاس فيه توقعاً
متطلعا لك مشرباً لو هوى
من ذلك الصرح المنيف لَمَا وعى

ولكانَ في النفس الأخير دعاؤه
مصر، وأنت مع الشهادة إذ دَعَا
* * *

وانظرُ إلى النيل الوقور كأنه
شيخ على عرش الجلال تربعا
لو يستطيع وقد بعثت شبابه
وسقيته كأس الأمانى مترعا
لجلا عرائسه إليك وزغرد الصوت الحيسُ على السنين ولعلعا
لترى طروب الموج وهوَ مصفقُ
وترى الأكف تكاد أن تنقطعَا
يا أيها الملك السعيد تحيةُ
من شاعر غنى النجوم فأسمعَا
تركت قوافيه رفيع سماءها
تبغى سماءك والمقام الأرفعَا
قد بايعتك على الوفاء وأقبلتُ
تسعى لساحتك الكريمة خضعا

بطل الأبطال الشهيد عبدالحكم الجراحي

بطل الأبطال من أرض الهرم
لبس الفار وجلّى وغنم
كيف تذرون عليه دمعكم
وهو وضّاح الحيا يتسم
كيف يبكي منكم الباكي على
علم شهيداً في علم
يا شباب النيل فتيان الحمى
وحماة الدار أشبال الأجم
زعموكم أمة هازلة
كذب الزاعم فيما قد زعم
تتحداهم على طول المدى
ثورة نكراء شبت تلتهم
ومقال الدهر عنا في غد
وحديث المجد عن عبدالحكم

كم أغرّ في بواكير الصبا
ناضر يسحب أذيال النعم
طبعه الجود فلما هتفتُ
مصرُ تدعوه تناهى في الكرم
قدّم الروح إليها ومشى
ثابت الخطوة جبار القدم
كلفته اليقظة الكبرى بها
همةً ترعى وعيناً لم تنم
جشمته خطّة داميّة
وعرة المسلك حُفّت بالألم
يجد الموت بها لذّته
ويرى العار إذا المرء سلم

* * *

يا لهدى الجنة الفيحاء كم
فتحت قبراً لباغٍ قد ظلم
يصبح الصبح على هدى الربى
فإذا الورد ضحوكٌ في الأكـم

فإذا أمسى المساء انقلبتُ
فوهةً شعواء ترمى بالحمم
لست تدري إذ تراها ظمئتُ
فروى الأحرارُ واديها بدمٍ ...
ذاك لون الورد أم لون الردى الجا
ثم أم لون الحميم المضطرباً
يا شبابَ النيل فتیان الحمى
وحاة الدار أشبالَ الأجم
حطموا القيد الذى حطمكم
واجعلوا أمتكم فوق الأمم
وإذا استشهد منكم بطلٌ
جاده الفيث وحيته القديم
ولقد أدى لمصر دينه
ذلك الفادى، ووفى بالقسم ...

مصر

أجلٌ إن ذا يوم لمن يفتدى مصرًا
فمصر هي المحرابُ والجنةُ الكبرى
حلفنا نولِّي وجهنا شطرَ حبها
وننفذ فيه الصبرَ والجهدَ والعمراً
نبث بها روحَ الحياة قوياً
ونقتل فيها الضنك والذل والفقر
نحطم أغلالاً ونمحو حوائلاً
ونخلق فيها الفكر والعملَ الحرَّ
أجل إن ماء النيل قد مر طعمه
تناوشه الفتاك لم يدعوا شبراً
فدالت به الدنيا وريعت حمائم
مغردة تستقبل الخير والبشرى
وحامت على الأفق الحزين كواسر
إذا ظفرت لا ترحم الحسن والزهر

تخط كما حط العُقَاب من الذرى
وتلتهم الأفنان والزغب والوكر
فهلأ وقفتن دونها تمنحوئها
أكفا كماء المزن تمطرها خيراً
سلاماً شباب النيل في كل موقفٍ
على الدهر يجنى المجد أو يجلبُ الفخراً
تعالوا نُشيدُ مصنعاً ربَّ مصنعٍ
يدير على صنّاعنا المغنمَ الوفراً
تعالوا نُشيدُ ملجأ، ربَّ ملجأ
يضم حطامَ البؤس والأوجة الصفر
تعالوا لنمحو الجهلَ والعلل التي
أحاطت بنا كالسيل تغمرنا غمراً
تعالوا فقد حانتُ أمورٌ عظيمةٌ
فلا كان منا غافلٌ يصم العصر
تعالوا نُقلُ للصعب أهلاً فإننا
شبابُ ألفنا الصعب والمطلب الوعراً

شباب إذا نامت عيونُ فإننا
بكرتُنا بكور الطير نستقبل الفَجراً
شباب نزلنا حومةَ المجد كلنا
ومن يغتدى للنصرِ ينتزع النصرَ

صور شعرية

حب على الصحراء

أحبك ما حيت وأنت حسي
فجرب أنت قلباً بعد قلبي
ويا أسفا على صحراءٍ عمرٍ
جفاها بعدك المطرُ الملبى
نهارى في لوافحها سرابٌ
وليلى من أباطيلٍ وكذبٍ
وفي أذني من شفتيك عتب
إذا أنا ساعة أضجعتُ جنبي
وتلك قوافل الأيام تترى
تمر على سرباً بعد سربٍ
عوابسُ لا يطلُّ سنالك منها
ولم ألمح مطالعه بركبٍ

فَإِنْ غَفَلْتُ عَيْنُ الْحِظِّ عَنَّا

وَصَرْتُ - وَلَمْ أَكُنْ أَدْرِي - بِقُرْبِي

تَبَيَّنَ فِتْلُكَ خِيَامُ حَبِي

وَإِنِّي مَوْقِدٌ لَكَ نَارَ قَلْبِي

القافلة الصغيرة

قافلة صغيرة يقتادها زعيمها وقد أوشكت على الفناء بينما زعيمها يجيل النظر هنا وهناك باحثاً عن واحة أو ظل أو ماء.

تعال سَلِ القبيلة والجمالا

لأية غاية شدوا الرحالا

وكيف تبدلوا أرضاً بأرضٍ

وكيف تغيروا حالاً وحالا ..

تطلعت العيونُ لعل ماءً

يتاح على الهواجر أو ظلالا

ومد الشيخ في الصحراء لحظاً

كلحظ الصقر في الآفاق جالا

كأن بنيه سقماً أو هزالا

خيال جرّ هيكّله خيالا

أقافلة الحياة أريتيها

فلم ترَ مثلها عيني مثالا

أجل هي نحن في الدنيا حيارى
وما ندري لقافلة مآلا
رأيت حياتنا. كم من غريب
على جنبيه بالإعياء مالا
وكم من سائل لم يلق ردا
وقد سأل الهواجرَ والرمالا
فإن تُجبِ القفار عليه يوما
ترد له سوافيها السؤالا

* * *

أقافلة الحياة أريتنيها
خيالاً أو ضلالاً أو محالا

عاصفة

صورة للبحر أم صورة نفس
عندما النفس من اليأس تشور
قد علا الموج وقد عز التأسى
لم يعد إلا عباب وصخور
زُلزل البحر على راكمه
مثلما زُلزل قلب ضجر
سفر صار على طالبه
ركب ضحك، والمنايا سفر ..
غربَ الحظ كما مال الشراع
هكذا الأعمار في الدنيا تميل
وسرت في الجو أشباح الوداع
وتنادى كل شيء بالرحيل
إذا اشتد على القلب البلاء
إذا جارَ عباب وتناهى
تعصف الأمواج عصفاء بالرجاء
كيف ننسى أن للكون إلهًا ..

عينان

طوى السنين وشقَّ الغيبَ والظُّلَمَا
برقٌ تَأَلَّقَ في عينيكِ وابتسَمَا
يا ساريَ البرقِ من نجمينِ يومضُ لي
ماذا تخبئُ لي الأقدارُ خلفهما
أجئتَ بي عتباتِ الخلدِ أم شركاً
نصبتَ لي من خداعِ الوهمِ أم حُلُمًا؟
كأنني ناظرٌ بحراً وعاصفة
وزورقاً بالغدِ المجهولِ مرتطمًا
حملتني لسماءٍ قد سریتُ لها
بالروحِ والفكرِ لم أنقلُ لها قدمًا
شفتُ سديمًا ورققت في غلائلها
فكدتُ أبصرُ فيها اللوحَ والقلمَا
رأيتَ قلبينِ خطَّ الغيبُ بهما
وكاتباً ببنانِ النورِ قد رسمَا

وسحر عينيك إني مقسم بهما
لا تسألي القلب عن إخلاصه قَسَمًا
واهاً لعينيك كالنبع الجميل صفا
وسال مؤتلق الأمواج منسجماً
ما أنتما؟ أنتما كأسٌ وإن عذبتُ
فيها الحمام ولا عذرٌ لمن سلماً
لما رمى الحب قلبينا إلى قدرٍ
له المشيئة لم نسأل لمن ولماً
في لحظة تجمع الآباد حاضرها
وما يجيء وما قد مر منصرماً
قد أودعت في فؤاد اثنين كلَّ هوى
في الأرض سارت به أخبارها قدماً
كلاهما ناظرٌ في عين صاحبه
موجاً من الحب والأشواق ملتطماً
وساحة بشتعال الهوى احتربتُ
فيها صراعٌ وفيها للعناق ظمماً

يا للغديرين في عينيك إذ لمعا
فالراويان هما والظامئان هما
بأى قوس وسهم وصائب ويد
هواك يا أيها الطاغى الجميل رمى
يرمى ويبرئ في آن وأعجبه
أن الذى في يديه البرء ما علما
وكيف يُبرئني من لست أسأله
برءا وأوثر فيه السهد والسقما
لو أن للموت أسبابا تقربني
إلى رضاك لهان الموت مقتحما
إن الليالى التى في العمر منك خلست
مرت يبابا وكانت كلها عقمما
تلفت القلب مكروبا لها حسرا
وعض من أسف إجمامه ندما

إيمان

قدرُّ أراد شـقاءنا

لا أنتِ شئتِ ولا أنا

عزَّ التلاقي والحظو

ظ السود حالتِ بيننا

قد كدتُ أكفر بالهوى

لو لم أكن بك مؤمنا!!

إليها

أيها الماضي الذى أودعته
حفرةً قد خيم الموت بها
أيها الشعر الذى كفنته
مقسماً لا قلت شعراً بعدها
أيها القلب الذى مزقته
صارخاً عهدك يا قلب انتهى
قسماً ما مات منكم أحد
إنها رقدةٌ يأسٍ إنها
آه لو قام رسولٌ ضارع
أو شفيعٌ منكم يعضى لها
آه من يخبرها عن طائرٍ
نسى الأوكار إلا وكرها!

بعد الحسب

أرى سمائي المحدث وانطوت

لا تحسبي النجم هوى وحده

فيا نجوم الليل لا نجم لي

ولا أرى لي أفقاً بعده

أنوار المدينة

ضحكتُ لعينيَّ المصاييح التي
تعلو رؤوس الليل كالتيجانِ
ورأيتُ أنوارَ المدينة بعد ما
طال المسير وكلَّت القدمانِ
وحسبتُ أن طاب القرار لمتعبٍ
في ظل تحنانٍ وركنٍ أمانِ
فإذا المدينة كالضباب تبخرتُ
وتكشفت لي عن كذوبٍ أمانِ
قدرٌ جرى لم يجر في الحسبانِ
لا أنتِ ظالمةٌ ولا أنا جاني

خمر الرضا

يا حبيبي اسقني الأمان واشرب
بوركت خمر الرضا وهى تسكب
بورك الكأس والحباب الذى ير
قص فى الكأس والشعاع المذهب
نضبت رحمة الوجود جميعا
وبك الرحمة التى ليس تنضب
وإذا ضاقت السماء بشجوى
فالسما التى بعينك أرحب
كم تمنيت والصدور تجافيني
وتزور والوجوه تقطب
كم تمنيت صدرك البر يرتاح
على خفقه الطريد المعذب
هات وسدى الحنان عليه
جسدى متعب وروحي متعب

في حفلة تكريم الدكتور ناجي صاحب الديوان
(سان جيمس ١٩٣٤)

يا صفوة الأحبابِ والخلانِ
عفوًا اذا استعصى عليَّ بيانِ
الشعر ليس بمسعفٍ في ساعة
هي فوق آي الحمدِ والشكرانِ
وأنا الذي قضى الحياةَ معبرا
ومُرَجَّعاً لخواجِ الوجدانِ
أقف العشيَّةَ بالرفاقِ مُقصرا
حيرانَ قد عقدَ الجميلُ لسانِ
يا أيها الشعر الذي نطقتُ به
روحي وفاضَ كما يشاءُ جناني
يا سلوتي في الدهرِ يا قيثارتى
مالى أراكِ حبيسةَ الألحانِ ..
أين البيانِ وأين ما علمتني
أيامَ تنطلقينَ دونَ عنانِ

نجواك في الزمن العصيب مخدر
نامت عليه يواقظ الأشجان
والناس تسأل والهواجس جمّة
طب وشعر كيف يتفقان؟
الشعر مرحة النفوس وسرّه
هبة السماء ومنحة الديان
والطب مرحة الجسوم ونبغه
من ذلك الفيض العليّ الشان
ومن الغمام ومن معين خلفه
يجدان إلهاماً ويستقيان
يا أيها الحبّ المطهر للقلوب وغاسل الأرجاس والأدران
ما أعظم النجوى الرفيعة كلما
يشدو بها روحان يحترقان
أنفأ من الدنيا وفي جسديهما
ذل السجين وقسوة السجنان
فتطلعاً نحو السماء وحلقاً
صعدا إلى الآفاق يرتقيان

وتعانقا خلفَ الغمام وأترعا
كأسيهما من نشوةٍ وحنانٍ
أكتب لوجه الفن لا تعدلُ به
عرضَ الحياة ولا الحطامِ الفاني
واستلهم الأمَّ الطبيعة وحدها
كم في الطبيعة من سرى معاني
الشعر مملكة وأنت أميرها
ما حاجةُ الشعراءِ للتيجانِ
هُوميرُ أمَّره الزمانُ بنفسه
وقضت له الأجيال بالسلطانِ
اهبطْ على الأزهار وامسح جفنها
واسكبْ نذاك لظامئِ صديانِ
في كل أيك نفحة وبكل روضٍ طاقة من عاطر الريحانِ
مهما أقلُّ بقيتْ لدى قصيدةٍ
في القلبِ لم تنطق بها الشفتانِ

غصن صغير

رَأَيْتِ غَصْنًا صَغِيرًا	مَنْوَرًا وَمَنْوَرًا
أَرْقَ مَا تَشْتَهِي النَّفْسُ	مَنْظَرًا وَعَمِيرًا
جَذْبُهُ جَذْبُ عَنَفٍ	قَدْ كَادَ يَذْوِي الزَّهْرَا
فَلَمْ يَكُنْ لِيْ جَذْبِيْ	وَكَاَنَّ غَصْنًا صَبْرَا
لَكِنِّي لَمْ أَدْعُهُ	حَتَّى عَلَا مَسْرُورَا
وَارْتَدَّ يَضْرِبُ وَجْهِيْ	ضَرْبًا عَنِيفًا مَثِيرَا
وَعَادَ يَنْشُرُ فِي الْأَيْكِ	ذَا الْحَدِيثِ الْأَخِيرَا
تَضَاحُكُ الْأَيْكُ جَذْلَانِ	شَامِتًا مَسْرُورَا
ضَحْكُ الَّذِي بَعْدَ صَبْرٍ	قَدْ فَازَ فَوْزًا أَخِيرَا

دعابات

حفلة عدس

في منزل صاحب المعالي دسوقي أباطة باشا
(الدعابة موجهة إلى صديقنا الشاعر النابغ الأستاذ محمود غنيم)

دعوتَ فلبينا ودارك كعبة
بها انعقد الإخلاص والحب طَوْفا
خميلتنا قمفو إليها قلوبنا
وأي فؤاد للخميلة ما هفا
بنوك الألى تحنو عليهم تعطفوا
وترعاهم برًّا بهم متلطفوا
إذا خلعوا بعضَ الوقار فسعهم
فمثلك عن مثل الذي صنعوا عفا
هنا اطرَحَ الأعباءَ مثقلُ كاهلٍ
وخففَ من وقريه مَنْ تخففا
فمال على الفضل الأباظي طامعاً
وأغرق في الجود الأباظي مسرفاً

فيا ندوة السمار هل من مسجل
يدون إعجاز القرائح منصفاً
ليشهد أن الشعر شيء مشى بنا
مع الطبع جلّ الطبع أن يتكلفا
وفي دمننا يجري به متواصلاً
مع النفس الجاري وينساب مرهفاً
فهل ناقلٌ عني الغداة وناشرٌ
مقالة صدق قد أبت أن تُحرّفا
حديث غنيم والردنجوت والذي
جرى بيننا ما كنتُ بالحق مُرجفاً

* * *

بصرتُ به والصحن بالصحن يلتقي
فلم أر أهبى من غنيم وأظرفاً
تراءى له لحمٌ فلم يسدرِ عنده
تديك من بعد الطوى أم تخرفاً
وأوماً لي باللحظ يسألني به
أعرفه أوماتُ باللحظ مسعفاً

وقدمته للديك وهو كأنما
يطير إليه واثباً متلهفا
غنيماً! أخونا الديك! قدمتُ ذا لذا
فهذا لهذا بعدَ لأيٍ تعرّفا
وماهي إلا لحظة وتغازلاً
وقد رفعاً بعد السلام التكلفا
فمال على الوركِ الشهيّ ممزقا
ومال على الصدر النظيف منظفا
جزى الله أسناناً هناك عتيقة
ظللنَ على الصحن الأباظي عُكفا

* * *

نُعيّرُ ناجي بالردنجوتِ جاءه
معاراً فغامرُ واستعرُ أنتَ معطفا

هـجـو

في من اسمه عبد الحميد

رجلاً أرى بالله أم حشرة

سبحان من بعبده حشرة

يا فخر داروين ومذهبه

وخلاصة النظرية القذرة

أرأيت قرداً في الحديقة قد

فلته أنشاه على شجرة؟

عبد الحميد اعلم فأنت كذا

ما قال داروين وما ذكره

يا عبقرى في شناعته

ولذلك أمك وهي معتذرة

هجو شاعر

أيها الحي وما ضرَّ الوري لو كنت مَّثًّا
أو شعرًا! ذاك لا بل حجر يُنحِتُ نحتًا
تلقم الناسَ وترميهم به فوقًا وتحتًا
صحتُ من يأسى لِّما بركيك الشعر صحتًا
آه يا قاتلُ يا سفاك! حتى أنت حتى!

الـخـريـف

يا حبيبي غيمة في خاطري وجفوني وعلى الأفق سحابة
غفر الله لها ما صنعت كلما شاكرتها تندى كآبه
صرخ القفر لها منتحياً وبكى مستعطفاً مما أصابه
فأصم الغيث عنه أذنه ما على الأيام لو كان أجابه

* * *

كثر الهجر على القلب فهل من سلو أو بعاد يرتضيه
أنت فجر من جمال وصبا كل فجر طالع ذكرنيه
كيف جانبك أبغي سلوة ثم ناجيتك في كل شبیه
أيها الساكن عيني ودمي أين في الدنيا مكان لست فيه

* * *

عندما أزمع ركب العمر رحلة نحو المغاني الآخر
ظهرت تجلوك كف القدر صورة أروع ما في الصور
تترأى في الشباب العطر نفحة تحمل طيب السحر
وقف العمر لها معتذراً وثني الركب عنان السفر

* * *

عندما أقفرت الدنيا جميعاً لحت لي تحمل عمراً وربيعاً
إن يكن حلماً تولى مسرعاً أجمل الأحلام ما ولى سريعاً

إن يكن ما كان دَيْنًا يقتصي
قد شربناه عزيزاً غالياً
خلفني أدفعه عنك دموعاً
إن تكن بعثَ فإني لن أبيعاً

* * *

يا ندامي الحب سُمَّار الهوى
سكبوا لي السهدَ في ذاك الشراب
أرقبوني أجرع السقمَ وبى
صفرة الكأس وأوهامُ الحباب
كلما تقبلُ أيامُ المنى
تنجلي النعماء عن ذاك السراب
وترى أيامي الحيرى على
عرسها الضاحك أحزان الضباب

* * *

لم أقيدك بشيء في الهوى
أنت من حبي ومن وجدي طليق
الهوى الخالص قيئ وحده
رُبَّ حر وهوى في قيد وثيق
مزقتُ كفيك أشواك الهوى
وأنا ضقتُ بأحجار الطريق

كم ظمى بظمى يرتوي

وغريق مستعين بغريق

* * *

يا ليالي العمر ما سرُّ الليالي

البطئات المملات الطوال

مسرعات مبطئات ولها

خفة الموت وأثقال الجبال

كاسفات البال عرجاء المنى

عائرات الحظ شوهاء الظلال

عجباً للعمر يمضي مسرعا

للمنايا بسلاحفة الملال

* * *

يا كَنَارِ الروضِ في أَيْكِ الهوى

جفت الروضة من بعد النديم

حل بالأَيْكِ خريف منكر

وظلال قاتمت وغيوم

ماتت الروضة إلا طائفا

من هوى حي على الذكرى يقوم

فإذا أنكر ما حلّ بها

فرّ يبغي سرّبه بين النجوم

* * *

شاهت الدنيا وجوهاً ورؤى

وتولاها سهوم ووجوم

يا عذارى الحسن في ظل الصبا

كل حسن بعد ليلاي دميم

يا نعيم العيش في ظل الرضا

آه لو أعرف ما طعم النعيم

أنكر الجنة قلب ضجر

أبدى النار موصول الجحيم

* * *

طالما موهت بالضحك فما

غَيَّرَ التمويه رأياً لك قِئاً

كلما تنظر في عيني ترى

سرى الغافي ومعنای الخفيا

وترى في عمق روعي زهرة

قد سقاها الحزن دمعاً أبدياً

ويراه الناس طلاً وترى
أنت دمعا غائما في مقلتيّ

* * *

يا فؤادي ما ترى هذا الغروب
ما ترى فيه انهار العمر؟
ما ترى فيه غريقاً ذا شحوب
يتلاشى في خضم القدر؟
ما تراها اتأدت قبل المغيب
ورمت من عرشها المنحدر
لفتة الحسرة للشط القريب
قبل أن تسقط خلف النهر ...

* * *

يا فؤادي قاتل الله الضجر
وعذابي بين حل وسفر
ما ترى قنطرة من بعدها
راحة ترجى وبال يستقر
ذلك الجرح وما أفدحه
ما عليه لو إلى السلوى عبّر

قد طواه اليوم في بردته
وأتى الليل عليه فانفجر
* * *

مرّ يومي فارغا منك ومن
أمل اللقيا فما أتعسّ يومي
أنت يومي، وغدي أنت، وما
من زمان مرّ بي لم تك همي!
آه كم أغدو صغيراً، حاجتي
لك كالطفل إلى رحمة أمّ
ولكم أكبر بالحب إلى أن
أغتدى مستشرفاً آفاق نجم
* * *

أيّ سرّ فيك إني لست أدري
كل ما فيك من الأسرار يغري
خطر ينساب من مفتر ثغر
فتنة تعصف من لفتة نحر
قدر يُنسج من خصلة شعر
زورق يسبح في موجة عطر

في عبابٍ غامضٍ التيار يجري
واصلاً ما بين عينيك وعمري

* * *

ذات ليلٍ والدجى يغمرنا
أترى تذكر إذ جزنا المدينة
كلما روعت من نار شج
حرّماً يصلى تلمست جبينه
بيدٍ شفاقة مثل الندى الرطب
تعيد النارَ برداً وسكينه
أيها الآسى لنارى هذه
ما الذي تصنع بالنار الدفينه؟

* * *

أخيلاً كان هذا كله
ذلك الجسرُ الذى كنا عليه؟
والمصاييحُ التي في جانبيه
ذلك النيلُ وما في شاطئيه؟
وشعاعٌ طوفت في مائه
وظلالٌ رسبت في ضفتيه

وحبيب وادع في ساعدي
ووعود نلتها من شفتيه؟

* * *

رب لحن قصّ في خاطرنا
قصة الحادي الذي غنى سهاده
وكان الصمت منه حاجة

هيأت من عشبها الرطب وساده
ها أنا عدت إلى حيث التقينا
في مكان رفرفت فيه السعاده
وبه قد رفرف الصمت علينا
إن في صمت المحبين عباده

* * *

رفرف الصمت ولكن أقبلت
من أقاصي السهل أصداء بعيده
تتهادى في عباب ساحرٍ
مرسل للشط أمواجاً مديده
كم نداء خافت مبتعد
تشتهي أذن الهوى أن تستعيده

عاد منساباً إلى أعماقها
هامساً فيها بأصداءٍ جديدة
* * *

رفرف الصمت ولكن هاهنا
كل ما فيك من الحُسْنِ يغني
آه كم من وترٍ نام على
صدرٍ عودٍ نومٍ غافٍ مطمئنٍ
وبه شئى لحون من أسى
وحنين وأنين وتمننى
رقد العاصفُ فيه وانطوت
مهجةُ العود على صمتٍ مُرنٍ ..
* * *

هذه الدنيا هجير كلها
أين في الرمضاء ظلٌّ من ظلالك
ربما تزخر بالحسن وما
في الدُّمى مهما غلت سر جمالك
ربما تزخر بالنور وكم
من ضياء وهو من غيرك حالك

لو جرت في خاطري أقصى المنى
لتمنيتُ خيالا من خيالكُ

* * *

أنا إن ضاقت بي الدنيا أفيء
لشوانٍ رحبةٍ قد وسعتنا
إنما الدنيا عباب ضمنا
وشطوطٌ من حظوظ فرقتنا
ولقد أطفو عليه قلقاً
غارقاً في لحظةٍ قد جمعتنا
كلما ترى المعاني أجتلي
خلف معناها لأسراركَ معنى

* * *

ما الذي صبك صباً في الفؤادُ
ما الذي إن أقصه عني عاد
طاغيا يعصفُ عصفاً بالرشاد
ظامئاً سيان قربٌ وبعاد
ساهر العينين موصول السهاد
ما الذي يجري لهيباً في الرماد

ما الذي يخلقنا من عدم
ما الذي يُجري حياة في الجماد

* * *

كم حبيب بعدت صهاؤه
وتبقت نفحة من حبه

في نسيج خالد رغم البلى
عبث الدهر وما يعبت به

ما الذي في خصلة من شعره
ما الذي في خطّه أو كتبه
ما الذي في أثر خلفه

من أفانين الهوى أو عجه

* * *

ما الذي في مجلس يألفه
عقد الحب عليه موعده

ربما يبكي أسى كرسيه
إن نأى عنه وتبكى المائدة

ربما نحسبها هشت إذا
عائد هشت لها أو عائده

ربما نحسبها تسألنا

حين غمضي أفراق لعهده؟

* * *

كم أعدت لك سترًا في الخفاء

وتوارت عن عيون الرقباء

كم أعدت نفسها وانتظرت

واستوت موحشةً تحت السماء؟

وهي لو تملك كفاً صافحت

كفك الحلوة في كل مساء

وهي لو تملك جوداً بذلت

كل ما تملك كف من سخاء

* * *

رُب كَرَمٍ مدّه الليل لنا

فتواثنا له نبغي اقتطافه

وعلى خيمته أسوده

عربيّ الجود شرقيّ الضيافة

وجد العرس على بهجته

وسنائه دون وردٍ فأضافه

ثم وارت يده جنة
وطوته كأساطير الخرافه ...

* * *

أرج يعبق في أنحائه
حملته نحو عرشنا الرياح
كل عطر في ثناياه سرى
كان سرا مضمرا فيه فباح
يا لها من حقبة كانت على
قصر فيها كآماد فساح
نتمنى كلما طابت لنا
أن يظل الليل مجهول الصباح

* * *

يا فؤادي العمر سفر وانطوى
وتبقت صفحة قبل النوى
ما الذي يغريك بالدنيا سوى
ذلك الوجه ، وذياك الهوى

العائد

أَجْرُ غَرِبتِي أَيُّهَا العائِدُ
فقد ملني الداءُ والعائِدُ
أَجْرُ غَرِبتِي فبلادي الهموم
وليلٌ بطيء الخطى راكِدُ
تقاسمني في نواك النديارُ
وأنتَ لي الوطنُ الواحدُ
محيّاك داري ومنك هاري
إذا ضمّك الصدر والساعِدُ

* * *

أَجْرُ شفتي من عذاب الظما
أما أذن الله أن ترحمّا!
أتمعنُ في الهجر حتى ترانا
بكيّنا دماً واحترقنا فمّا؟
ولي رمق صنّته كي أراك
فأشفقْ على رمقي ريثما

إذا طلبَ الحبُّ برهائمه

من الموت لبيتُ كي تعلمما ...

* * *

لياليّ مَرَّتْ هباءَ عقيما

فهل تتوالى البواقي سدى؟

أسائل جرحيَ عمن جناه

وأرنبو فأستخبر العودًا

فما طلعوا اليومَ بالبشریاتِ

ولا عللوا بالتلاقي غدًا ...

فلما تنكَّرَ حتى الحبُّ

تلفتُ أسألُ عنك العدا

* * *

سلام على غائب عن عيوني

حملتُ خطامي إلى داره

وقلت لقلبي تمهلُ بنا

وخبيّ شقاءك أو داره

تناسى الأسي ها هنا أو يقالُ

حملتَ الظلامَ لأنواره ...

أتغدو إلى عتباتِ النعيم
بلفح الجحيم وإعصاره؟ ..

فهرس الأعمال الشعرية الكاملة

5	- قبل أن أبدأ .. وقبل أن تقرأ ..
23	- قصيدة في القلب - رجاء النقاش ..
33	- ناجي.. الحياة - الحب - الموت - بقلم حسن توفيق ..
141	* الديوان الأول للشاعر "وراء الغمام" ..
143	- إلى ناجي الشاعر - أحمد زكي أبو شادي ..
145	- تصدير - أحمد الصاوي محمد ..
155	- إهداء الديوان ..
159	- المآب ..
163	- ساعة لقاء ..
168	- العودة ..
172	- الحنين ..
174	- الناي المحترق ..
175	- المنسي ..
176	- تحليل قبلة ..
177	- الحياة ..
183	- قلب راقصة ..

193 الميعاد
195 الميت الحي
197 الوداع
201 الزائر
202 الليالي
210 الجمال الضنين
212 ليالي الأرق
214 صخرة الملتقى
217 الشك
219 خواطر الغروب
222 مناجاة الهاجر
224 الصورة
225 رجوع الغريب
228 قميص النوم
229 الغد
234 رثاء شوقي
237 هبة السماء
240 هجاء أعمى بغيض زوج حسناء
243 الانتظار

246	- صلاة الحب
249	- مصافحة اللقاء
250	- مصافحة الوداع
251	- أغنية في هيكل الحب
252	- دعاء الراعي
254	- التذكار
262	- البحيرة
266	- وداع المريض
269	- فرحة جديدة
271	- استقبال القمر
273	- نفرتيتي الجديدة
276	- الفراشة
278	- إلى س
281	- نداء للشباب
282	- في يوم للشباب
286	- إلى روح الشاعر
290	- ساعة التذكار
296	- دين الأحياء
299	- الأجنحة المحترقة

301	- عتاب
302	- أصوات الوحدة
303	- الختام
306	- الدكتور زكي مبارك
312	- على البحر
313	- كلانا
315	* الديوان الثاني للشاعر "ليالي القاهرة"
321	- تقديم إبراهيم الدسوقي أباطة "باشا"
335	- ليالي القاهرة (١) في الظلام
342	- (٢) أنوار
344	- (٣) أحلام سوداء
346	- (٤) الميعاد الضائع
349	- (٥) اثنان في سيارة
351	- (٦) لقاء في الليل
355	- (٧) ختام الليالي
356	- الأطلال
373	- ذات مساء
374	- رواية
375	- يأس على كأس

378 - عاصفة روح
380 - كبرياء
383 - اذكري
384 - رسائل محترقة
385 - الغريب
387 - بعد الفراق
389 - المآب
390 - فى الأوتوجراف "من ن إلى هـ"
391 - شكوى الزمن
393 - كل الورى
396 - راقصة
397 - الصنم الجميل
398 - الليل فى فينسيا
399 - شكوك
400 - النسيان
401 - المساء
403 - عذاب
405 - ملحمة السراب (١) السراب فى الصحراء
411 - (٢) السراب على البحر

415 - (٣) السراب في السجن
418 - آمال كاذبة
420 - البعث
422 - المنصورة
424 - وقفة على دار
425 - الراهبة الباكية
426 - من ن إلى ع
429 - رثاء الهشري
431 - رثاء الدكتور عبد الواحد بك الوكيل
434 - رثاء الشاعر محمد الهراوي
437 - تكريم إبراهيم باشا عبد الهادي
439 - تكريم الدكتور علي باشا إبراهيم
445 - تكريم انطون باشا الجميل
449 - تكريم عبد الحميد بك عبد الحق (١)
454 - تكريم عبد الحميد بك عبد الحق (٢)
457 - تكريم عبد الحميد عبد الحق (٣)
459 - تكريم عزيز أباطة باشا
462 - أغنية أنت
464 - الإبراهيميات (ثمانى قصائد)

479	- جلالة الملك "عيد الميلاد الملكي السعيد"
481	- فى عيد التتويج
483	- بطل الأبطال
486	- مصر
489	- حب على الصحراء
491	- القافلة الصغيرة
493	- عاصفة
494	- عينان
497	- إيمان
498	- إليها
499	- بعد الحب
500	- أنوار المدينة
501	- خمر الرضا
502	- حفل تكريم الدكتور ناجي
505	- غصن صغير
506	- حفلة عدس
509	- هجو فى من اسمه عبد الحميد
510	- هجو شاعر
511	- الخريف
524	- العائد

المحقق في سطور

حسن توفيق:

- شهد حي شبرا بالقاهرة ميلاد حسن توفيق يوم ٣١ أغسطس ١٩٤٣.
- حصل على الليسانس من كلية الآداب - جامعة القاهرة - سنة ١٩٦٥.
- عمل - بعد تخرجه - مديرا لمكتب الشاعر العظيم صلاح عبد الصبور في الهيئة العامة للكتاب.
- عمل في جريدة الراية القطرية رئيساً للقسم الثقافي على امتداد ثلاثين سنة ابتداء من سنة ١٩٧٩.
- عاد إلى مصر ابتداء من يوم ٥ يوليو ٢٠٠٩ ليتفرغ للكتابة.
- يكتب عموداً أسبوعياً بعنوان "مرايا الروح" في جريدة الشرق القطرية.
- أصدر ديوانه الأول "الدم في الحقائق" سنة ١٩٦٩ ثم توالى دواوينه الشعرية ومنها أحب أن أقول لا "قصائد عاشقة" "حينما يصبح الحلم سيفاً" انتظار الآتي "وجهها قصيدة لا تنتهى" "بغداد خانتنى".
- أحدث دواوينه بعنوان "أحبك أيها الإنسان"، وله قيد الطبع ديوان جديد بعنوان "حلم يفتح في صخر".
- اتجه لإحياء فن المقامة، حيث أصدر كتابه الأول في هذا الفن بعنوان "مجنون العرب بين رعد الغضب وليالى الطرب"، ثم أصدر "ليلة القبض على مجنون العرب".
- أصدر أولى دراساته النقدية بعنوان "اتجاهات الشعر الحر" سنة ١٩٧٠

- قام بتحقيق الأعمال الشعرية الكاملة للدكتور إبراهيم ناجي، وقد أصدرها على نفقته في طبعة محدودة سنة ٢٠٠١، وها هي تصدر في طبعة شاملة عن المجلس الأعلى للثقافة.
- تمكن من اكتشاف رواية كاملة مجهولة للدكتور إبراهيم ناجي وهي بعنوان "زازا"، وستصدر هذه الرواية مع دراسة مطولة عنها في القريب.
- له كتاب ضخم في أدب الرحلات وهو بعنوان "رحلات شاعر عاشق" "رحلات مع الشعر والحب في الشرق والغرب".
- أنجز كتابة روايته الأولى سنة ٢٠٠٩ وهي بعنوان "عرفة ينهض من قبره"، وقد نشرت مجلة نزوى العمانية نص هذه الرواية في عددها الثالث والستين.
- حصل على جوائز أدبية عديدة كما شارك في ملتقيات ومهرجانات ثقافية متنوعة.

كان ناجي يتمنى من كل قلبه أن تغني له أم كلثوم إحدى قصائده،
حتى تتحقق له شهرة جماهيرية عريضة، لا مجرد شهرة في الساحة
الأدبية العربية وحدها، ولكن أم كلثوم لم تحقق لناجي ما تمناه من
كل قلبه خلال حياته، فانطلق إلى محمد عبد الوهاب الذي اختار
عدة مقطوعات من قصيدة مطولة من روائع ناجي، والتي يجدها
القارئ في هذا الكتاب، وهي قصيدة بعنوان "الخریف" أما ما غناه
محمد عبد الوهاب منها فإنه معروف بعنوان "القيثارة" وكان من
المقرر أن تذاع هذه القصيدة بألحان وصوت عبد الوهاب خلال سنة
1953م، لكن ناجي رحل عن عالمنا يوم 42 مارس من تلك السنة
دون أن يسمعها، ولم تذع هذه القصيدة إلا سنة 1954م ومنها:

أي سر فيك إني لست أدري	كل ما فيك من الأسرار يغري
خطر ينساب من مفتر ثغر	فتنة تعصف من لفة نحر
قدر ينسج من خصلة شعر	زورق يسبح في موجة عطر
في عباب غامض التيار يجري	واصلاً ما بين عينيك وعمري

تحققت أمنية ناجي - دون أن يدري - بعد انقضاء ثلاث عشرة سنة
على رحيله عن عالمنا حين غنت أم كلثوم له مقاطع من "الأطراف"
وأضافت إليها مقطعين من قصيدة الوداع.

Bibliotheca Alexandrina



1234415